سورة المجادلة

مدنية

وآياتها اثنتان وعشرون

بسم الله الرحمَن الرحيم

الآية : 1

القول في تأويل قوله تعالى: {قَدْ سَمِعَ اللّهُ قَوْلَ الّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِيَ إِلَى اللّهِ وَاللّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمآ إِنّ اللّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ }.

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: قَدْ سَمِعَ اللّهُ يا محمد قَوْلَ الّتي تجادلُكَ فِي زَوْجِها والتي كانت تجادل رسول الله صلى الله عليه وسلم في زوجها امرأة من الأنصار.

واختلف أهل العلم في نسبها واسمها, فقال بعضهم: خولة بنت ثعلبة, وقال بعضهم: اسمها خُوَيلة بنت ثعلبة.

وقال آخرون: هي خويلة بنت خويلد. وقال آخرون: هي خويلة بنت الصامت. وقال آخرون: هي خويلة ابنة الدليج وكانت مجادلتها رسول الله صلى الله عليه وسلم في زوجها, وزوجها أوس بن الصامت, مراجعتها إياه في أمره, وما كان من قوله لها: أنتِ عليّ كظهر أمي. ومحاورتها إياه في ذلك, وبذلك قال أهل التأويل, وتظاهرت به الرواية. ذكر من قال ذلك, والآثار الواردة به:

26087ـ حدثنا ابن المثنى, قال: حدثنا عبد الأعلى, قال: حدثنا أبو داود, قال: سمعت أبا العالية يقول: إن خويلة ابنة الدليج أتت النبيّ صلى الله عليه وسلم وعائشة تغسل شقّ رأسه, فقالت: يا رسول الله, طالت صحبتي مع زوجي, ونفضت له بطني, وظاهَرَ مني فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «حَرُمْتِ عَلَيْهِ» فقالت: أشكو إلى الله فاقتي, ثم قالت: يا رسول الله طالت صحبتي, ونفضت له بطني, فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «حَرُمْتِ عَلَيْهِ» فجعل إذا قال لها: «حرمت عليه», هتفت وقالت: أشكو إلى الله فاقتي, قال: فنزل الوحي, وقد قامت عائشة تغسل شقّ رأسه الآخر, فأومأت إليها عائشة أن اسكتي, قالت: وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا نزل عليه الوحي أخذه مثل السبات, فلما قضي الوحي, قال: «ادْعي زَوْجَكِ», فَتَلاها عَلَيْهِ رسول الله صلى الله عليه وسلم: قَدْ سَمِعَ الله قَوْلَ الّتِي تجادِلُكَ فِي زَوْجِها وَتَشْتَكي إلى اللّهِ واللّهُ يَسْمَع تَحاوُرَكُما... إلى قوله: والّذِين يُظاهِرُونَ مِنْ نِسائهِمْ ثُمّ يَعُودُونَ لِمَا قالُوا: أي يرجع فيه فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِنْ قَبْلِ أن يَتَماسّا أتَسْتَطِيعُ رَقَبَةً؟ قال: لا, قال: فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيامُ شَهْرَيْنِ مُتَتابِعَيْنِ قال: يا رسول الله, إني إذا لم آكل في اليوم ثلاث مرّات خشيت أن يعشو بصري قال: فَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فإطْعَامُ سِتّينَ مِسْكِينا قال: «أتَسْتَطيعُ أنْ تُطْعِمَ سِتّينَ مِسْكِينا؟» قال: لا يا رسول الله إلا أن تعينني, فأعانه رسول الله صلى الله عليه وسلم فأطعم.

26088ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة,. قال: ذُكر لنا أن خويلة ابنة ثعلبة, وكان زوجها أوس بن الصامت قد ظاهر منها, فجاءت تشتكي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم, فقالت: ظاهر مني زوجي حين كبر سني, ورقّ عظمي فأنزل الله فيها ما تسمعون: قَدْ سَمِعَ الله قَوْلَ الّتِي تجادِلُكَ فِي زَوْجِها وَتَشْتَكي إلى اللّهِ فقرأ حتى بلغ لَعَفُوّ غَفُورٌ

وَالّذِينَ يُظاهِرُونَ مِنْ نِسائِهِمْ ثُمّ يَعُودُونَ لِمَا قالُوا يريد أن يغشى بعد قوله ذلك, فدعاه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له: «أتَسْتَطِيعُ أنْ تحَرّرَ مُحَرّرا؟ قال: مالي بذلك يدان, أو قال: لا أجد, قال: «أتَسْتَطِيعُ أنْ تَصُومَ شَهْرَيْن مُتَتَابِعَيْنِ؟» قال: لا والله إنه إذا أخطأه المأكل كل يوم مرارا يكلّ بصره, قال: «أتَسْتَطِيعُ أنْ تُطْعِمَ سِتّينَ مِسْكِينا؟» قال: لا والله, إلا أن تعينني منك بعون وصلاة. قال بشر, قال يزيد: يعني دعاء فأعانه رسول الله صلى الله عليه وسلم بخمسة عشر صاعا, فجمع الله له, والله غفور رحيم.

حدثنا ابن بشار, قال: حدثنا عبد الأعلى, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة في قوله: قَدْ سَمِعَ الله قَوْلَ الّتِي تجادِلُكَ فِي زَوْجِها وَتَشْتَكي إلى اللّهِ واللّهُ يَسْمَع تَحاوُرَكُما قال: ذاك أوس بن الصامت ظاهر من امرأته خويلة ابنة ثعلبة قالت: يا رسول كبر سني, ورق عظمي, وظاهر مني زوجي, قال: فأنزل الله: الّذِينَ يُظاهِرُونَ مِنْ نِسائِهِمْ... إلى قوله ثُمّ يَعُودُونَ لِمَا قالُوا يريد أن يغشى بعد قوله فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِنْ قَبْلِ أنْ يَتَماسّا فدعاه إليه نبيّ الله صلى الله عليه وسلم فقال: هَلْ تَسْتَطِيعُ أنْ تُعْتِقَ رَقَبَةً؟ قال: لا قال: أفَتَسْتَطِيعُ أنْ تَصُومَ شَهْرَيْن مُتَتابِعينَ؟ قال: إنه إذا أخطأه أن يأكل كلّ يوم ثلاث مرّات يكلّ بصره قال: أتَسْتَطِيعُ أنْ تُطْعِمَ سِتّينَ مِسْكِينا؟ قال: لا, إلا أن يعينني فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم بعون وصلاة, فأعانه رسول الله صلى الله عليه وسلم بخمسة عشر صاعا, وجمع الله له أمره, والله غفور رحيم.

26089ـ حدثنا أبو كريب, قال: حدثنا عبيد الله بن موسى, عن أبي حمزة, عن عكرمة, عن ابن عباس, قال: كان الرجل إذا قال لامرأته في الجاهلية: أنت عليّ كظهر أمي حَرُمت في الإسلام, فكان أوّل من ظاهر في الإسلام أوس بن الصامت, وكانت تحته ابنة عمّ له يقال لها خويلة بنت خُوَيلد وظاهر منها, فأسْقِطَ في يديه وقال: ما أراكِ إلا قد حَرُمْتِ عليّ, وقالت له مثلَ ذلك, قال: فانطلقي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: فأتت رسول الله صلى الله عليه وسلم, فوجدتْ عنده ماشطة تمشطُ رأسه, فأخبرته, فقال: «يا خُوَيْلَة ما أمرْنا فِي أمْرِكِ بِشَيْءٍ», فأنزل الله على رسول الله صلى الله عليه وسلم, فقال: «يا خُوَيْلَةُ أبْشِرِي», قالت: خيرا, قال: فقرأ عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم: قَدْ سَمِعَ الله قَوْلَ الّتِي تجادِلُكَ فِي زَوْجِها وَتَشْتَكي إلى اللّهِ... إلى قوله: فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِنْ قَبْلِ أنُ يَتَماسّا قالت: وأيّ رقبة لنا, والله ما يجد رقبة غيري, قال: فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيام شَهْرَيْنِ مُتَتابِعَين قالت: والله لولا أنه يشرب في اليوم ثلاث مرّات لذهب بصره, قال: فَمَنْ لم يَستَطِعْ فإطعامُ سِتّينَ مِسْكِينا قالت: من أين؟ ما هي إلا أكلة إلى مثلها, قال: فرعاه بشطر وَسْق ثلاثين صاعا والوَسْق ستون صاعا فقال: «لِيُطْعِمْ سِتّينَ مِسْكِينا وَلِيُرَاجِعْكِ».

26090ـ حدثني محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس, قوله: قَدْ سَمِعَ الله قَوْلَ الّتِي تجادِلُكَ فِي زَوْجِها وَتَشْتَكي إلى اللّهِ... إلى قوله: فإطْعامُ سِتّينَ مِسْكِينا, وذلك أن خولة بنت الصامت امرأة من الأنصار ظاهر منها زوجها, فقال: أنت عليّ مثل ظهر أمي, فأتت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت: إن زوجي كان تزوّجني, وأنا أحَبّ, حتى إذا كبرت ودخلت في السنّ قال: أنت عليّ مثل ظهر أمي, فتركني إلى غير أحد, فإن كنت تجد لي رُخصة يا رسول الله

تَنْعَشني وإياه بها فحدّثني بها, فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ما أُمِرْتُ فِي شأنِكِ بِشَيْءٍ حتى الآنَ, وَلَكِنْ ارْجِعي إلى بَيْتِكِ, فإنْ أُومَرْ بِشَيْءٍ لا أَغْمِمْهُ عَلَيْكِ إنْ شاءَ اللّهُ» فرجعت إلى بيتها, وأنزل الله على رسوله صلى الله عليه وسلم في الكتاب رخصتها ورخصة زوجها: قَدْ سَمِعَ الله قَوْلَ الّتِي تجادِلُكَ فِي زَوْجِها... إلى قوله: وَللكافِرِينَ عَذَابٌ إليمٌ فأرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى زوجها فلما أتاه قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ما أَرَدْتَ إلى يَمِينِكَ الّتِي أَقْسَمْتَ عَلَيْها؟» فقال: وهل لها كفّارة؟ فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: «هَلْ تَسْتَطيعُ أَنْ تُعْتِقَ رَقَبَةً؟» قال: إذا يذهب مالي كله, الرقبة غالية وأنا قليل المال, فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: «فَهَلْ تَسْتَطيعُ أَنْ تَصُومَ شَهْرَيْنِ مُتَتابِعَين؟» قال: لا والله لولا أني آكل في اليوم ثلاث مرّات لكلّ بصري, فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: «هَلْ تَسْتَطيعُ أَنْ تُطعِمَ سِتّينَ مِسْكِينا؟ قال: لا والله إلا أن تعينني على ذلك بعون وصلاة, فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إنّي مُعِينُكَ بِخَمْسَةَ عَشَرَ صَاعا, وأنا دَاعٍ لَكَ بالبَرَكَةِ» فأصلح ذلك بينهما.

قال: وجعل فيه تحرير رقبة لمن كان مُوسرا لا يكفر عنه إلا تحرير رقبة إذا كان موسرا من قبل أن يتماسا, فإن لم يكن موسرا فصيام شهرين متتابعين, لا يصلح له إلا الصوم إذا كان معسرا, إلا أن لا يستطيع, فإن لم يستطع فإطعام ستين مسكينا, وذلك كله قبل الجماع.

26091ـ حدثنا ابن حَميد, قال: حدثنا مهران, عن أبي معشر المدني, عن محمد بن كعب القرظيّ, قال: كانت خولة ابنة ثعلبة تحت أوس بن الصامت, وكان رجلاً به لمم, فقال في بعض هجراته: أنت عليّ كظهر أمي, ثم ندم على ما قال, فقال لها: ما أظنك إلا قد حرمتِ عليّ قالت: لا تقل ذلك, فوالله ما أحبّ الله طلاقا. قالت: أئت رسول الله صلى الله عليه وسلم فسله, فقال: إني أجدني أستحي منه أن أسأله عن هذا, فقالت: فدعني أن أسأله, فقال لها: سليه فجاءت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم, فقالت: يا نبيّ الله إن أوس بن الصامت أبو ولدي, وأحبّ الناس إليّ, قد قال كلمة, والذي أنزل عليك الكتاب ما ذكر طلاقا, قال: أنت عليّ كظهر أمي, فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «ما أَرَاكِ إلاّ قَدْ حَرُمْتِ عَلَيْهِ», قالت: لا تقل ذلك يا نبيّ الله, والله ما ذكر طلاقا فرادت النبي صلى الله عليه وسلم مرارا, ثم قالت: اللهم إنّي أشكو اليوم شدّة حالي ووحدتي, وما يشقّ عليّ من فراقه, اللهم فأنزل على لسان نبيك, فلم تَرِمْ مكانها حتى أنزل الله قَدْ سَمِعَ الله قَوْلَ الّتِي تجادِلُكَ فِي زَوْجِها وَتَشْتَكي إلى اللّهِ إلى أن ذكر الكفارات, فدعاه النبيّ صلى الله عليه وسلم فقال: «أَعْتِقْ رَقَبةً», فقال لا أجد, فقال: «صُمْ شَهْرَيْنِ مُتَتابِعَين» قال: لا أستطيع, إني لأصوم اليوم الواحد فيشقّ عليّ قال: «أَطعِمْ سِتّينَ مِسْكِينا؟» قال: أما هذا فَنَعَمْ.

26092ـ حدثنا ابن عبد الأعلى, قال: حدثنا ابن ثور, عن معمر عن أبي إسحاق قَدْ سَمِعَ الله قَوْلَ الّتِي تجادِلُكَ فِي زَوْجِها قال نزلت في امرأة اسمها خولة, وقال عكرمة اسمها خويلة, ابنة ثعلبة وزوجها أوس بن الصامت جاءت النبيّ صلى الله عليه وسلم, فقالت: إن زوجها جعلها عليه كظهر أمه, فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «ما أَرَاكِ إلاّ قَدْ حَرُمْتِ

عَلَيْهِ», وهو حينئذ يغسل رأسه, فقالت: انظر جُعلت فداك يا نبيّ الله, فقال: «ما أَرَاكِ إلاَّ قَدْ حَرُمْتِ عَلَيْهِ», فقالت: انظر في شأني يا رسول الله, فجعلت تجادله, ثم حوّل رأسه ليغسله, فتحوّلت من الجانب الآخر, فقالت: انظر جعلني الله فداك يا نبيّ الله, فقالت الغاسلة: أقصري حديثك ومخاطبتك يا خويلة, أما ترين وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم متربدا ليوحى إليه؟ فأنزل الله: قَدْ سَمِعَ الله قَوْلَ الّتِي تجادِلُكَ فِي زَوْجِها... حتى بلغ ثُمّ يَعُودونَ لِمَا قالُوا قال قتادة: فحرمها, ثم يريد أن يعود لها فيطأها فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ... حتى بلغ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ قال أيوب: أحسبه ذكره عن عكرمة, أن الرجل قال: يا نبيّ الله ما أجد رقبة, فقال النبيّ صلى الله عليه وسلم: «ما أنا بِزَائِدِك», فأنزل الله عليه: صِيامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَينِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَماسّا فقال: والله يا نبيّ الله ما أطيق الصوم, إني إذا لم آكل في اليوم كذا وكذا أكلة لقيت ولقيت, فجعل يشكو إليه, فقال: «ما أنا بِزَائِدِكَ», فنزلت: فَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَإطْعامُ سِتينَ مِسْكِينا.

26093ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى, قال: حدثنا ابن أبي نجيح, عن مجاهد, في قوله الله عزّ وجلّ: الّتِي تُجادِلُكَ فِي زَوْجِها قال: تجادل محمدا صلى الله عليه وسلم, فهي تشتكي إلى الله عند كبره وكبرها حتى انتفض وانتفض رحمها.

حدثني الحارث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, في قوله الله الّتِي تُجادِلُكَ فِي زَوْجِها قال: محمدا في زوجها قد ظاهر منها, وهي تشتكي إلى الله, ثم ذكر سائر الحديث نحوه.

26094ـ حدثنا عبد الوارث بن عبد الصمد, قال: حدثنا أبي, قال: حدثنا أبان العطار, قال: حدثنا هشام بن عروة, عن عروة, أنه كتب إلى عبد الملك بن مروان: كتبت إليّ تسألني عن خويلة ابنة أوس بن الصامت, وإنها ليست بابنة أوس بن الصامت, ولكنها امرأة أوس, وكان أوس امرأ به لمم, وكان إذا اشتدّ به لممه تظاهر منها, وإذا ذهب عنه لممه لم يقل من ذلك شيئا, فجاءت رسول الله صلى الله عليه وسلم تستفتيه وتشتكي إلى الله, فأنزل الله ما سمعت, وذلك شأنهما.

26095ـ حدثنا ابن بشار, قال: حدثنا وهب بن جرير, قال: حدثنا أبي, قال: سمعت محمد بن إسحاق, يحدّث عن معمر بن عبد الله, عن يوسف بن عبد الله بن سلام, قال: حدثتني خويلة امرأة أوس بن الصامت قالت: كان بيني وبينه شيء, تعنى زوجها, فقال: أنت عليّ كظهر أمي, ثم خرج إلى نادي قومه, ثم رجع فراودني عن نفسي, فقالت: كلا والذي نفسي بيده حتى ينتهي أمري وأمرك إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم, فيقضي فيّ وفيك أمره, وكان شيخا كبيرا رقيقا, فغلبته بما تغلب به المرأة القوية الرجل الضعيف, ثم خرجت إلى جارة لها, فاستعارت ثيابها, فأتت رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى جلست بين يديه, فذكرت له أمره, فما برحت حتى أنزل الوحي على رسول الله صلى الله عليه وسلم, ثم قالت: لا يقدر على ذلك, قال: «إنا سنعينه على ذلك بفرق من تمر» قلت: وأنا أعينه بفرق آخر, فأطعم ستين مسكينا.

26096ـ حدثني أبو السائب, قال: حدثنا أبو معاوية, عن الأعمش, عن تميم, عن عروة, عن عائشة قالت: الحمد لله الذي وسع سمعه الأصوات, لقد جاءت المجادلة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم, وأنا في ناحية

البيت تشكو زوجها ما أسمع ما تقول, فأنزل الله عزّ وجل: قَدْ سَمِعَ الله قَوْلَ الّتِي تجادِلُكَ فِي زَوْجِها وَتَشْتَكي إلى اللّهِ... إلى آخر الآية.

حدثني عيسى بن عثمان الرملي, قال: حدثنا يحيى بن عيسى, عن الأعمش, عن تميم بن سلمة, عن عروة, عن عائشة, قالت: تبارك الذي وسع سمعه الأصوات كلها, إن المرأة لتناجي النبيّ صلى الله عليه وسلم أسمع بعض كلامها, ويخفى عليّ بعض كلامها, إذ أنزل الله قَدْ سَمِعَ الله قَوْلَ الّتِي تجادِلُكَ فِي زَوْجِها.

26097ـ حدثني يحيى بن إبراهيم المسعودي, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن جده, عن الأعمش, عن تميم بن سلمة, عن عروة بن الزبير, قال: قالت عائشة: تبارك الذي وسع سمعه كلّ شيء, إني لأسمع كلام خولة ابنة ثعلبة, ويخفى عليّ بعضه, وهي تشتكي زوجها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهي تقول: يا رسول الله أكل شبابي, ونثرت له بطني, حتى إذا كبر سني, وانقطع ولدي, ظاهر مني, اللهمّ إني أشكو إليك, قال: فما برحت حتى نزل جبريل عليه السلام بهؤلاء الآيات قَدْ سَمِعَ الله قَوْلَ الّتِي تجادِلُكَ فِي زَوْجِها قال: زوجها أوس بن الصامت.

حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا جرير, عن الأعمش, عن تميم بن سلمة, عن عروة, عن عائشة, قالت: الحمد الله الذي وسع سمعه الأصوات, إن خولة تشتكي زوجها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم, فيخفى عليّ أحيانا بعض ما تقول, قالت: فأنزل الله عزّ وجلّ قَدْ سَمِعَ الله قَوْلَ الّتِي تجادِلُكَ فِي زَوْجِها وَتَشْتَكي إلى اللّهِ.

26098ـ حدثنا الربيع بن سليمان, قال: حدثنا أسد بن موسى, قال: حدثنا حماد بن سلمة, عن هشام بن عروة, عن أبيه, عن عائشة, أن جميلة كانت امرأة أوس بن الصامت, وكان أمرأ به لمم, وكان إذا اشتد به لممه ظاهر من امرأته, فأنزل الله عزّ وجلّ آية الظهار.

26099ـ حدثني يحيى بن بشر القرقساني, قال: حدثنا عبد العزيز بن عبد الرحمن الأموي, قال: حدثنا خَصيف, عن مجاهد, عن ابن عباس, قال: كان ظهار الجاهلية طلاقا, فأول من ظاهر في الإسلام أوس بن الصامت أخو عبادة بن الصامت من امرأته الخزرجية, وهي خولة بنت ثعلبة بن مالك فلما ظاهر منها حسبت أن يكون ذلك طلاقا, فأتت به نبيّ الله صلى الله عليه وسلم, فقالت: يا رسول الله إن أوسا ظاهر مني, وإنّا إن افترقنا هلكنا, وقد نثرت بطني منه, وقدمت صحبته فهي تشكو ذلك وتبكي, ولم يكن جاء في ذلك شيء, فأنزل الله عزّ وجلّ: قَدْ سَمِعَ الله قَوْلَ الّتِي تجادِلُكَ فِي زَوْجِها... إلى قوله: وَلِلْكافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ فدعاه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: «أَتَقْدِرُ عَلى رَقَبَةٍ تُعْتقُها؟» فقال: لا والله يا رسول الله, ما أقدر عليها, فجمع له رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أعتق عنه, ثم راجع أهله.

وذُكِر أن ذلك في قراءة عبد الله بن مسعود: «قَدْ سَمِعَ اللّهُ قَوْلَ التِي تُحاوِلُكَ فِي زَوْجِها».

وقوله: وَتَشْتَكي إلى اللّهِ يقول: وتشتكي المجادلة ما لديها من الهمّ بظهار زوجها منها إلى الله وتسأله الفرج وَاللّهُ يَسْمَعُ تَحاوُرَكُما يعني تحاور رسول الله صلى الله عليه وسلم, والمجادلة خولة ابنة ثعلبة إنّ اللّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ

يقول تعالى ذكره: إن الله سميع لما يتجاوبانه ويتحاورانه, وغير ذلك من كلام خلقه, بصير بما يعلمون, ويعمل جميع عباده.

الآية : 2

القول فـي تأويـل قوله تعالى:{الّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنكُمْ مّن نّسَآئِهِمْ مّا هُنّ أُمّهَاتِهِمْ إِنْ أُمّهَاتُهُمْ إِلاّ اللاّئِي وَلَدْنَهُمْ وَإِنّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنكَراً مّنَ الْقَوْلِ وَزُوراً وَإِنّ اللّهَ لَعَفُوّ غَفُورٌ }.

يقول تعالى ذكره: الذين يحرّمون نساءهم على أنفسهم تحريم الله عليهم ظهور أمهاتهم, فيقولون لهنّ: أنتن علينا كظهور أمهاتنا, وذلك كان طلاق الرجل امرأته في الجاهلية. كذلك:

26100ـ حدثني يعقوب, قال: حدثنا ابن علية, قال: حدثنا أيوب, عن أبي قلابة, قال: كان الظهار طلاقا في الجاهلية, الذي إذا تكلم به أحدهم لم يرجع في امرأته أبدا, فأنزل الله عزّ وجلّ فيه ما أنزل.

واختلفت القرّاء في قراءة ذلك, فقرأته عامة قرّاء المدينة سوى نافع, وعامة قرّاء الكوفة خلا عاصم: «يَظّاهَرُونَ» بفتح الياء وتشديد الظاء وإثبات الألف, وكذلك قرأوا الأخرى بمعنى يتظاهرون, ثم أدغمت التاء في الظاء فصارتا ظاء مشدّدة. وذكر أنها في قراءة أُبي: «يَتَظاهَرُونَ» وذلك تصحيح لهذه القراءة وتقوية لها وقرأ ذلك نافع وأبو عمرو وكذلك بفتح الياء وتشديد الظاء, غير أنهما قرآه بغير ألف: «يَظّهّرونَ». وقرأ ذلك عاصم: يُظاهِرُونَ بتخفيف الظاء وضم الياء وإثبات الألف.

والصواب من القول في ذلك عندي أن كلّ هذه القراءات متقاربات المعاني. وأما «يَظّاهَرُونَ» فهو من تظاهر, فهو يتظاهر. وأما «يَظّهّرُونَ» فهو من تظهّر فهو يتظهّر, ثم أدغمت التاء في الظاء فقيل: يظّهر. وأما يُظاهِرُونَ فهو من ظاهر يظاهر, فبأية هذه القراءات الثلاث قرأ ذلك القارىء فمصيب.

وقوله: ما هُنّ أمّهاتِهِمْ يقول تعالى ذكره: ما نساؤهم اللائي يُظاهرن منهنّ بأمهاتهم, فيقولوا لهنّ: أنتن علينا كظهر أمهاتنا, بل هنّ لهم حلال.

وقوله: إنْ أُمّهاتُهُمْ إلاّ اللاّئي وَلَدْنَهُمْ لا اللائي قالوا لهنّ ذلك.

وقوله: وإنّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنْكَرا مِنَ القَوْلِ وَزُورا يقول جلّ ثناؤه: وإن الرجال ليقولون منكرا من القول الذي لا تُعرف صحته وزورا: يعني كذبا, كما:

26101ـ حدثنا ابن عبد الأعلى, قال: حدثنا ابن ثور, عن معمر, عن قتادة مُنْكَرا مِنْ القَوْلِ وَزُورا قال: الزور: الكذب وَإنّ اللّهَ لَعَفُوّ غَفُورٌ يقول جلّ ثناؤه: إن الله لذو عفو وصفح عن ذنوب عباده إذا تابوا منها وأنابوا, غفور لهم أن يعاقبهم عليها بعد التوبة.

الآية : 3

القول فـي تأويـل قوله تعالى: {وَالّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِن نّسَآئِهِمْ ثُمّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُواْ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مّن قَبْلِ أَن يَتَمَآسّا ذَلِكُمْ تُوعَظُونَ بِهِ وَاللّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ }.

يقول جلّ ثناؤه: والذين يقولون لنسائهم: أنتنّ علينا كظهور أمهاتنا.

وقوله: ثُمّ يَعُودُونَ لمَا قالُوا اختلف أهل العلم في معنى العود لما قال المظاهر, فقال بعضهم: هو الرجوع في تحريم ما حرّم على نفسه من زوجته التي كانت له حلالاً قبل تظاهره, فيحلها بعد تحريمه إياها على نفسه بعزمه على غشيانها ووطئها. ذكر من قال ذلك:

26102ـ حدثنا ابن بشار, قال: حدثنا عبد الأعلى, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة ثُمّ يَعُودُونَ لِما قالُوا قال: يريد أن يغشى بعد قوله.
حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, مثله.
حدثنا ابن عبد الأعلى, قال: حدثنا ابن ثور, عن معمر, عن قتادة ثُمّ يَعُودُونَ لِما قالُوا قال: حرّمها, ثم يريد أن يعود لها فيطأها.
وقال آخرون نحو هذا القول, إلا أنهم قالوا: إمساكه إياها بعد تظهيره منها, وتركه فراقها عود منه لما قال, عَزَم على الوطء أو لم يعزم. وكان أبو العالية يقول: معنى قوله: لِمَا قالُوا: فيما قالوا.
26103ـ حدثنا ابن المثنى, قال: ثني عبد الأعلى, قال: حدثنا داود, قال: سمعت أبا العالية يقول في قوله: ثُمّ يَعُودُونَ لِما قالُوا: أي يرجع فيه.
واختلف أهل العربية في معنى ذلك, فقال بعض نحويي البصرة في ذلك المعنى: فتحرير رقبة من قبل أن يتماسا, فمن لم يجد فصيام, فإطعام ستين مسكينا, ثم يعودون لما قالوا إنا لا نفعله فيفعلونه هذا الظهار, يقول: هي عليّ كظهر أمي, وما أشبه هذا من الكلام, فإذا أعتق رقبة أو أطعم ستين مسكينا عاد لما قد قال: هو عليّ حرام يفعله. وكأن قائل هذا القول كان يرى أن هذا من المقدّم الذي معناه التأخير.
وقال بعض نحويي الكوفة ثُمّ يَعُودُونَ لِما قالُوا يصلح فيها في العربية: ثم يعودون إلى ما قالوا, وفيما قالوا, يريدون النكاح, يريد: يرجعون عما قالوا, وفي نقض ما قالوا, قال: ويجوز في العربية أن تقول: إن عاد لما فعل, تريد إن فعل مرّة أخرى, ويجوز إن عاد لما فعل: إن نقض ما فعل, وهو كما تقول: حلف أن يضربك, فيكون معناه: حلف لا يضربك, وحلف ليضربنك.
والصواب من القول في ذلك عندي أن يقال: معنى اللام في قوله لِمَا قالُوا بمعنى إلى أو في, لأن معنى الكلام: ثم يعودون لنقض ما قالوا من التحريم فيحللونه. وإن قيل معناه: ثم يعودون إلى تحليل ما حرّموا, أو في تحليل ما حرّموا فصواب, لأن كلّ ذلك عود له, فتأويل الكلام: ثم يعودون لتحليل ما حرّموا على أنفسهم مما أحله الله لهم.
وقوله: فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِنْ قَبْلِ أنْ يَمَاسّا يقول: فعليه تحرير رقبة, يعني عتق رقبة عبد أو أمة, من قبل أن يماسّ الرجل المظاهر امرأته التي ظاهر منها أو تماسه.
واختلف في المعنى بالمسيس في هذا الموضع نظير اختلافهم في قوله: وَإنْ طَلَّقْتُمُوهُنّ مِنْ قَبْلِ أنْ تَمَسّوهُنّ وقد ذكرنا ذلك هنالك. وسنذكر بعض ما لم نذكره هنالك:
26104ـ حدثني عليّ, قال: حدثنا أبو صالح, قال: ثني معاوية, عن عليّ, عن ابن عباس, في قوله: وَالّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْ نِسائِهِمْ ثُمّ يَعُودُونَ لِمَا قالُوا فهو الرجل يقول لامرأته: أنت عليّ كظهر أمي فإذا قال ذلك, فليس يحلّ له أن يقربها بنكاح ولا غيره حتى يكفر عن يمينه بعتق رقبة فمن لم يجد فصيام شهرين متتابعين من قبل أن يتماسا والمسّ: النكاح فمن لم يستطع فإطعام ستين مسكينا وإن هو قال لها: أنت عليّ كظهر أمي إن فعلت كذا وكذا, فليس يقع في ذلك طهار حتى يحنث, فإن حنث فلا يقربها حتى يكفّر, ولا يقع في الظهار طلاق.
26105ـ حدثنا ابن بشار, قال: حدثنا ابن أبي عديّ, قال: حدثنا أشعث, عن الحسن أنه كان لا يرى بأسا أن يغشى المظاهِرُ دون الفرج.

26106ـ حدثنا عليّ بن سهل, قال: حدثنا زيد, قال: قال سفيان: إنما المظاهرة عن الجماع ولم ير بأسا أن يقضي حاجته دون الفرج أو فوق الفرج, أو حيث يشاء, أو يباشر.
وقال آخرون: عني بذلك كلّ معاني المسيس, وقالوا: الآية على العموم. ذكر من قال ذلك:
26107ـ حدثنا ابن بشار, قال: حدثنا عبد الرحمن, قال: حدثنا وهيب, عن يونس, قال: بلغني عن الحسن أنه كره للمظاهر المسيس.
وقوله: ذَلِكُمْ تُوعَظُونَ بِهِ يقول تعالى ذكره: أوجب ربكم ذلك عليكم عظة لكم تتعظون به, فتنتهون عن الظهار وقول الزور واللّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبُيرٌ يقول تعالى ذكره: والله بأعمالكم التي تعلمونها أيها الناس ذو خبرة لا يخفى عليه شيء منها, وهو مجازيكم عليها, فانتهوا عن قول المنكر والزور.

الآية : 4

القول فـي تأويـل قوله تعالى: {فَمَن لّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ مِن قَبْلِ أن يَتَمَآسّا فَمَن لّمْ يَسْتَطِعْ فَإِطْعَامُ سِتّينَ مِسْكِيناً ذَلِكَ لِتُؤْمِنُواْ بِاللّهِ وَرَسُولِهِ وَتِلْكَ حُدُودُ اللّهِ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ }.
يقول تعالى ذكره: فمن لم يجد منكم ممن ظاهر من امرأته رقبة يحرّرها, فعليه صيام شهرين متتابعين من قبل أن يتماسا والشهران المتتابعان هما اللذان لا فصل بينهما بإفطار في نهار شيء منهما إلا من عذر, فإنه إذا كان الإفطار بالعذر ففيه اختلاف بين أهل العلم, فقال بعضهم: إذا كان إفطاره لعذر فزال العذر بنى على ما مضى من الصوم.
وقال آخرون: بل يستأنف, لأن من أفطر بعذر أو غير عذر لم يتابع صوم شهرين. ذكر من قال: إذا أفطر بعذر وزال العذر بنى وكان متابعا:
26108ـ حدثنا ابن بشار, قال: حدثنا ابن عديّ وعبد الأعلى, عن سعيد, عن قتادة, عن سعيد بن المسيب أنه قال في رجلٍ صام من كفارة الظهار, أو كفارة القتل, ومرِضَ فأفطر, أو أفطر من عذرٍ, قال: عليه أن يقضيَ يوما مكان يوم, ولا يستقبل صومه.
حدثنا ابن المثنى, قال: حدثنا ابن عديّ, عن سعيد, عن قتادة, عن سعيد بن المسيب, بمثله.
26109ـ حدثنا ابن بشار, قال: حدثنا يحيى, عن ابن أبي عروبة, عن قتادة, عن سعيد بن المسيب في المظاهر الذي عليه صوم شهرين متتابعين, فصام شهرا, ثم أفطر, قال: يتمّ ما بقي.
حدثنا ابن المثنى, قال: حدثنا ابن عبد الأعلى, عن سعيد, عن قتادة, عن الحسن وسعيد بن المسيب في رجل صام من كفارة الظهار شهرا أو أكثر ثم مرض, قال: يعتدّ بما مضى إذا كان له عذر.
26110ـ حدثنا ابن بشار, قال: حدثنا سالم بن نوح, قال: حدثنا عمر بن عامر, عن قتادة, عن الحسن في الرجل يكون عليه الصوم في قتل أو نذر أو ظهار, فصام بعضه ثم أفطر, قال: إن كان معذورا فإنه يقضي.
26111ـ حدثنا أبو كُرَيب, قال: حدثنا ابن إدريس, عن هشام, عن الحسن, قال: إن أفطر من عذر أتمّ, وإن كان من غير عذر استأنف.
26112ـ حدثني يعقوب, قال: حدثنا هشيم, عن حجاج, عن عطاء, قال: من كان عليه صوم شهرين متتابعين فمرض فأفطر, قال: يقضي ما بقي عليه.

26113ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: أخبرني ابن جُرَيج, عن عطاء بن أبي رباح وعمرو بن دينار في الرجل يفطر في اليوم الغيم, يظنّ أن الليل قد دخل عليه في الشهرين المتتابعين أنه لا يزيد على أن يبدّله, ولا يستأنف شهرين آخرين.

26114ـ حدثنا أبو كُرَيب, قال: حدثنا ابن أبي زائدة, عن عبد الملك, عن عطاء قال: إن جامع المعتكف وقد بقي عليه أيام من اعتكافه قال: يتمّ ما بقي, والمظاهر كذلك.

26115ـ حدثنا ابن بشار, قال: حدثنا عبد الرحمن, قال: حدثنا سفيان, عن ابن جُرَيج, عن عطاء, قال: إذا كان شيئا ابتلي به بنى على صومه, وإذا كان شيئا هو فعله استأنف, قال: سفيان: هذا معناه.

26116ـ حدثنا عبد الحميد بن بيان, قال: أخبرنا محمد بن يزيد, عن إسماعيل, عن عامر في رجل ظاهر, فصام شهرين متتابعين إلا يومين ثم مرض, قال: يتمّ ما بقي.

حدثنا أبو كُرَيب, قال: حدثنا ابن إدريس, قال: سمعت إسماعيل عن الشعبيّ بنحوه.

حدثنا أبو كُرَيب ويعقوب قالا: حدثنا هشيم, عن إسماعيل, عن الشعبي في رجل عليه صيام شهرين متتابعين, فصام فمرض فأفطر, قال: يقضي ولا يستأنف.

ذكر من قال: يستقبل من أفطر بعذر أو غير عذر:

26117ـ حدثنا ابن بشار, قال: حدثنا عبد الرحمن, قال: حدثنا سفيان, عن مغيرة, عن إبراهيم في رجل عليه صيام شهرين متتابعين فأفطر, قال: يستأنف, والمرأة إذا حاضت فأفطرت تقضي.

حدثني يعقوب, قال: حدثنا هشيم, عن مغيرة, عن إبراهيم, قال: إذا مرض فأفطر استأنف, يعني من كان عليه صوم شهرين متتابعين فمرض فأفطر.

26118ـ حدثنا أبو كُرَيب, قال: حدثنا هشيم, عن جابر, عن أبي جعفر, قال: يستأنف.

وأولى القولين عندنا بالصواب قول من قال: يبني المفطر بعذر, ويستقبل المفطر بغير عذر, لإجماع الجميع على أن المرأة إذا حاضت في صومها الشهرين المتتابعين بعذر, فمثله, لأن إفطار الحائض بسبب حيضها بعذر كان من قِبل الله, فكلّ عذر كان من قبل الله فمثله.

وقوله: فَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فإطْعام سِتّينَ مِسْكِينا يقول تعالى ذكره: فمن لم يستطع منهم الصيام فعليه إطعام ستين مسكينا. وقد بيّنا وجه الإطعام في الكفارات فيما مضى قبل, فأغنى ذلك عن إعادته.

وقوله: ذَلكَ لِتُوءْمِنُوا باللّهِ وَرَسُولِهِ يقول جلّ ثناؤه: هذا الذي فرضتُ على من ظاهر منكم ما فرضت في حال القدرة على الرقبة, ثم خففت عنه مع العجز بالصوم, ومع فقد الاستطاعة على الصوم بالإطعام, وإنما فعلته كي تقرّ الناس بتوحيد الله ورسالة الرسول محمد صلى الله عليه وسلم, ويصدّقوا بذلك, ويعملوا به, وينتهوا عن قول الزور والكذب وَتِلْكَ حُدُودُ الله يقول تعالى ذكره: وهذه الحدود التي حدّها الله لكم, والفروض التي بينها لكم حدود الله فلا تتعدّوها أيها الناس وَللْكافِرِينَ بها, وهم جاحدو هذه

الحدود وغيرها من فرائض الله أن تكون من عند الله عَذَابٌ أَلِيمٌ يقول: عذاب مؤلم.

الآية : 5

القول فـي تأويـل قوله تعالى:{إِنّ الّذِينَ يُحَآدّونَ اللّهَ وَرَسُولَهُ كُبِتُواْ كَمَا كُبِتَ الّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَقَدْ أَنزَلْنَآ آيَاتٍ بَيّنَاتٍ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مّهِينٌ }.

يقول تعالى ذكره: إن الذين يخالفون الله في حدوده وفرائضه, فيجعلون حدودا غير حدوده, وذلك هو المحادّة لله ولرسوله, وأما قتادة فإنه كان يقول في معنى ذلك ما:

26119ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: إنّ الّذِينَ يُحادّونَ الله وَرَسُولَهُ يقول: يعادون الله ورسوله.

وأما قوله: كُبِتُوا كمَا كُبِتَ الّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فإنه يعني: غيظوا وأخزوا كما غيظ الذين من قبلهم من الأمم الذين حادّوا الله ورسوله, وخزُوا. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

26120ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة كُبِتُوا كمَا كُبِتَ الّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ خُزوا كما خزي الذين من قبلهم.

وكان بعض أهل العلم بكلام العرب يقول: معنى كُبِتُوا أهلكوا.

وقال آخر منهم: يقول: معناه غيظوا وأخزوا يوم الخندق كمَا كُبِتَ الّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ يريد من قاتل الأنبياء من قبلهم.

وقوله: وَقَدْ أنْزَلْنا آياتٍ بَيّناتٍ يقول: وقد أنزلنا دلالات مفصلات, وعلامات محكمات تدلّ على حقائق حدود الله.

وقوله: وللْكافِرِينَ عَذَابٌ مُهِينٌ يقول تعالى ذكره: ولجاحدي تلك الآيات البيّنات التي أنزلناها على رسولنا محمد صلى الله عليه وسلم, ومنكريها عذاب يوم القيامة مهين: يعني مذلّ في جهنم.

الآية : 6

القول فـي تأويـل قوله تعالى:{يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللّهُ جَمِيعاً فَيُنَبّئُهُمْ بِمَا عَمِلُواْ أَحْصَاهُ اللّهُ وَنَسُوهُ وَاللّهُ عَلَىَ كُلّ شَيْءٍ شَهِيدٌ }.

يقول تعالى ذكره: وللكافرين عذاب معين في يوم يبعثهم الله جميعا, وذلك يَوْمَ يَبْعَثُهُمْ اللّهُ جَمِيعا من قبورهم لموقف القيامة فَيُنَبّئُهُمْ الله بِمَا عَمِلُوا أحْصَاهُ اللّهُ وَنَسُوهُ يقول تعالى ذكره: أحصى الله ما عملوا, فعدّه عليهم, وأثبته وحفظه, ونسيه عاملوه والله على كلّ شيء شهيد يقول: وَاللّهُ جلّ ثناؤه على كُلّ شَيْء عملوه وغير ذلك من أمر خلقه شهيد يعني شاهد يعلمه ويحيط به فلا يغرب عنه شيء منه.

الآية : 7

القول فـي تأويـل قوله تعالى:{أَلَمْ تَرَ أَنّ اللّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأرْضِ مَا يَكُونُ مِن نّجْوَىَ ثَلاَثَةٍ إِلاّ هُوَ رَابِعُهُمْ وَلاَ خَمْسَةٍ إِلاّ هُوَ سَادِسُهُمْ وَلاَ أَدْنَىَ مِن ذَلِكَ وَلاَ أَكْثَرَ إِلاّ هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُواْ ثُمّ يُنَبّئُهُم بِمَا عَمِلُواْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنّ اللّهَ بِكُلّ شَيْءٍ عَلِيمٌ }.

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: ألم تنظر يا محمد بعين قبلك فترى أنّ اللّهَ يَعْلَمُ ما فِي السّمَوَاتِ وَما فِي الأرْضِ من شيء, لا يخفى عليه صغير ذلك وكبيره يقول جلّ ثناؤه: فكيف يخفى عَلى من كانت هذه صفته أعمال هؤلاء الكافرين وعصيانهم ربهم, ثم وصف جلّ ثناؤه قربه

من عباده وسماعه نجواهم, وما يكتمونه الناس من أحاديثهم, فيتحدثونه سرّا بينهم, فقال: ما يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلاثَةٍ من خلقه إلاّ هُوَ رَابِعُهُمْ يسمع سرّهم ونجواهم, لا يخفى عليه شيء من أسرارهم وَلا خَمْسَةٍ إلاّ هُوَ سادِسُهُمْ يقول: ولا يكون من نجوى خمسة إلا هو سادسهم كذلك وَلا أدْنَى مِنْ ذلكَ يقول: ولا أقلّ من ثلاثة وَلا أكْثَرَ من خمسة إلاّ هُوَ مَعَهُمْ إذا تناجوا أيْنَما كانُوا يقول: في أيّ موضع ومكان كانوا.

وعنى بقوله هُو رَابِعُهُمْ بمعنى أنه مشاهدهم بعلمه, وهو على عرشه, كما:

26121ـ حدثني عبد الله بن أبي زياد, قال: ثني نصر بن ميمون المضروب, قال: حدثنا بكير بن معروف, عن مقاتل بن حيان, عن الضحاك, في قول ما يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلاثَةٍ... إلى قوله هُوَ مَعَهُمْ قال: هو فوق العرش وعلمه معهم أيْنَما كانُوا ثُمّ يُنَبّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ القِيامَة إنّ اللّهَ بِكُلّ شَيْءٍ عَلِيمٌ.

وقوله: ثُمّ يُنَبّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ القِيامَةِ يقول تعالى ذكره: ثم يخبر هؤلاء المتناجين وغيرهم بما عملوا من عمل مما يحبه و يسخطه يوم القيامة إنّ اللّهَ بِكُلّ شَيْءٍ عَلِيمٌ يقول: إن الله بنجواهم وأسرارهم, وسرائر أعمالهم, وغير ذلك من أمورهم وأمور عباده عليم.

واختلفت القرّاء في قراءة قوله: ما يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلاثَةٍ فقرأت قرّاء الأمصار ذلك ما يَكُونُ مِنْ نَجْوَى بالياء, خلا أبي جعفر القارىء, فإنه قرأه: «ما تَكُونُ» بالتاء. والياء هي الصواب في ذلك, لإجماع الحجة عليها, ولصحتها في العربية.

الآية : 8

القول فـي تأويـل قوله تعالى:{أَلَمْ تَرَ إِلَى الّذِينَ نُهُواْ عَنِ النّجْوَىَ ثُمّ يَعُودُونَ لِمَا نُهُواْ عَنْهُ وَيَتَنَاجَوْنَ بِالإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَةِ الرّسُولِ وَإِذَا جَآءُوكَ حَيّوْكَ بِمَا لَمْ يُحَيّكَ بِهِ اللّهُ وَيَقُولُونَ فِيَ أَنفُسِهِمْ لَوْلاَ يُعَذّبُنَا اللّهُ بِمَا نَقُولُ حَسْبُهُمْ جَهَنّمُ يَصْلَوْنَهَا فَبِئْسَ الْمَصِيرُ }.

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: أَلَمْ تَرَ إلى الّذِينَ نُهُوا عَنِ النّجْوَى من اليهود ثُمّ يَعودُون فقد نهى الله عزّ وجلّ إياهم عنها, ويتناجون بينهم بالإثم والعدوان ومعصية الرسول. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

26122ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى, وحدثني الحارث, قال: حدثنا الحسن قال: حدثنا ورقاء, جميعا عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, في قوله أَلَمْ تَرَ إلى الّذِينَ نُهُوا عَن النّجْوَى قال: اليهود.

قوله: ثُمّ يَعُودُونَ لِمَا نُهُوا عَنْهُ يقول جلّ ثناؤه: ثم يرجعون إلى ما نهوا عنه من النجوى وَيَتَناجُونَ بالإثْمِ والعُدْوَانِ وَمَعْصِيَةِ الرّسُولِ يقول جلّ ثناؤه: ويتناجون بما حرّم الله عليهم من الفواحش والعدوان, وذلك خلاف أمر الله ومعصية الرسول محمد صلى الله عليه وسلم.

واختلفت القرّاء في قراءة قوله: وَيَتَناجَوْنَ فقرأت ذلك عامة قرّاء المدينة والبصرة وبعض الكوفيين والبصريين وَيَتَناجَوْنَ على مثال يتفاعلون, وكان يحيى وحمزة والأعمش يقرأون «وَيَنْتَجُونَ» على مثال يفتعلون. واعتلّ الذين قرأوه: يَتَنَاجَوْنَ بقوله: إذَا تَنَاجَيْتُمْ ولم يقل: إذا انتجيتم.

وقوله: وَإذا جاءُوكَ حَيّوْكَ بِمَا لَمْ يُحَيّكَ بِهِ اللّهُ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: وإذا جاءك يا محمد هؤلاء الذين نهوا عن النجوى, الذين وصف الله جلّ ثناؤه صفتهم, حيوك بغير التحية التي جعلها الله لك تحية, وكانت تحيتهم التي كانوا يحيونه بها التي أخبر الله أنه لم يحيه بها فيما جاءت به الأخبار, أنهم كانوا يقولون: السام عليك. ذكر الرواية الواردة بذلك:

26123ـ حدثنا ابن حُمَيد وابن وكيع قالا: حدثنا جرير, عن الأعمش, عن أبي الضحى, عن مسروق, عن عائشة قالت: جاء ناس من اليهود إلى النبيّ صلى الله عليه وسلم, فقالوا: السام عليك يا أبا القاسم, فقلت: السام عليكم, وفعل الله بكم وفعل, فقال النبيّ صلى الله عليه وسلم: «يا عائِشَةُ إنّ اللّهَ لا يُحِبّ الفُحْشَ», فقلت: يا رسول الله, ألست ترى ما يقولون؟ فقال: «أَلَسْتِ تَرَيْنَنِي أرُدّ عَلَيْهِمْ ما يَقُولُونَ؟ أقُول: عَلَيْكُمْ» وهذه الآية في ذلك نزلت وإذَا جاءوكَ حَيّوْكَ بِمَا لَمْ يُحَيّكَ بِهِ الله وَيَقُولُونَ فِي أنْفُسِهِمْ لَوْلا يُعَذّبُنا الله بِمَا نَقُول, حَسْبُهُمْ جَهَنّم يَصْلَوْنَها فَبِئْسَ المَصِير.

حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا مهران, عن سفيان, عن الأعمش, عن أبي الضحى, عن مسروق, عن عائشة قالت: كان اليهود يأتون النبيّ صلى الله عليه وسلم فيقولون: السام عليكم, فيقول: «عَلَيْكمْ» قالت عائشة: السام عليكم وغَضَبُ الله فقال النبيّ صلى الله عليه وسلم: «إنّ اللّهَ لا يحِبّ الفاحِشَ المُتَفَحّشَ», قالت: إنهم يقولون: السام عليكم, قال: «إنّي أقُول: عَلَيْكُمْ», فنزلت: وإذَا جاءوكَ حَيّوْكَ بِمَا لَمْ يُحَيّكَ بِهِ الله قال: فإن اليهود يأتون النبيّ صلى الله عليه وسلم, فيقولون: السام عليكم.

26124ـ حدثنا ابن بشار, قال: حدثنا عبد الرحمن, قال: حدثنا سفيان, عن الأعمش, عن أبي الضحى, عن مسروق وإذَا جاءوكَ حَيّوْكَ بِمَا لَمْ يُحَيّكَ بِهِ اللّهُ قال: كانت اليهود يأتون النبيّ صلى الله عليه وسلم, فيقولون: السام عليكم.

26125ـ حدثني محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس, قوله وإذَا جاءوكَ حَيّوْكَ بِمَا لَمْ يُحَيّكَ بِهِ اللّهُ... إلى فَبِئْسَ المَصِيرُ قال: كان المنافقون يقولون لرسول الله صلى الله عليه وسلم إذا حيوه: سام عليكم, فقال الله حَسْبُهُمْ جَهَنّم يَصْلَوْنَها فَبِئْسَ المَصِير.

26126ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء, جميعا عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, في قوله: وإذَا جاءوكَ حَيّوْكَ بِمَا لَمْ يُحَيّكَ بِهِ اللّهُ قال: يقولون: سام عليكم, قال: هم أيضا يهود.

26127ـ حدثنا ابن عبد الأعلى, قال: حدثنا ابن ثور, عن معمر, عن قتادة, في قوله حَيّوْكَ بِمَا لَمْ يُحَيّكَ بِهِ الله قال: اليهود كانت تقول: سام عليكم.

26128ـ حدثنا ابن عبد الأعلى, قال: حدثنا ابن ثور, عن معمر, عن الزهري أن عائشة فطنت إلى قولهم, فقالت: وعليكم السامة واللعنة, فقال النبيّ صلى الله عليه وسلم: «مَهْلاً يا عائِشَة إنّ اللّهَ يحِبّ الرّفْقَ في الأمْرِ كُلّهِ», فقالت: يا نبيّ الله ألم تسمع ما يقولون؟ قال: «أفَلَمْ تَسْمَعي ما أرَدّ عَلَيْهِمْ؟ أقُول: عَلَيْكُمْ».

26129ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, عن أنس بن مالك أنّ نبيّ الله صلى الله عليه وسلم بينما هو جالس مع أصحابه, إذ أتى عليهم يهوديّ, فسلم عليهم, فردّوا عليه, فقال نبيّ الله صلى الله عليه وسلم: «هَلْ تَدْرُونَ ما قالَ؟» قالوا: سلّم يا رسول الله, قال: «بَلْ قالَ: سأمُ عَلَيْكُمْ, أي تسأمون دينكم», فقال النبيّ صلى الله عليه وسلم: «أقُلْت سأمُ عَلَيْكُمْ؟» قال: نعم, فقال النبيّ صلى الله عليه وسلم: «إذَا سَلّمَ عَلَيْكُمْ أحَدٌ مِنْ أهْلِ الكِتابِ فَقُولُوا وَعَلَيْكَ»: أي عليك ما قلت.

26130ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله: وإذَا جاءوكَ حَيّوْكَ بِمَا لَمْ يُحَيّكَ بِهِ اللّهُ قال: هؤلاء يهود, جاء ثلاثة نفر منهم إلى باب النبيّ صلى الله عليه وسلم, فتناجوا ساعة, ثم استأذن أحدهم, فأذن له النبيّ صلى الله عليه وسلم, فقال: السام عليكم, فقال النبيّ صلى الله عليه وسلم: «عَلَيْكَ», ثُمّ الثاني, ثُمّ الثّالِثُ قال ابن زيد: السام: الموت.

وقوله جلّ ثناؤه: وَيَقُولُونَ فِي أنْفُسِهِمْ لَوْلا يُعَذّبُنا اللّهُ بِمَا نَقُولُ يقول جل ثناؤه: ويقول محيوك بهذه التحية من اليهود: هلا يعاقبنا الله بما نقول لمحمد صلى الله عليه وسلم, فيعجل عقوبته لنا على ذلك, يقول الله: حسبْ قائلي ذلك يا محمد جهنم, وكفاهم بها يصلونها يوم القيامة, فبئس المصير جهنم.

الآية : 9

القول في تأويل قوله تعالى:{يَأَيّهَا الّذِينَ آمَنُوَاْ إِذَا تَنَاجَيْتُمْ فَلاَ تَتَنَاجَوْاْ بِالإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَةِ الرّسُولِ وَتَنَاجَوْاْ بِالْبِرّ وَالتّقْوَىَ وَاتّقُواْ اللّهَ الّذِيَ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ }.

يقول تعالى ذكره: يا أيها الذين صدّقوا الله ورسوله إذَا تَناجَيْتُمْ بينكم فَلا تَتَناجَوْا بالإثْمِ وَالعُدْوَانِ وَمَعْصِيَةِ الرّسُولِ وَ لكن تَنَاجَوْا بالْبِرّ يعني طاعة الله وما يقرّبكم منه والتّقْوَى يقول: وباتقائه بأداء ما كلّفكم من فرائضه واجتناب معاصيه وَاتّقُوا اللّهَ الّذِي إلَيْهِ تُحْشَرونَ يقول: وخافوا الله الذي إليه مصيركم, وعنده مجتمعكم في تضييع فرائضه, والتقدّم على معاصيه أن يعاقبكم عليه عند مصيركم إليه.

الآية : 10

القول في تأويل قوله تعالى:{إِنّمَا النّجْوَىَ مِنَ الشّيْطَانِ لِيَحْزُنَ الّذِينَ آمَنُواْ وَلَيْسَ بِضَآرّهِمْ شَيْئاً إِلاّ بِإِذْنِ اللّهِ وَعَلَى اللّهِ فَلْيَتَوَكّلِ الْمُؤْمِنُونَ }.

يقول تعالى ذكره: إنما المناجاة من الشيطان, ثم اختلف أهل العلم في النجوى التي أخبر الله أنها من الشيطان, أيّ ذلك هو, فقال بعضهم: عُنِي بذلك مناجاة المنافقين بعضهم بعضا. ذكر من قال ذلك:

26131ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: إنّمَا النّجْوَى مِن الشّيْطان لِيَحْزُنَ الّذِينَ آمَنُوا كان المنافقون يتناجون بينهم, وكان ذلك يغيظ المؤمنين, ويكبر عليهم, فأنزل الله في ذلك القرآن إنّمَا النّجْوَى مِن الشّيْطان لِيَحْزُنَ الّذِينَ آمَنُوا وَلَيْسَ بِضَارّهِمْ شَيْئا... الآية.

وقال آخرون بما:

26132ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قول الله عزّ وجلّ إنّمَا النّجْوَى مِنَ الشّيْطانِ لِيَحْزُنَ الّذِينَ آمَنُوا وَلَيْسَ بِضَارّهِمْ شَيْئا إلاّ بإذْنِ اللّهِ قال: كان الرجل يأتي رسول الله صلى الله عليه وسلم يسأله الحاجة ليرى الناس أنه قد ناجى رسول الله صلى الله عليه وسلم,

قال: وكان النبيّ صلى الله عليه وسلم لا يمنع ذلك من أحد. قال: والأرض يومئذ حرب على أهل هذا البلد, وكان إبليس يأتي القوم فيقول لهم: إنما يتناجون في أمور قد حضرت, وجموع قد جمعت لكم وأشياء, فقال الله: إنّمَا النّجْوَى مِنَ الشّيْطانِ لِيَحْزُنَ الّذِينَ آمَنُوا... إلى آخر الآية.

26133ـ حدثنا ابن عبد الأعلى, قال: حدثنا ابن ثور, عن معمر, قال: كان المسلمون إذا رأوا المنافقين خلوا يتناجون, يشقّ عليهم, فنزلت إنّمَا النّجْوَى مِنَ الشّيْطانِ لِيَحْزُنَ الّذِينَ آمَنُوا.

وقال آخرون: عُنِي بذلك أحلام النوم التي يراها الإنسان في نومه فتحزنه. ذكر من قال ذلك:

26134ـ حدثنا ابن حُمَيد, قال: حدثنا يحيى بن داود البلخي, قال: سئل عطية, وأنا أسمع الرؤيا, فقال: الرؤيا على ثلاث منازل, فمنها وسوسة الشيطان, فذلك قوله إنّمَا النّجْوَى مِنَ الشّيْطَانِ ومنها ما يحدّث نفسه بالنهار فيراه بالليل ومنها كالأخذ باليد.

وأولى الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال: عُنِي به مناجاة المنافقين بعضهم بعضا بالإثم والعدوان, وذلك أن الله جلّ ثناؤه تقدم بالنهي عنها بقوله إذَا تَناجَيْتُمْ فَلا تَتَناجَوْا بالإثْم والعُدْوَانِ وَمَعْصِيَةِ الرّسُولِ ثم عما في ذلك من المكروه على أهل الإيمان, وعن سبب نهيه إياهم عنه, فقال: إنّمَا النّجْوَى مِنَ الشّيْطانِ لِيَحْزُنَ الّذِينَ آمَنُوا فبين بذلك إذ كان النهي عن رؤية المرء في منامه كان كذلك, وكان عقيب نهيه عن النجوى بصفة أنه من صفة ما نهى عنه.

وقوله: وَلَيْسَ بِضَارّهِمْ شَيْئا إلاّ بإذْنِ اللّهِ يقول تعالى ذكره: وليس التناجي بضارّ المؤمنين شيئا إلا بإذن الله, يعني بقضاء الله وقَدَره.

وقوله وَعَلى اللّهِ فَلْيَتَوَكّلِ المُوءْمِنُونَ يقول تعالى ذكره: وعلى الله فليتوكل في أمورهم أهل الإيمان به, ولا يحزنوا من تناجي المنافقين ومن يكيدهم بذلك, وأن تناجيهم غير ضارّهم إذا حفظهم ربهم.

الآية : 11

القول فـي تأويـل قوله تعالى:{يَأَيّهَا الّذِينَ آمَنُواْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسّحُواْ فِي الْمَجَالِسِ فَافْسَحُواْ يَفْسَحِ اللّهُ لَكُمْ وَإِذَا قِيلَ انشُزُواْ فَانشُزُواْ يَرْفَعِ اللّهُ الّذِينَ آمَنُواْ مِنكُمْ وَالّذِينَ أُوتُواْ الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ }.

يقول تعالى ذكره: يا أيها الذين صدّقوا الله ورسوله إذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسّحُوا فِي المَجالِسِ يعني بقوله تفسّحُوا توسعوا من قولهم مكان فسيح إذا كان واسعا.

واختلف أهل التأويل في المجلس الذي أمر الله المؤمنين بالتفسح فيه, فقال بعضهم: ذلك كان مجلس النبيّ صلى الله عليه وسلم خاصة. ذكر من قال ذلك:

26135ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, قوله: تَفَسّحُوا فِي المجالس قال: مجلس النبيّ صلى الله عليه وسلم كان يقال ذاك خاصة.

حدثنا الحارث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, مثله.

26136ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: يا أيّها الّذِينَ آمَنُوا إذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسّحُوا فِي المجالس... الآية, كانوا إذا رأوا

من جاءهم مقبلاً ضنّوا بمجلسهم عند رسول الله صلى الله عليه وسلم, فأمرهم أن يفسح بعضهم لبعض.
26137ـ حُدثت عن الحسين, قال: سمعت أبا معاذ يقول: أخبرنا عبيد, قال: سمعت الضحاك يقول, في قوله: إذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسّحُوا فِي المجالس قال: كان هذا للنبيّ صلى الله عليه وسلم ومن حوله خاصة يقول: استوسعوا حتى يصيب كلّ رجل منكم مجلسا من النبيّ صلى الله عليه وسلم, وهي أيضا مقاعد للقتال.
حدثنا ابن عبد الأعلى, قال: حدثنا ابن ثور, عن معمر, عن قتادة, في قوله تَفَسّحُوا فِي المَجْلِسِ قال: كان الناس يتنافسون في مجلس النبيّ صلى الله عليه وسلم فقيلَ لهم: إذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسّحُوا فِي المَجْلِس فافْسَحُوا.
26138ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قول الله: إذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسّحُوا فِي المَجالِس فافْسَحُوا يَفْسَحِ اللّهُ لَكُمْ قال: هذا مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم, كان الرجل يأتي فيقول: افسحوا لي رحمكم الله, فيضنّ كلّ أحد منهم بقربه من رسول الله صلى الله عليه وسلم, فأمرهم الله بذلك, ورأى أنه خير لهم.
وقال آخرون: بل عُنِي بذلك في مجالس القتال إذا اصطفوا للحرب. ذكر من قال ذلك:
26139ـ حدثني محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس, قوله: يا أيّها الّذِينَ آمَنُوا إذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسّحُوا فِي المجالس يَفْسَحِ اللّهُ لَكُمْ قال: ذلك في مجلس القتال.
والصواب من القول في ذلك أن يقال: إن الله تعالى ذكره أمر المؤمنين أن يتفسحوا في المجلس, ولم يخصص بذلك مجلس النبيّ صلى الله عليه وسلم دون مجلس القتال, وكلا الموضعين يقال له مجلس, فذلك على جميع المجالس من مجالس رسول الله صلى الله عليه وسلم ومجالس القتال.
واختلفت القرّاء في قراءة ذلك, فقرأته عامة قرّاء الأمصار: «تَفَسّحُوا فِي المجْلِسِ» على التوحيد غير الحسن البصري وعاصم, فإنهما قرآ ذلك فِي المَجالِسِ على الجماع. وبالتوحيد قراءة ذلك عندنا لإجماع الحجة من القرّاء عليه.
وقوله: فافْسَحُوا يقول: فوسعوا يَفْسَحِ اللّهُ لَكُمْ يقول: يوسع الله منازلكم في الجنة وإذَا قِيلَ انْشُزُوا فانْشُزُوا يقول تعالى ذكره: وإذا قيل ارتفعوا, وإنما يُراد بذلك: وإذا قيل لكم قوموا إلى قتال عدوّ, أو صلاة, أو عمل خير, أو تفرّقوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم, فقوموا. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:
26140ـ حدثني محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس وَإذَا قِيلَ انْشُزُوا فانْشُزُوا إلى وَاللّهُ بِمَا تَعْمَلونَ خَبِيرٌ قال: إذا قيل: انشزوا فانشزوا إلى الخير والصلاة.
26141ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء, جميعا عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, في قوله: فانْشُزُوا قال: إلى كلّ خير, قتال عدّو, أو أمر بالمعروف, أو حقّ ما كان.

26142ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: وَإِذَا قِيلَ انْشُزُوا فانْشُزُوا يقول: إذا دعيتم إلى خير فأجيبوا. وقال الحسن: هذا كله في الغزو.
26143ـ حُدثت عن الحسين, قال: سمعت أبا معاذ يقول: حدثنا عبيد, قال: سمعت الضحاك يقول في قوله: وَإِذَا قِيلَ انْشُزُوا فانْشُزُوا كان إذا نودي للصلاة تثاقل رجال, فأمرهم الله إذا نودي للصلاة أن يرتفعوا إليها, يقوموا إليها.
26144ـ وحدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله وَإِذَا قِيلَ انْشُزُوا فانْشُزُوا قال: انشزوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم, قال: هذا في بيته إذا قيل انشزوا, فارتفعوا عن النبيّ صلى الله عليه وسلم, فإن له حوائج, فأحبّ كلّ رجل منهم أن يكون آخر عهده برسول الله صلى الله عليه وسلم, فقال: وَإِذَا قِيلَ انْشُزُوا فانْشُزُوا.
وإنما اخترت التأويل الذي قلت في ذلك, لأن الله عزّ وجلّ أمر المؤمنين إذا قيل لهم انشزوا, أن ينشزوا, فعمّ بذلك الأمر جميع معاني النشوز من الخيرات, فذلك على عمومه حتى يخصه ما يجب التسليم له.
واختلفت القرّاء في قراة ذلك, فقرأته عامة قرّاء المدينة فانْشُزُوا بضم الشين, وقرأ ذلك عامة قرّاء الكوفة والبصرة بكسرها.
والصواب من القول في ذلك أنهما قراءتان معروفتان, ولغتان مشهورتان بمنزلة يعكُفون ويعكِفون, ويعرُشون ويعرشون, فبأيّ القراءتين قرأ القارىء فمصيب.
وقوله: يَرْفَعِ اللَّهُ الّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالّذِينَ أُوتُوا العِلْم دَرَجاتٍ يقول تعالى ذكره: يرفع الله المؤمنين منكم أيها القوم بطاعتهم ربهم فما أمرهم به من التفسح في المجلس إذا قيل لهم تفسحوا, أو بنشوزهم إلى الخيرات إذا قيل لهم انشزوا إليها, ويرفع الله الذين أوتوا العلم من أهل الإيمان على المؤمنين الذين يؤتوا العلم بفضل علمهم درجات, إذا عملوا بما أمروا به, كما:
26145ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: يَرْفَعِ اللَّهُ الّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالّذِينَ أُوتُوا العِلْم دَرَجاتٍ إن بالعلم لأهله فضلاً, وإن له على أهله حقا, ولعمري للحقّ عليك أيها العالم فضل, والله معطى كل ذي فضل فضله.
وكان مطرف بن عبد الله بن الشّخّير يقول: فضل العلم أحبّ إليّ من فضل العبادة, وخير دينكم الورع.
وكان عبد الله بن مطرف يقول: إنك لتلقى الرجلين أحدهما أكثر صوما وصلاة وصدقة, والآخر أفضل منه بونا بعيدا, قيل له: وكيف ذاك؟ فقال: هو أشدّهما ورعا لله عن محارمه.
26146ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله يَرْفَعِ اللَّهُ الّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالّذِينَ أُوتُوا العِلْم دَرَجاتٍ في دينهم إذا فعلوا ما أمروا به.
وقوله: واللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ يقول تعالى ذكره: والله بأعمالكم أيها الناس ذو خبرة, لا يخفى عليه المطيع منكم ربه من العاصي, وهو مجاز جميعكم بعمله المحسن بإحسانه, والمسيىء بالذي هو أهله, أو يعفو.
الآية : 12

القول فـي تأويـل قوله تعالى:{يَأَيّهَا الّذِينَ آمَنُواْ إِذَا نَاجَيْتُمُ الرّسُولَ فَقَدّمُواْ بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَةً ذَلِكَ خَيْرٌ لّكُمْ وَأَطْهَرُ فَإِن لّمْ تَجِدُواْ فَإِنّ اللّهَ غَفُورٌ رّحِيمٌ }.

يقول تعالى ذكره: ياأيها الذين صدقوا الله ورسوله, إذا ناجيتم رسول الله, فقدّموا أمام نجواكم صدقة تتصدّقون بها على أهل المسكنة والحاجة ذَلكَ خَيْرٌ لَكُمْ يقول: وتقديمكم الصدقة أمام نجواكم رسول الله صلى الله عليه وسلم, خير لكم عند الله وأطْهَرُ لقلوبكم من المآثم. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

26147ـ حدثني محمد بن عمر, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء, جميعا عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, في قوله: فَقَدّمُوا بَينَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَةً قال: نُهُوا عن مناجاة النبيّ صلى الله عليه وسلم حتى يتصدّقوا, فلم يناجه إلا عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه, قدّم دينارا فتصدّق به, ثم أنزلت الرّخصة في ذلك.

26148ـ حدثنا محمد بن عبيد بن محمد المحاربي, قال: حدثنا المطلب بن زياد, عن ليث, عن مجاهد, قال: قال عليّ رضي الله عنه: إن في كتاب الله عزّ وجلّ لآية ما عمل بها أحد قبلي, ولا يعمل بها أحد بعدي: يا أيّها الّذِينَ آمَنُوا إذَا ناجَيْتُمُ الرّسُولَ فَقَدّمُوا بَينَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَة قال: فُرضت, ثم نُسخت.

حدثني موسى بن عبد الرحمن المسروقي, قال: حدثنا أبو أسامة, عن شبل بن عباد, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, في قوله: يا أيّها الّذِينَ آمَنُوا إذَا ناجَيْتُمُ الرّسُولَ فَقَدّمُوا بَينَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَة قال: نهوا عن مناجاة النبيّ صلى الله عليه وسلم حتى يتصدّقوا, فلم يناجه إلا عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه, قدّم دينارا صدقةً تصدّق به, ثم أنزلت الرخصة.

حدثنا أبو كريب, قال: حدثنا ابن إدريس, قال: سمعت ليثا, عن مجاهد, قال: قال عليّ رضي الله عنه: آية من كتاب الله لم يعمل بها أحد قبلي, ولا يعمل بها أحد بعدي, كان عندي دينار فصرفته بعشرة دراهم, فكنت إذا جئت إلى النبيّ صلى الله عليه وسلم تصدقت بدرهم, فنسخت فلم يعمل بها أحد قبلي يا أيّها الّذِينَ آمَنُوا إذَا ناجَيْتُمُ الرّسُولَ فَقَدّمُوا بَينَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَة.

26149ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة يا أيّها الّذِينَ آمَنُوا إذَا ناجَيْتُمُ الرّسُولَ فَقَدّمُوا بَينَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَةً قال: سأل الناس رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أحفوه بالمسألة, فوعظهم الله بهذه الآية. وكان الرجل تكون له الحاجة إلى نبيّ الله صلى الله عليه وسلم, فلا يستطيع أن يقضيها حتى يقدّم بين يديه صدقة, فاشتد ذلك عليهم, فأنزل الله عزّ وجل الرخصة بعد ذلك فإنْ لَمْ تَجِدُوا فإنّ اللّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ.

حدثنا ابن عبد الأعلى, قال: حدثنا ابن ثور, عن معمر, عن قتادة إذَا ناجَيْتُمُ الرّسُولَ فَقَدّمُوا بَينَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَةً قال: إنها منسوخة ما كانت إلا ساعة من نهار.

26150ـ حدثني محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس, قوله: يا أيّها الّذِينَ آمَنُوا إذَا ناجَيْتُمُ الرّسُولَ فَقَدّمُوا بَينَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَةً... إلى فإنّ اللّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ قال: كان المسلمون يقدّمُونَ بين يدي النجوى صدقة, فلما نزلت الزكاة نُسخ هذا.

26151ـ حدثني عليّ, قال: حدثنا أبو صالح, قال: ثني معاوية, عن عليّ, عن ابن عباس, قوله: فَقَدّمُوا بَينَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَةً وذاك أن المسلمين أكثروا المسائل على رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى شقوا عليه, فأراد الله أن يخفف عن نبيه فلما قال ذلك صبر كثير من الناس, وكفوا عن المسألة, فأنزل الله بعد هذا فإذَا لَمْ تَفْعَلُوا وَتابَ اللّهُ عَلَيْكُمْ فأقِيمُوا الصّلاةَ وآتُوا الزّكاةَ فوسّع الله عليهم, ولم يضيق.

26152ـ حدثنا ابن حُمَيد, قال: حدثنا مهران, عن سفيان, عن عثمان بن أبي المغيرة, عن سالم بن أبي الجعد, عن عليّ بن علقمة الأنماريّ, عن عليّ, قال: قال النبيّ صلى الله عليه وسلم: «ما تَرَى؟ دِينارٌ؟» قال: لا يطيقون, قال: «نِصْفُ دِينارٍ؟» قال: «ما تَرَى؟» قال: شعيرة, فقال له النبيّ صلى الله عليه وسلم: «إنّكَ لَزَهِيدٌ» قال عليّ رضي الله عنه: فبي خفف الله عن هذه الأمة, وقوله: إذَا ناجَيْتُمُ الرّسُولَ فَقَدّمُوا بَينَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَةً فنزلت أأشْفَقْتُمْ أنْ تُقدّمُوا بَينَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقاتٍ.

26153ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله: يا أيّها الّذِينَ آمَنُوا إذَا ناجَيْتُمُ الرّسُولَ فَقَدّمُوا بَينَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَةً لئلا يناجي أهل الباطل رسول الله صلى الله عليه وسلم, فيشُقّ ذلك على أهل الحقّ, قالوا: يا رسول الله ما نستطيع ذلك ولا نطيقه, فقال الله عزّ وجلّ: أأشْفَقْتُمْ أنْ تُقدّمُوا بَينَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقاتٍ فإذْ لَمْ تَفْعَلُوا وَتابَ اللّهُ عَلَيْكُمْ فأقِيمُوا الصّلاَةَ وآتُوا الزّكاةَ وقال: لا خَيْرَ في كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَاهُمْ, إلاّ مَنْ أمَرَ بِصدَقَةٍ أوْ مَعْرُوفٍ أوْ إصْلاحٍ بَيْنَ النّاسِ, من جاء يناجيك في هذا فاقبل مناجاته, ومن جاء يناجيك في غير هذا فاقطع أنت ذاك عنه لا تناجه.

قال: وكان المنافقون ربما ناجوا فيما لا حاجة لهم فيه, فقال الله عزّ وجلّ: ألَمْ تَرَ إلى الّذِينَ نَهُوا عَنِ النّجْوَى ثُمّ يَعُودُونَ لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَيَتَناجَوْنَ بالإثْمِ والعُدْوَانِ وَمَعْصِيَةِ الرّسُولِ قال: لأن الخبيث يدخل في ذلك.

26154ـ حدثنا ابن حُمَيد, قال: حدثنا يحيى بن واضح, عن الحسين, عن يزيد, عن عكرمة والحسن البصري قالا: قال في المجادلة: إذَا ناجَيْتُمُ الرّسُولَ فَقَدّمُوا بَينَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَة ذلكَ خَيْرٌ لَكُمْ وأطْهَرُ فإنْ لَمْ تَجدُوا فإنّ اللّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ فنسختها الآية التي بعدها, فقال: أأشْفَقْتُمْ أنْ تُقدّمُوا بَينَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقاتٍ فإذْ لَمْ تَفْعَلُوا وَتابَ اللّهُ عَلَيْكُمْ فأقِيمُوا الصّلاة وآتُوا الزّكاةَ وأطِيعُوا اللّهَ وَرَسُولَهُ وَاللهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ.

وقوله: فإنْ لَمْ تَجِدُوا يقول تعالى ذكره: فإن لم تجدوا ما تتصدّقُون به أمام مناجاتكم رسول الله صلى الله عليه وسلم فإنّ اللّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ يقول: فإن الله ذو عفو عن ذنوبكم إذا تبتم منها, رحيم بكم أن يعاقبكم عليها بعد التوبة, وغير مؤاخذكم بمناجاتكم رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل أن تقدّموا بين يدي نجواكم إياه صدقة.

الآية : 13

القول فـي تأويـل قوله تعالى:{أَأَشْفَقْتُمْ أَن تُقَدّمُواْ بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَاتٍ فَإِذْ لَمْ تَفْعَلُواْ وَتَابَ اللّهُ عَلَيْكُمْ فَأَقِيمُواْ الصّلاَةَ وَآتُواْ الزّكَاةَ وَأَطِيعُواْ اللّهَ وَرَسُولَهُ وَاللّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ }.

يقول تعالى ذكره: أشقّ عليكم وخشيتم أيها المؤمنون بأن تقدموا بين يدي نجواكم رسول الله صلى الله عليه وسلم صدقات الفاقة, وأصل الإشفاق في كلام العرب: الخوف والحذر, ومعناه في هذا الموضع: أخشيتم

بتقديم الصدقة الفاقة والفقر. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

26155ـ حدثني محمد بن عمر, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء, جميعا عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد أأَشْفَقْتُمْ قال: شقّ عليكم تقديم الصدقة, فقد وُضِعَتْ عنكم, وأمروا بمناجاة رسول الله صلى الله عليه وسلم بغير صدقة حين شقّ عليهم ذلك.

حدثني موسى بن عبد الرحمن المسروقي, قال: حدثنا أبو أُسامة, عن شبل بن عباد المكّي, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, مثله.

26156ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة أأَشْفَقْتُمْ أنْ تُقدّمُوا بَينَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقاتٍ فإذْ لَمْ تَفْعَلُوا وَتابَ اللّهُ عَلَيْكُمْ فأقِيمُوا الصّلاة وآتُوا الزّكاةَ فريضتان واجبتان لا رجعة لأحد فيهما, فنسخت هذه الآية ما كان قبلها من أمر الصدقة في النجوى.

وقوله: فإذْ لَمْ تَفْعَلُوا وَتابَ اللّهُ عَلَيْكُمْ يقول تعالى ذكره: فإذ لم تقدّموا بين يدي نجواكم صدقات, ورزقكم الله التوبة من تركككم ذلك, فأدّوا فرائض الله التي أوجبها عليكم, ولم يضعها عنكم من الصلاة والزكاة, وأطيعوا الله ورسوله, فيما أمركم به, وفيما نهاكم عنه.

وَاللّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلونَ يقول جلّ ثناؤه: والله ذو خبرة وعلم بأعمالكم, وهو محصيها عليكم ليجازيكم بها.

الآية : 14

القول فـي تأويـل قوله تعالى:{أَلَمْ تَرَ إِلَى الّذِينَ تَوَلّوْاْ قَوْماً غَضِبَ اللّهُ عَلَيْهِم مّا هُم مّنكُمْ وَلاَ مِنْهُمْ وَيَحْلِفُونَ عَلَى الْكَذِبِ وَهُمْ يَعْلَمُونَ }.

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: ألم تنظر بعين قلبك يا محمد, فترى إلى القوم الذين. تولّوْا قوما غضب الله عليهم, وهم المنافقون تولّوا اليهود وناصحوهم, كما:

26157ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: أَلَمْ تَرَ إلى الّذِينَ تَوَلّوْا قَوْما غَضِبَ اللّهُ عَلَيْهِمْ إلى آخر الآية, قال: هم المنافقون تولّوا اليهود وناصحوهم.

حدثنا ابن عبد الأعلى, قال: حدثنا ابن ثور, عن معمر, عن قتادة تَوَلّوْا قَوْما غَضِبَ الله عَلَيْهِمْ قال: هم اليهود تولاهم المنافقون.

26158ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قول الله عزّ وجلّ أَلَمْ تَرَ إلى الّذِينَ تَوَلّوْا قَوْما غَضِبَ اللّهُ عَلَيْهِمْ ما هُمْ مِنْكُمْ وَلا مِنْهُمْ قال: هؤلاء كفرة أهل الكتاب اليهود والذين تولوهم المنافقون تولوا اليهود, وقرأ قول الله: أَلَمْ تَرَ إلى الّذِينَ نافَقُوا يَقُولُونَ لإخْوَانِهِمُ الّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الكِتابِ حتى بلغ وَاللّهُ يَشْهَدُ إنّهُمْ لَكاذِبُونَ لئن كانَ ذلكَ لا يَفْعَلُونَ وقال: هؤلاء المنافقون قالوا: لا ندع حلفاءنا وموالينا يكونوا معا لنصرتنا وعزّنا, ومن يدفع عنا نخشى أن تصيبنا دائرة, فقال الله عزّ وجلّ: فَعَسَى اللّهُ أنْ يأتِي بالفَتْحِ أوْ أمْرٍ مِنْ عِنْدِهِ حتى بلغ: فِي صُدُورِهِمْ مِنَ اللّهِ وقرأ حتى بلغ: أوْ مِنْ وَرَاءِ جُدُرٍ قال: لا يَبرزون.

قوله: ما هُمْ مِنْكُمْ يقول تعالى ذكره: ما هؤلاء الذين تولّوا هؤلاء القوم الذين غضب الله عليهم, منكم يعني: من أهل دينكم وملتكم, ولا منهم ولا هم من اليهود الذين غضب الله عليهم, وإنما وصفهم بذلك منكم جلّ ثناؤه

لأنهم منافقون إذا لقوا اليهود, قالوا أنّا مَعَكمْ إنّما نَحنُ مُسْتَهزئون وَإذا لَقُوا الذّين آمَنُوا قَالوَا آمَنّا.
وقوله ويَحْلِفُونَ على الكَذِبِ وَهُمْ يَعْلَمُونَ يقول تعالى ذكره: ويحلفون على الكذب, وذلك قولهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم: نشهد إنك لرسول الله وهم كاذبون غير مصدّقين به, ولا مؤمنين به, كما قال جلّ ثناؤه: وَاللّهُ يَشْهَدُ إنّ المُنافِقِينَ لَكاذِبُونَ وقد ذُكِر أن هذه الآية نزلت في رجل منهم عاتبه رسول الله صلى الله عليه وسلم على أمر بلغه عنه, فحلف كذبا. ذكر الخبر الذي رُوي بذلك:
26159ـ حدثنا ابن المثنى, قال: حدثنا محمد بن جعفر, قال: حدثنا شعبة, عن سماك, عن سعيد بن جُبَير, عن ابن عباس, قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «يَدْخُلُ عَلَيْكُمْ رَجُلٌ يَنْظُرُ بعَيْنِ شَيْطانٍ, أو بعَيْنَيْ شَيْطانٍ», قال: فدخل رجل أزرق, فقال له: «علامَ تسبني أو تشتمني؟» قال: فجعل يحلف, قال: فنزلت هذه الآية التي في المجادلة: وَيحْلِفُونَ على الكَذِبِ وَهَمْ يَعْلَمُونَ والآية الأخرى.

الآية : 15-16

القول فـي تأويـل قوله تعالى:{أَعَدّ اللّهُ لَهُمْ عَذَاباً شَدِيداً إنّهُمْ سَآءَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ * اتّخَذُوَاْ أَيْمَانَهُمْ جُنّةً فَصَدّواْ عَن سَبِيلِ اللّهِ فَلَهُمْ عَذَابٌ مّهِينٌ }.
يقول تعالى ذكره: أعدّ الله لهؤلاء المنافقين الذين تولّوُا اليهود عذابا في الآخرة شديدا إنّهُمْ ما كانُوا يَعْمَلُونَ في الدنيا بغشهم المسلمين. ونصحهم لأعدائهم من اليهود.
وقوله: اتّخَذُوا أيمانَهُمْ جُنّةً يقول جلّ ثناؤه: جعلوا حلفهم وأيمانهم جنة يسجنون بها من القتل ويدفعون بها عن أنفسهم وأموالهم وذراريهم, وذلك أنهم إذا اطلع منهم على النفاق, حلفوا للمؤمنين بالله إنهم لمنهم فَصَدّوا عَنْ سَبِيلِ اللّهِ يقول جلّ ثناؤه: فصدّوا بأيمانهم التي اتخذوها جنة المؤمنين عن سبيل الله فيهم, وذلك أنهم كفرة, وحكم الله وسبيله في أهل الكفر به من أهل الكتاب القتل, أو أخذ الجزية, وفي عبدة الأوثان القتل, فالمنافقون يصدّون المؤمنين عن سبيل الله فيهم بأيمانهم إنهم مؤمنون, وإنهم منهم, فيحولون بذلك بينهم وبين قتلهم, ويمتنعون به مما يمتنع منه أهل الإيمان بالله.
وقوله فَلَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ يقول: فلهم عذاب مُذِلّ لهم في النار.

الآية : 17

القول فـي تأويـل قوله تعالى:{لّن تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلاَ أَوْلاَدُهُمْ مّنَ اللّهِ شَيْئاً أُوْلَـئِكَ أَصْحَابُ النّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ }.
يقول تعالى ذكره: لن تغني عن هؤلاء المنافقين يوم القيامة أموالهم, فيفتدوا بها من عذاب الله المهين لهم ولا أولادهم, فينصرونهم ويستنقذونهم من الله إذا عاقبهم أُولَئِكَ أصحَابُ النّارِ يقول: هؤلاء الذين تولوا قوما غضب الله عليهم, وهم المنافقون أصحاب النار, يعني أهلها الذين هم فيها خالدون, يقول: هم في النار ماكثون إلى غير نهاية.

الآية : 18

القول فـي تأويـل قوله تعالى:{يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللّهِ جَمِيعاً فَيَحْلِفُونَ لَهُ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ وَيَحْسَبُونَ أَنّهُمْ عَلَىَ شَيْءٍ أَلاَ إِنّهُمْ هُمُ الْكَاذِبُونَ }.

يقول تعالى ذكره: هؤلاء الذين ذكرهم هم أصحاب النار, يوم يبعثهم الله جميعا, فيوم من صلة أصحاب النار. وعُني بقوله يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللّهُ جَمِيعا من قبورهم أحياء كهيئاتهم قبل مماتهم, فيحلفون له كما يحلفون لكم كاذبين مبطلين فيها, كما:

26160ـ حدثنا ابن عبد الأعلى, قال: حدثنا ابن ثور, عن معمر, عن قتادة, في قوله: فَيَحْلِفُونَ لَهُ قال: إن المنافق حلف له يوم القيامة كما حلف لأوليائه في الدنيا.

حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, في قوله: يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللّهُ جَمِيعا... الآية, والله حالفَ المنافقون ربهم يوم القيامة, كما حالفوا أولياءه في الدنيا.

26161ـ حدثنا ابن حُمَيد, قال: حدثنا مهران, عن سفيان, عن سماك بن حرب البكري, عن سعيد بن جُبَير, قال: كان النبيّ صلى الله عليه وسلم في ظلّ حجرة قد كاد يَقْلِصُ عنه الظلّ, فقال: «إنّهُ سَيأْتِيكُمْ رَجُلٌ, أو يَطْلُعُ رَجُلٌ بعَيْنِ شَيْطانٍ فَلا تُكَلّمُوهُ» فلم يلبث أن جاء, فاطلع فإذا رجل أزرق, فقال له: «عَلامَ تَشْتُمُنِي أنْتَ وَفُلانٌ وَفُلانٌ»؟ قال: فذهب فدعا أصحابه, فحلفوا ما فعلوا, فنزلت: يَوْمَ يَبْعَثُهُمْ اللّهُ جَمِيعا فَيَحْلِفُونَ لَهُ كمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ وَيحْسَبُونَ أنّهُمْ على شَيْءٍ ألا إنّهُمْ هُمُ الكاذبُونَ.

وقوله: وَيحْسَبُونَ أنّهُمْ على شَيْءٍ يقول: ويظنون أنهم في أيمانهم وحلفهم بالله كاذبين على شيء من الحقّ, إلا إنّهُمْ هُمُ الكاذِبُونَ فيما يحلفون عليه.

الآية : 19

القول فـي تأويـل قوله تعالى:{اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشّيْطَانُ فَأَنسَاهُمْ ذِكْرَ اللّهِ أُوْلَـئِكَ حِزْبُ الشّيْطَانِ أَلاَ إِنّ حِزْبَ الشّيْطَانِ هُمُ الخَاسِرُونَ }.

يعني تعالى ذكره بقوله: اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشّيْطانُ غلب عليهم الشيطان فأنْساهُمْ ذِكْرَ اللّهِ أولَئِكَ حِزْبُ الشّيْطانِ يعني جنده وأتباعه ألا إنّ حِزْبَ الشّيْطانِ هُمُ الخاسِرُونَ يقول: ألا إن جند الشيطان وأتباعه هم الهالكون المغبونون في صَفْقَتِهِمْ.

الآية : 20-21

القول فـي تأويـل قوله تعالى:{إِنّ الّذِينَ يُحَآدّونَ اللّهَ وَرَسُولَهُ أُوْلَـئِكَ فِي الأذَلّينَ * كَتَبَ اللّهُ لأغْلِبَنّ أَنَاْ وَرُسُلِيَ إِنّ اللّهَ قَوِيّ عَزِيزٌ }.

يقول تعالى ذكره: إن الذين يخالفون الله ورسوله في حدوده, وفيما فرض عليهم من فرائضه فيعادونه. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

26162ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة إنّ الّذِينَ يُحادّونَ اللّهَ وَرَسُولَهُ يقول: يعادون الله ورسوله.

حدثنا ابن عبد الأعلى, قال: حدثنا ابن ثور, عن معمر, عن قتادة, بنحوه.

26163ـ حدثني محمد بن عمر, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء, جميعا عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, قوله: يُحادّونَ الله وَرَسُولَهُ قال: يعادون. يشاقّون.

وقوله: أُولَئِكَ فِي الأذّلِينَ يقول تعالى ذكره: هؤلاء الذين يحادّون الله ورسوله في أهل الذلة, لأن الغلبة لله ورسوله.

وقوله: كَتَبَ اللّهُ لأَغْلِبَنّ أنا وَرُسُلِي يقول: قضى الله وخطّ في أمّ الكتاب, لأغلبنّ أنا ورسلي مَن حادّني وشاقّني. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

26164ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله كَتَبَ اللّهُ لأَغْلِبَنّ أنا وَرُسُلِي... الآية, قال: كتب الله كتابا وأمضاه.

وقوله: إنّ اللّهَ قَوِيّ عَزِيزٌ يقول: إن الله جلّ ثناؤه ذو قوّة وقدرة على كلّ من حادّه, ورسوله أن يهلكه, ذو عزّة فلا يقدر أحد أن ينتصر منه إذا هو أهلك وليه, أو عاقبه, أو أصابه في نفسه بسوء.

الآية : 22

القول فـي تأويـل قوله تعالى:{لاّ تَجِدُ قَوْماً يُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الاَخِرِ يُوَآدّونَ مَنْ حَآدّ اللّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوَاْ آبَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُوْلَـئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الإِيمَانَ وَأَيّدَهُمْ بِرُوحٍ مّنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ أُوْلَـئِكَ حِزْبُ اللّهِ أَلاَ إِنّ حِزْبَ اللّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ }.

يعني جلّ ثناؤه بقوله: لا تَجِدُ قَوْما يُؤْمِنُونَ باللّهِ وَاليَوْمِ الاَخِرِ يُوَادّونَ مَنْ حادّ اللّهَ وَرَسُولَهُ لا تجد يا محمد قوما يصدّقون الله, ويقرّون باليوم الآخر يوادّون من حادّ الله ورسوله وشاقّهما وخالف أمر الله ونهيه وَلَوْ كانُوا آباءَهُمْ يقول: ولو كان الذين حادّوا الله ورسوله آباءهم أوْ أبْناءَهُمْ أوْ إخْوَانَهُمْ أوْ عَشِيرَتَهُمْ وإنما أخبر الله جلّ ثناؤه نبيه عليه الصلاة والسلام بهذه الآية «ألم تر إلى الذين تولوا قوما غضب الله عليهم» ليسوا من أهل الإيمان بالله ولا باليوم الآخر, فلذلك تولّوُا الذين تولّوْهم من اليهود. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

26165ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: لا تَجِدُ قَوْما يُؤْمِنُونَ باللّهِ وَاليَوْمِ الاَخِرِ يُوَادّونَ مَنْ حادّ اللّهَ وَرَسُولَهُ لا تجد يا محمد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر, يوادّون من حادّ الله ورسوله: أي من عادى اللّهَ ورسوله.

وقوله: أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الإيمَانَ يقول جلّ ثناؤه: هؤلاء الذين لا يوادّون من حادّ الله ورسوله ولو كانوا آباءهم, أو أبناءهم, أو إخوانهم, أو عشيرتهم, كتب الله في قلوبهم الإيمان. وإنما عُنِي بذلك: قضى لقلوبهم الإيمان, ففي بمعنى اللام, وأخبر تعالى ذكره أنه كتب في قلوبهم الإيمان لهم, وذلك لمّا كان الإيمان بالقلوب, وكان معلوما بالخبر عن القلوب أن المراد به أهلها, اجتزى بذكرها مِنْ ذكر أهلها.

وقوله: وأيّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ يقول: وقوّاهم بِبرْهان منه ونور وهدى وَيُدْخِلُهُمْ جَنّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأنهارُ يقول: ويدخلهم بساتين تجري من تحت أشجارها الأنهار خالِدِينَ فِيها يقول: ماكثين فيها أبدا رَضِيَ اللّهُ عَنْهُمُ بطاعتهم إياه في الدنيا وَرَضُوا عَنْهُ في الآخرة بإدخاله إياهم الجنةَ أُولَئِكَ حِزْبُ اللّهِ يقول: أولئك الذين هذه صفتهم جند الله وأولياؤه ألا إنّ حِزْبَ اللّهِ يقول: ألا إن جند الله وأولياءه هُمُ المُفْلِحون يقول: هم الباقون المُنْجَحون بإدراكهم ما طلبوا, والتمسوا ببيعتهم في الدنيا, وطاعتهم ربهم.

سورة الحشر

مدنية
وآياتها أربع وعشرون
بسم الله الرحمن الرحيم
الآية : 1
القول فـي تأويـل قوله تعالى:
{سَبّحَ لِلّهِ مَا فِي السّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ }.
يعني بقوله جل ثناؤه سبح لله صلى لله وسجد له ما في السموات وما في الأرض من خلقه وهو العزيز الحكيم يقول وهو العزيز في انتقامه ممن انتقم من خلقه على معصيتهم إياه الحكيم في تدبيره إياهم.
الآية : 2
القول فـي تأويـل قوله تعالى:
{هُوَ الّذِيَ أَخْرَجَ الّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِن دِيَارِهِمْ لأوّلِ الْحَشْرِ مَا ظَنَنتُمْ أَن يَخْرُجُواْ وَظَنّوَاْ أَنّهُمْ مّانِعَتُهُمْ حُصُونُهُم مّنَ اللّهِ فَأَتَاهُمُ اللّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُواْ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرّعْبَ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ فَاعْتَبِرُواْ يَأُوْلِي الأبْصَارِ }.
يعني تعالى ذكره بقوله: هُوَ الّذِي أَخْرَجَ الّذِينَ كَفَروا مِنْ أَهْلِ الكِتابِ مِنْ دِيَارِهِمْ لأوّلِ الْحَشْرِ الله الذي أخرج الذين جحدوا نبوّة محمد صلى الله عليه وسلم من أهل الكتاب, وهم يهود بني النضير من ديارهم, وذلك خروجهم عن منازلهم ودورهم, حين صالحوا رسول الله صلى الله عليه وسلم على أن يؤمنهم على دمائهم ونسائهم وذراريهم, وعلى أن لهم ما أقلّت الإبل من أموالهم, ويخلو له دورهم, وسائر أموالهم, فأجابهم رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى ذلك, فخرجوا من ديارهم, فمنهم من خرج إلى الشام, ومنهم من خرج إلى خيبر, فذلك قول الله عزّ وجلّ هُوَ الّذِي أَخْرَجَ الّذِينَ كَفَروا مِنْ أَهْلِ الكِتابِ مِنْ دِيارِهِمْ لأوّلِ الْحَشْرِ. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:
26166ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء, جميعا عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, في قول الله عزّ وجلّ: هُوَ الّذِي أَخْرَجَ الّذِينَ كَفَروا مِنْ أَهْلِ الكِتابِ مِنْ دِيَارِهِمْ لأوّلِ الْحَشْرِ قال: النضير حتى قوله وَلِيُخْزيَ الفاسِقِينَ. ذكر ما بين ذلك كله فيهم:
26167ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة هُوَ الّذِي أَخْرَجَ الّذِينَ كَفَروا مِنْ أَهْلِ الكِتابِ مِنْ دِيَارِهِمْ لأوّلِ الْحَشْرِ قيل: الشام, وهم بنو النضير حيّ من اليهود, فأجلاهم نبيّ الله صلى الله عليه وسلم من المدينة إلى خيبر, مَرْجِعَه من أحد.
حدثنا ابن عبد الأعلى, قال: حدثنا ابن ثور, عن معمر, عن الزهري مِنْ دِيارِهِمْ لأوّلِ الْحَشْرِ قال: هم بنو النضير قاتلهم النبيّ صلى الله عليه وسلم حتى صالحهم على الجلاء, فأجلاهم إلى الشام, وعلى أن لهم ما أقلت الإبل من شيء إلا الحلقة, والحلقة: السلاح, كانوا من سبط لم يصبهم جلاء فيما مضى, وكان الله عزّ وجلّ قد كتب عليهم الجلاء, ولولا ذلك عذبهم في الدنيا بالقتل والسباء.

26168ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله: هُوَ الّذِي أَخْرَجَ الّذِينَ كَفَروا مِنْ أَهْلِ الكِتابِ مِنْ دِيَارِهِمْ لأوّلِ الْحَشْرِ قال: هؤلاء النضير حين أجلاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم.

26169ـ حدثنا ابن حَميد, قال: حدثنا سلمة بن الفضل, قال: حدثنا ابن إسحاق, عن يزيد بن رومان, قال: نزلت في بني النضير سورة الحشر بأسرها, يذكر فيها ما أصابهم الله عزّ وجل به من نقمته, وما سلط عليهم به رسول الله صلى الله عليه وسلم وما عمل به فيهم, فقال: هُوَ الّذِي أَخْرَجَ الّذِينَ كَفَروا مِنْ أَهْلِ الكِتابِ مِنْ دِيَارِهِمْ لأوّلِ الْحَشْرِ... الآيات.

وقوله: لأوّلِ الْحَشْرِ يقول تعالى ذكره: لأوّل الجمع في الدنيا, وذلك حشرهم إلى أرض الشام. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

26170ـ حدثنا ابن عبد الأعلى, قال: حدثنا ابن ثور, عن معمر, عن الزهري, قوله لأوّلِ الْحَشْرِ قال: كان جلاؤهم أوّل الحشر في الدنيا إلى الشام.

26171ـ حدثنا ابن عبد الأعلى, قال: حدثنا ابن ثور, عن معمر, عن قتادة: تجيء نار من مَشرِق الأرض, تَحْشُر الناس إلى مغاربها, فتبيت معهم حيث باتُوا, وتَقِيل معهم حيث قالوا, وتأكل من تَخَلّف.

26172ـ حدثنا ابن بشار, قال: حدثنا ابن أبي عديّ, عن عوف, عن الحسن, قال: بلغني أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما أجلى بني النضير, قال: «امْضوا فَهَذَا أوّل الحَشْرِ, وَإنّا عَلى الأثَرِ».

26173ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله: لأوّلِ الحَشْرِ قال: الشام حين ردّهم إلى الشام, وقرأ قول الله عزّ وجلّ: يا أيّها الّذِينَ أوتُوا الكِتابَ آمَنُوا بِمَا نَزّلْنا مَصَدّقا لِمَا مَعَكُمْ مِنْ قَبْلِ أنْ نَطْمِسَ وُجُوها فَنرُدّها على أدْبارِها قال: من حيث جاءت, أدبارها أن رجعت إلى الشام, من حيث جاءت ردّوا إليه.

وقوله: ما ظَنَنْتُمْ أنْ يخْرُجُوا يقول تعالى ذكره للمؤمنين من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم: ما ظننتم أن يخرج هؤلاء الذين أخرجهم الله من ديارهم من أهل الكتاب من مساكنهم ومنازلهم, وَظَنّوا أنّهُمْ ما نِعَتُهُمْ حُصُونُهمْ مِنَ اللّهِ وإنما ظنّ القوم فيما ذكر أن عبد الله بن أبي وجماعة من المنافقين بعثوا إليهم لما حصرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمرونهم بالثبات في حصونهم, ويعدونهم النصر, كما:

26174ـ حدثنا ابن حُمَيد, قال: حدثنا سلمة, عن ابن إسحاق, عن يزيد بن رومان, أن رهطا من بني عوف ابن الخزرج منهم عبد الله بن أبي ابن سلول ووديعة ومالك ابنا نوفل وسويد وداعس, بعثوا إلى بني النضير أن اثبتوا وتمنّعوا, فإنا لن نسلمكم, وإن قوتلتم قاتلنا معكم, وإن خرجتم خرجنا معكم, فتربصوا لذلك من نصرهم, فلم يفعلوا, وكانوا قد تحصنوا في الحصون من رسول الله صلى الله عليه وسلم حين نزل بهم.

وقوله: فأتاهُمُ اللّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا يقول تعالى ذكره: فأتاهم أمر الله من حيث لم يحتسبوا أنه يأتيهم, وذلك الأمر الذي أتاهم من الله حيث لم يحتسبوا, قذف في قلوبهم الرعب بنزول رسول الله صلى الله عليه وسلم بهم في أصحابه, يقول جلّ ثناؤه: وَقَذَفَ في قُلُوبِهِمُ الرّعْبَ.

وقوله: يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ بأيْدِيهِمْ وأيْدِي المُوءْمِنِينَ يعني جلّ ثناؤه بقوله: يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ بني النضير من اليهود, وأنهم يخربون مساكنهم, وذلك أنهم كانوا ينظرون إلى الخشبة فيما ذُكر في منازلهم مما يستحسنونه, أو العمود أو الباب, فينزعون ذلك منها بأيديهم وأيدي المؤمنين. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

26175ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ بأيْدِيهِمْ وأيْدِي المُوءْمِنِينَ جعلوا يخربونها من أجوافها, وجعل المؤمنون يخربون من ظاهرها.

26176ـ حدثنا ابن عبد الأعلى, قال: حدثنا ابن ثور, عن معمر, عن الزّهريّ, قال: لما صالحوا النبيّ صلى الله عليه وسلم كانوا لا يعجبهم خشبة إلا أخذوها, فكان ذلك خرابها. وقال قتادة: كان المسلمون يخربون ما يليهم من ظاهرها, وتخربها اليهود من داخلها.

26177ـ حدثنا ابن حُمَيد, قال: حدثنا سلمة, عن ابن إسحاق, عن يزيد بن رومان, قال: احتملوا من أموالهم, يعني بني النضير, ما استقلت به الإبل, فكان الرجل منهم يهدم بيته عن نجاف بابه, فيضعه على ظهر بعيره فينطلق به, قال: فذلك قوله: يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ بأيْدِيهِمْ وأيْدِي المُوءْمِنِينَ وذلك هدمهم بيوتهم عن نُجف أبوابهم إذا احتملوها.

26178ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قول الله عزّ وجلّ: يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ بأيْدِيهِمْ وأيْدِي المُوءْمِنِينَ قال: هؤلاء النضير, صالحهم النبيّ صلى الله عليه وسلم على ما حملت الإبل, فجعلوا يقلعوا الأوتاد يخربون بيوتهم.

وقال آخرون: إنما قيل ذلك كذلك, لأنهم كانوا يخربون بيوتهم ليبنوا بنقضها ما هدم المسلمون من حصونهم. ذكر من قال ذلك:

26179ـ حدثني محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس, قوله: يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ بأيْدِيهِمْ وأيْدِي المُوءْمِنِينَ فاعْتَبِرُوا يا أُولي الأبْصَارِ قال: يعني بني النضير, جعل المسلمون كلما هدموا شيئا من حصونهم جعلوا ينقضون بيوتهم ويخربونها, ثم يبنون ما يخرب المسلمون, فذلك هلاكهم.

26180ـ حُدثت عن الحسين, قال: سمعت أبا معاذ يقول: أخبرنا عبيد, قال: سمعت الضحاك يقول في قوله: يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ بأيْدِيهِمْ وأيْدِي المُوءْمِنِينَ يعني أهل النضير جعل المسلمون كلما هدموا من حصنهم جعلوا ينقضون بيوتهم بأيديهم وأيدي المؤمنين, ثم يبنون ما خرّب المسلمون.

واختلفت القرّاء في قراءة ذلك, فقرأته عامة قرّاء الحجاز والمدينة والعراق سوى أبي عمرو: يُخْرِبُونَ بتخفيف الراء, بمعنى يخرجون منها ويتركونها معطلة خرابا, وكان أبو عمرو يقرأ ذلك «يخرّبون» بالتشديد في الراء بمعنى يهدّمون بيوتهم. وقد ذكر عن أبي عبد الرحمن السلمي والحسن البصري أنهما كانا يقرآن ذلك نحو قراءة أبي عمرو. وكان أبو عمرو فيما ذكر عنه يزعم أنه إنما اختار التشديد في الراء لما ذكرت من أن الإخراب: إنما هو ترك ذلك خرابا بغير ساكن, وإن بني النضير لم يتركوا منازلهم, فيرتحلواعنها, ولكنهم خرّبوها بالنقض والهدم, وذلك لا يكون فيما قال إلا بالتشديد.

وقوله: فاعْتَبِرُا يا أولي الأبصارِ يقول تعالى ذكره: فاتعظوا يا معشر ذوي الأفهام بما أحلّ الله بهؤلاء اليهود الذين قذف الله في قلوبهم الرعب, وهم في حصونهم من نقمته, واعلموا أن الله ولّى من والاه, وناصر رسوله على كلّ من ناوأه, ومحلّ من نقمته به نظير الذي أحلّ ببني النضير. وإنما عنى بالأبصار في هذا الموضع أبصار القلوب, وذلك أن الاعتبار بها يكون دون الإبصار بالعيون.

الآية : 3-6

القول فـي تأويـل قوله تعالى: {وَلَوْلاَ أَن كَتَبَ اللّهُ عَلَيْهِمُ الْجَلاَءَ لَعَذّبَهُمْ فِي الدّنْيَا وَلَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابُ النّارِ * ذَلِكَ بِأَنّهُمْ شَآقّواْ اللّهَ وَرَسُولَهُ وَمَن يُشَآقّ اللّهَ فَإِنّ اللّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ * مَا قَطَعْتُمْ مّن لّينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَآئِمَةً عَلَىَ أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ اللّهِ وَلِيُخْزِيَ الْفَاسِقِينَ * وَمَآ أَفَآءَ اللّهُ عَلَىَ رَسُولِهِ مِنْهُمْ فَمَآ أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلاَ رِكَابٍ وَلَـكِنّ اللّهَ يُسَلّطُ رُسُلَهُ عَلَىَ مَن يَشَآءُ وَاللّهُ عَلَىَ كُلّ شَيْءٍ قَدِيرٌ }

26181ـ حدثنا ابن حَميد, قال: حدثنا سلمة, قال: ثني محمد بن إسحاق, عن يزيد بن رومان وَما أفاءَ الله على رَسُولِهِ مِنْهُمْ يعني بني النضير فَمَا أوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلا رِكابٍ وَلَكِنّ الله يُسَلّط رُسُلَه على مَنْ يَشاءُ وَالله على كُلّ شَيْءٍ قَدِيرٌ.

26182ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث, قال: حدثنا الحسن, قال حدثنا ورقاء جمعيا عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد في قوله فَمَا أوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلا رِكابٍ قال: يذكر ربهم أنه نصرهم, وكفاهم بغير كراع, ولا عدّة في قريظة وخيبر, ما أفاء الله على رسوله من قريظة, جعلها لمهاجرة قريش.

26183ـ حدثني محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس, قوله وَما أفاءَ الله على رَسُولِهِ مِنْهُمْ فَمَا أوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلا رِكابٍ وَلَكِنّ الله يُسَلّط رُسُلَه على مَنْ يَشاءُ وَالله على كُلّ شَيْءٍ قَدِيرٌ قال: أمر الله عزّ وجلّ نبيه بالسير إلى قريظة والنضير وليس للمسلمين يومئذ كثير خيل ولا ركاب فجعل ما أصاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يحكم فيه ما أراد, ولم يكن يومئذ خيل ولا ركاب يوجف بها. قال: والإيجاف: أن يوضعوا السير وهي لرسول الله صلى الله عليه وسلم, فكان من ذلك خيبر وَفدَك وقُرَى عَرَبيةً, وأمر الله رسوله أن يعد لينبع, فأتاها رسول الله صلى الله عليه وسلم, فاحتواها كلها, فقال ناس: هلا قسّمها, فأنزل الله عزّ وجلّ عذره, فقال: ما أفاءَ اللّهُ على رَسُولِهِ مِنْ أهْل القُرَى فَلِلّهِ وللرّسُولِ وَلِذِي القُرْبى وَاليَتَامَى وَالمَساكِينِ وَابْنِ السّبِيلِ ثم قال: وَما آتاكُمُ الرّسُولُ فَخُذُوهُ وَما نَهاكُمْ عَنْهُ فانْتَهُوا... الآية.

26184ـ حُدثت عن الحسين, قال: سمعت أبا معاذ يقول: حدثنا عبيد, قال: سمعت الضحاك يقول, في قوله: فَمَا أوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلا رِكابٍ يعني يوم قُرَيظة.

وقوله: وَلَكِنّ اللّهَ يُسَلّطُ رُسُلَهُ على مَنْ يَشاء أعلمك أنه كما سلّط محمدا صلى الله عليه وسلم على بني النضير, يخبر بذلك جلّ ثناؤه أن ما أفاء الله عليه من أموال لم يُوجِفِ المسلمون بالخيل والركاب, من الأعداء مما صالحوه عليه له خاصة يعمل فيه بما يرى. يقول: فمحمد صلى الله عليه

وسلم إنما صار إليه أموال بني النضير بالصلح إلا عنوة, فتقع فيها القسمة وَاللّه على كُلّ شَيْءٍ قَدِيرٌ يقول: والله على كلّ شيء أراده ذو قدرة لا يَعجزه شيء, وبقُدرته على ما يشاء سلّط نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم على ما سلط عليه من أموال بني النضير, فحازه عليهم.

الآية : 7

القول فـي تأويـل قوله تعالى: {مّآ أَفَآءَ اللّهُ عَلَىَ رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَىَ فَلِلّهِ وَلِلرّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىَ وَالْيَتَامَىَ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السّبِيلِ كَيْ لاَ يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الأغْنِيَآءِ مِنكُمْ وَمَآ آتَاكُمُ الرّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُواْ وَاتّقُواْ اللّهَ إِنّ اللّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ }.

يعني بقوله جلّ ثناؤه: ما أفاءَ اللّهُ على رَسُولِه مِنْ أهْلِ القُرَى الذي ردّ الله عزّ وجلّ على رسوله من أموال مشركي القرى.

واختلف أهل العلم في الذي عني بهذه الآية من الألوان, فقال بعضهم: عني بذلك الجزية والخراج. ذكر من قال ذلك:

26185ـ حدثنا ابن عبد الأعلى, قال: حدثنا ابن ثور, عن معمر, عن أيوب, عن عكرمة بن خالد, عن مالك بن أوس بن الحدثان, قال: قرأ عمر بن الخطاب رضي الله عنه: إنّمَا الصّدَقاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالمَساكِينِ حتى بلغ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ثم قال: هذه لهؤلاء, ثم قال: وَاعْلَمُوا أنّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فأنّ لِلّهِ خُمْسَهُ وللرّسُول وَلِذِي القُرْبَى... الآية, ثم قال: هذه الآية لهؤلاء, ثم قرأ: ما أفاءَ اللّهُ على رَسُولِه مِنْ أهْلِ القُرَى حتى بلغ لِلْفُقَراءِ والّذِينَ تَبَوّءوا الدّارَ والّذِينَ جاءوا مِنْ بَعْدِهُمْ ثم قال: استوعبت هذه الآية المسلمين عامة, فليس أحد إلا له حق, ثم قال: لئن عشت ليأتين الراعي وهو يسير حُمُرَه نصيبُه, لم يعرق فيها جبينه.

26186ـ حدثنا ابن عبد الأعلى, قال: حدثنا ابن ثور, قال: حدثنا معمر في قوله: ما أفاءَ اللّهُ على رَسُولِه مِنْ أهْلِ القُرَى حتى بلغني أنها الجزية, والخراج: خَراج أهل القرى.

وقال آخرون: عني بذلك الغنيمة التي يصيبها المسلمون من عدوّهم من أهل الحرب بالقتال عنوة. ذكر من قال ذلك:

26187ـ حدثنا ابن حُمَيد, قال: حدثنا سلمة, عن ابن إسحاق, عن يزيد بن رومان ما أفاءَ اللّهُ على رَسُولِه مِنْ أهْلِ القُرَى فَلِلّهِ وَلِلرّسُولِ ما يوجف عليه المسلمون بالخيل والركاب, وفتح بالحرب عنوة, فَلِلّهِ وللرّسُولِ وَلِذِي القُرْبَى والْيَتامَى والمَساكِينِ وَابْنِ السّبِيلِ كَيْلا يَكُونَ دُولَةً بَينَ الأغْنِياءِ مِنْكُمْ وَما آتاكُمُ الرّسُولَ فَخُذُوهُ وَما نَهاكُمْ عَنْه فانْتَهُوا قال: هذا قسم آخر فِيما أصيب بالحرب بين المسلمين على ما وضعه الله عليه.

وقال آخرون: عني بذلك الغنيمة التي أوجف عليها المسلمون بالخيل والركاب, وأخذت بالغلبة, وقالوا كانت الغنائم في بدوّ الإسلام لهؤلاء الذين سماهم الله في هذه الآيات دون المرجفين عليها, ثم نسخ ذلك بالآية التي في سورة الأنفال. ذكر من قال ذلك:

26188ـ حدثنا محمد بن بشار, قال: حدثنا عبد الأعلى, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, في قوله: ما أفاءَ اللّهُ على رَسُولِه مِنْ أهْلِ القُرَى فَلِلّهِ وللرّسُولِ وَلِذِي القُرْبَى والْيَتامَى والمَساكِينِ وَابْنِ السّبِيلِ قال: كان الفيء في هؤلاء, ثم نسخ ذلك في سورة الأنفال, فقال: وَاعْلَمُوا أنّما غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فأنّ لِلّهِ خُمُسَهُ وللرّسُولِ وَلِذِي القُرْبَى والْيَتامَى والمَساكِينِ وَابْنِ السّبِيلِ

فنسخت هذه ما كان قبلها في سورة الأنفال, وجعل الخمس لمن كان له الفيء في سورة الحشر, وكانت الغنيمة تقسم خمسة أخماس, فأربعة أخماس لمن قاتل عليها, ويقسم الخمس الباقي على خمسة أخماس, فخمس لله وللرسول, وخمس لقرابة رسول الله صلى الله عليه وسلم في حياته, وخمس لليتامى, وخمس للمساكين, وخمس لابن السبيل فلما قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم وجه أبو بكر وعمر رضي الله عنهما هذين السهمين: سهم رسول الله صلى الله عليه وسلم, وسهم قرابته, فحملا عليه في سبيل الله صدقة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وقال آخرون: عني بذلك: ما صالح عليه أهل الحرب المسلمين من أموالهم, وقالوا قوله ما أفاءَ اللّهُ على رَسُولِه مِنْ أَهْلِ القُرَى فَلِلّهِ وللرّسُولِ... الآيات, بيان قسم المال الذي ذكره الله في الآية التي قبل هذه الآية, وذلك قوله: ما أفاءَ اللّهُ على رَسُولِه مِنْهُمْ فَمَا أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْل وَلا رِكاب وهذا قول كان يقوله بعض المتفقهة من المتأخرين.

والصواب من القول في ذلك عندي أن هذه الآية حكمها غير حكم الآية التي قبلها, وذلك أن الآية التي قبلها مال جعله الله عزّ وجلّ لرسوله صلى الله عليه وسلم خاصة دون غيره, لم يجعل فيه لأحد نصيبا, وبذلك جاء الأثر عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

26189ـ حدثنا ابن عبد الأعلى, قال: حدثنا ابن ثور, عن معمر, عن الزهري, عن مالك بن أوس بن الحدثان, قال: أرسل إليّ عمر بن الخطاب رضي الله عنه, فدخلت عليه, فقال: إنه قد حضر أهل أبيات من قومك وإنا قد أمرنا لهم برضخ, فاقسمه بينهم, فقلت: يا أمير المؤمنين مر بذلك غيري, قال: اقبضه أيها المرء فبينا أنا كذلك, إذ جاء يرفأ مولاه, فقال: عبد الرحمن بن عوف, والزبير, وعثمان, وسعد يستأذنون, فقال: ائذن لهم ثم مكث ساعة, ثم جاء فقال: هذا عليّ والعباس يستأذنان, فقال: ائذن لهما فلما دخل العباس قال: يا أمير المؤمنين اقض بيني وبين هذا الغادر الخائن الفاجر, وهما جاءا يختصمان فيما أفاء الله على رسوله من أعمال بني النضير, فقال القوم: اقض بينهما يا أمير المؤمنين, وأرح كلّ واحد منهما من صاحبه, فقد طالت خصومتهما, فقال: أنشدكم الله الذي بإذنه تقوم السموات والأرض, أتعلمون أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «لا نُورَثُ ما تَرَكْنَاهُ صَدَقَةٌ» قالوا: قد قال ذلك ثم قال لهما: أتعلمان أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ذلك؟ قالا: نعم قال: فسأخبركم بهذا الفيء إن الله خصّ نبيه صلى الله عليه وسلم بشيء لم يعطه غيره, فقال: وَما أفاءَ اللّهُ على رَسُولِهِ مِنْهُمْ فَمَا أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْل وَلا رِكاب فكانت هذه لرسول الله صلى الله عليه وسلم خاصة, فوالله ما احتازها دونكم, ولا استأثر بها دونكم, ولقد قسمها عليكم حتى بقي منها هذا المال, فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم ينفق على أهله منه سنتهم, ثم يجعل ما بقي في مال الله.

فإذَا كانت هذه الآية التي قبلها مضت, وذكر المال الذي خصّ الله به رسوله صلى الله عليه وسلم, ولم يجعل لأحد معه شيئا, وكانت هذه الآية خبرا عن المال الذي جعله الله لأصناف شتى, كان معلوما بذلك أن المال الذي جعله لأصناف من خلقه غير المال الذي جعله للنبيّ صلى الله عليه وسلم خاصة, ولم يجعل له شريكا.

وقوله: وَلِذي القُرْبى يقول: ولذي قرابة رسول الله صلى الله عليه وسلم من بني هاشم وبني المطلب واليتامى, وهم أهل الحاجة من أطفال المسلمين الذين لا مال لهم والمساكين: وهم الجامعون فاقة وذلّ المسئلة وابن السبيل: وهم المنقطع بهم من المسافرين في غير معصية الله عزّ وجلّ.

وقد ذكرنا الرواية التي جاءت عن أهل التأويل بتأويل ذلك فيما مضى من كتابنا.

وقوله: كَيْلا يَكُونَ دُولَةً بَينَ الأغْنِياءِ مِنْكُمْ يقول جلّ ثناؤه. وجعلنا ما أفاء الله على رسوله من أهل القرى لهذه الأصناف, كيلا يكون ذلك الفيء دُولة يتداوله الأغنياء منكم بينهم, يصرفه هذا مرّة في حاجات نفسه, وهذا مرّة في أبواب البرّ وسُبُل الخير, فيجعلون ذلك حيث شاءوا, ولكننا سننا فيه سنة لا تُغير ولا تُبدّل.

واختلفت القرّاء في قراءة ذلك, فقرأته عامة قرّاء الأمصار سوى أبي جعفر القارىء كَيْلا يَكُونَ دُولَةً نصبا على ما وصفت من المعنى, وأن في يكون ذكر الفيء. وقوله: دُولَةً نصب خبر يكون, وقر ذلك أبو جعفر القارىء: «كَيْلا يَكُونَ دُولَةٌ» على رفع الدولة مرفوعة بيكون, والخبر قوله: بين الأغنياء منكم وبضمّ الدال من دُولة قرأ جميع قرّاء الأمصار, غير أنه حُكي عن أبي عبد الرحمن الفتح فيها.

وقد اختلف أهل المعرفة بكلام العرب في معنى ذلك, إذا ضمت الدال أو فُتحت, فقال بعض الكوفيين: معنى ذلك: إذا فتحت الدولة وتكون للجيش يهزم هذا هذا, ثم يهزم الهازم, فيقال: قد رجعت الدولة على هؤلاء قال: والدولة برفع الدال في الملك والسنين التي تغير وتبدّل على الدهر, فتلك الدولة والدول. وقال بعضهم: فرق ما بين الضمّ والفتح أن الدولة: هي اسم الشيء الذي يتداول بعينه, والدولة الفعل.

والقراءة التي لا أستجيز غيرها في ذلك: كَيْلا يَكْونَ بالياء دُولَةً بضم الدال ونصب الدولة على المعنى الذي ذكرت في ذلك لإجماع الحجة عليه, والفرق بين الدّولة والدّولة بضم الدال وفتحها ما ذكرت عن الكوفيّ في ذلك.

وقوله: وَما آتاكُمُ الرّسُولُ فَخُذُوهُ يقول تعالى ذكره: وما أعطاكم رسول الله صلى الله عليه وسلم مما أفاء عليه من أهل القرى فخذوه وَما نهاكُمْ عَنْهُ من الغَلول وغيره من الأمور فانْتَهُوا وكان بعض أهل العلم يقول نحو قولنا في ذلك غير أنه كان يوجه معنى قوله وَمَا آتاكُمُ الرّسُولُ فخُذُوهُ إلى ما آتاكم من الغنائم. ذكر من قال ذلك:

26190ـ حدثنا ابن بشار, قال: حدثنا ابن أبي عديّ, عن عوف, عن الحسن, في قوله: وَمَا آتاكُمُ الرّسُولُ فخُذُوهُ وَما نَهاكُمْ عَنْهُ فانْتَهُوا قال: يؤتيهم الغنائم ويمنعهم الغلول.

وقوله: وَاتّقُوا اللّهَ يقول: وخافوا الله, واحذروا عقابه في خلافكم على رسوله بالتقدّم على ما نهاكم عنه, ومعصيتكم إياه إنّ الله شَدِيدُ العِقابِ يقول: إن الله شديد عقابه لمن عاقبه من أهل معصيته لرسوله صلى الله عليه وسلم.

الآية : 8

القول فـي تأويـل قوله تعالى: {لِلْفُقَرَآءِ الْمُهَاجِرِينَ الّذِينَ أُخْرِجُواْ مِن دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلاً مّنَ اللّهِ وَرِضْوَاناً وَيَنصُرُونَ اللّهَ وَرَسُولَهُ أُوْلَـَئِكَ هُمُ الصّادِقُونَ }.

يقول تعالى ذكره: كيلا يكون ما أفاء الله على رسوله دُولة بين الأغنياء منكم, ولكن يكون للفقراء المهاجرين. وقيل: عُني بالمهاجرين: مهاجرة قريش. ذكر من قال ذلك:

26191ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء, جميعا عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد ما أفاءَ اللّهُ على رَسُولِهِ من قريظة جعلها لمهاجرة قريش.

26192ـ حدثنا ابن حُمَيد, قال: حدثنا يعقوب, عن جعفر, عن سعيد بن جُبَير, وسعيد بن عبد الرحمن بن أبزى, قالا: كان ناس من المهاجرين لأحدهم الدار والزوجة والعبد والناقة يحجّ عليها ويغزو, فنسبهم الله إلى أنهم فقراء, وجعل لهم سهما في الزكاة.

26193ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله لِلْفُقَرَاءِ المُهاجِرِينَ الّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيارِهِمْ... إلى قوله أولَئِكَ هُمُ الصّادِقُونَ قال: هؤلاء المهاجرون تركوا الديار والأموال والأهلين والعشائر, خرجوا حبا لله ولرسوله, واختاروا الإسلام على ما فيه من الشدّة, حتى لقد ذكر لنا أن الرجل كان يعصب الحجر على بطنه ليقيم به صلبه من الجوع, وكان الرجل يتخذ الحفيرة في الشتاء ماله دثار غيرها.

وقوله: الّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيارِهِمْ وأمْوَالِهِمْ, وقوله: يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِنْ اللّهِ وَرِضْوَانا موضع يبتغون نصب, لأنه في موضع الحال وقوله: وَيَنْصُرُونَ اللّهَ وَرَسُولَهُ يقول: وينصرون دين الله الذي بعث به رسوله محمدا صلى الله عليه وسلم. وقوله: أولَئِكَ هُمُ الصّادِقُونَ يقول: هؤلاء الذين وصف صفتهم من الفقراء المهاجرين هم الصادقون فيما يقولون.

الآية : 9

القول فـي تأويـل قوله تعالى: {وَالّذِينَ تَبَوّءُوا الدّارَ وَالإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلاَ يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مّمّآ أُوتُواْ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىَ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحّ نَفْسِهِ فَأُوْلَـَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ }.

يقول تعالى ذكره: وَالّذِينَ تَبَوّءوا الدّارَ والإيمَانَ يقول: اتخذوا المدينة مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم, فابتنوها منازل, وَالإيمَانَ بالله ورسوله مِنْ قَبْلِهِمْ يعني: من قبل المهاجرين, يُحِبّونَ مَنْ هاجَرَ إلَيْهِمْ: يحبون من ترك منزله, وانتقل إليهم من غيرهم, وعُنِي بذلك الأنصار يحبون المهاجرين. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

26194ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء, جميعا عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, في قوله: وَالّذِينَ تَبَوّءوا الدّارَ وَالإيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ قال: الأنصار نعت. قال محمد بن عمرو: سفاطة أنفسهم. وقال الحارث: سخاوة أنفسهم عند ما روى عنهم من ذلك, وإيثارهم إياهم ولم يصب الأنصار من ذلك الفيء شيء.

26195ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة وَالّذِينَ تَبَوّءوا الدّارَ وَالإيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبّونَ مِنْ هاجَرَ إلَيْهِمْ, وَلا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حاجَةً مِمّا أُوتُوا يقول: مما أعطوا إخوانهم هذا الحيّ من الأنصار, أسلموا في ديارهم, فابتنوا المساجد والمسجد, قبل قدوم النبيّ صلى الله عليه وسلم, فأحسن الله عليهم الثناء في ذلك وهاتان الطائفتان الأوّلتان من هذه الآية, أخذتا بفضلهما, ومضتا على مَهَلهما, وأثبت الله حظهما في الفيء.

26196ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله الله عزّ وجلّ: وَالّذِينَ تَبَوّءوا الدّارَ وَالإيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبّونَ قال: هؤلاء الأنصار يحبون من هاجر إليهم من المهاجرين.

وقوله: وَلا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حاجَةً مِمّا أُوتُوا يقول جلّ ثناؤه: ولا يجد الذين تبوّءوا الدار من قبلهم, وهم الأنصار في صدورهم حاجة, يعني حسدا مما أوتوا, يعني مما أوتي المهاجرين من الفيء, وذلك لما ذُكر لنا من أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قسم أموال بني النضير بين المهاجرين الأوّلين دون الأنصار, إلا رجلين من الأنصار, أعطاهما لفقرهما, وإنما فعل ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم خاصة. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

26197ـ حدثنا ابن حُمَيد, قال: حدثنا سلمة, قال: ثني محمد بن إسحاق, عن عبد الله بن أبي بكر, أنه حدّث أنّ بني النضير خَلّوا الأموال لرسول الله صلى الله عليه وسلم, فكانت النضير لرسول الله صلى الله عليه وسلم خاصة يضعها حيث يشاء, فقسمها رسول الله صلى الله عليه وسلم على المهاجرين الأوّلين دون الأنصار, إلا أن سهل بن حُنَيف وأبا دُجانة سِماك بن خَرَشة ذكرا فقرا, فأعطاهما رسول الله صلى الله عليه وسلم.

26198ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله: وَلا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حاجَةً مِمّا أُتُوا المهاجرون. قال, وتكلم في ذلك يعني أموالَ بني النضير بعضُ من تكلّم من الأنصار, فعاتبهم الله عزّ وجلّ في ذلك فقال: وَما أفاءَ اللّهُ على رَسُولِهِ مِنْهُمْ فَمَا أوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلا رِكابٍ وَلَكِنّ اللّهَ يُسَلّطُ رُسُلَهُ عَلى مَنْ يَشاءُ وَاللّهُ على كُلّ شَيْءٍ قَدِيرٌ قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لهم: «إنّ إخْوَانَكُمْ قَدْ تَرَكُوا الأمْوَالَ والأولاد وَخَرَجُوا إلَيْكُمْ» فقالوا: أموالنا بينهم قطائع, فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أوَ غَيْرَ ذَلِكَ؟» قالوا: وما ذلك يا رسول الله؟ قال: «هُمْ قَوْمٌ لا يَعْرِفُونَ العَمَلَ فَتَكْفُونهُمْ وَتُقاسِمُونَهُمْ الثّمَرَ», فقالوا: نعم يا رسول الله.

وبنحو الذي قلنا في قوله وَلا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حاجَةً مِمّا أُوتُوا قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

26199ـ حدثنا محمد بن المثنى, قال: حدثنا سليمان أبو داود, قال: حدثنا شعبة, عن أبي رجاء, عن الحسن, في قوله وَلا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حاجَةً مِمّا أوتُوا قال: الحسد.

قال: ثنا عبد الصمد, قال: حدثنا شعبة, عن أبي رجاء, عن الحسن حاجَةً فِي صُدُورِهِمْ قال: حسدا في صدورهم.

حدثني يعقوب, قال: حدثنا ابن علية, قال: أخبرنا أبو رجاء عن الحسن, مثله.

وقوله: وَيُوءْثِرُونَ على أنْفُسِهِمْ يقول تعالى ذكر: وهو يصف الأنصار الذين تبوّءُوا الدار والإيمان من قبل المهاجرين وَيُوءْثِرُونَ على أنْفُسِهِمْ يقول: ويعطون المهاجرين أموالهم إيثارا لهم بها على أنفسهم وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ يقول: ولو كان بهم حاجة وفاقة إلى ما آثروا به من أموالهم على أنفسهم. والخَصاصة مصدر, وهي أيضا اسم, وهو كلّ ما تخلّلته ببصرك كالكوّة والفرجة في الحائط, تجمع خَصاصات وخِصاص, كما قال الراجز:

قَدْ عَلِمَ المَقاتِلاتُ هَجّا
والنّاظراتُ مِنْ خَصَاصٍ لَمْجا
لأوْرِيَنْها دُلَجا أوْ مُنْجَا

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

26200ـ حدثنا أبو كُرَيب, قال: حدثنا ابن فضيل, عن أبيه, عن أبي حازم, عن أبي هريرة, قال: جاء رجل إلى النبيّ صلى الله عليه وسلم ليضيفه, فلم يكن عنده ما يضيفه, فقال: «ألا رجلٌ يضيفُ هذا رَحِمَهُ اللّهُ؟» فقام رجل من الأنصار يقال له أبو طلحة, فانطلق به إلى رحله, فقال لامرأته: أكرمي ضيفَ رسول الله صلى الله عليه وسلم, نوّمي الصبية, وأطفئي المصباح وأريه بأنك تأكلين معه واتركيه لضيف رسول الله صلى الله عليه وسلم ففعلت فنزلت وَيُوءْثِرُونَ على أنْفُسِهِمْ وَلَوْ كانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ.

حدثنا أبو كُرَيب, قال: حدثنا وكيع, عن فضيل, عن غزوان, عن أبي حازم, عن أبي هريرة, أن رجلاً من الأنصار بات به ضيف, فلم يكن عند إلا قوته وقوت صبيانه, فقال لامرأته: نَوّمي الصّبْية وأطفئي المصباح, وقرّبي للضيف ما عندك, قال: فنزلت هذه الآية وَمَنْ يُوقَ شُحّ نَفْسِهِ.

يقول تعالى ذكره: من وقاه الله شحّ نفسه فأُولَئِكَ هُمُ المُفْلِحُونَ المخلّدُونَ في الجنة. والشحّ في كلام العرب: البخل, ومنع الفضل من المال ومنه قول عمرو بن كلثوم:

تَرَى اللّحِزَ الشّحيحَ إذَا أُمِرّتْعَلَيْهِ لِمَالِهِ فِيها مُهينا

يعني بالشحيح: البخيل, يقال: إنه لشحيح بين الشحّ والشحّ, وفيه شحة شديدة وشحاحة. وأما العلماء فإنهم يرون أن الشحّ في هذا الموضع إنما هو أكل أموال الناس بغير حقّ.

26201ـ حدثنا ابن حُمَيد, قال: حدثنا يحيى بن واضح, قال: حدثنا المسعودي, عن أشعث, عن أبي الشعثاء, عن أبيه, قال: أتى رجل ابن مسعود فقال: إني أخاف أن أكون قد هلكت, قال: وما ذاك؟ قال: أسمع الله يقول: وَمَنْ يُوقَ شُحّ نَفْسِهِ وأنا رجل شحيح لا يكاد يخرج من يدي شيء, قال: ليس ذاك بالشحّ الذي ذكر الله في القرآن, إنما الشحّ أن تأكل مال أخيك ظلما, ذلك البخل, وبئس الشيء البخل.

26202ـ حدثني يحيى بن إبراهيم, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن جده, عن الأعمش, عن جامع, عن الأسود بن هلال قال: جاء رجل إلى عبد الله بن مسعود, فقال يا أبا عبد الرحمن, إني أخشى أن تكون أصابتني هذه الآية وَمَنْ يُوقَ شُحّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ المُفْلِحُونَ والله ما أعطي شيئا أستطيع منعه, قال: ليس ذلك بالشحّ, إنما الشحّ أن تأكل مال أخيك بغير حقه, ولكن ذلك البخل.

26203ـ حدثنا محمد بن بشار, قال: حدثنا يحيى وعبد الرحمن, قالا: حدثنا سفيان, عن طارق بن عبد الرحمن, عن سعيد بن جُبَير, عن أبي الهياج

الأسدي, قال: كنت أطوف بالبيت, فرأيت رجلاً يقول: اللهمّ قني شحّ نفسي, لا يزيد على ذلك, فقلت له, فقال: إني إذا وقيت شحّ نفسي لم أسرق, ولم أزن, ولم أفعل شيئا, وإذا الرجل عبد الرحمن بن عوف.

26204ـ حدثني محمد بن إسحاق, قال: حدثنا سليمان بن عبد الرحمن الدمشقي, قال: حدثنا إسماعيل بن عياش, قال: حدثنا مجمع بن جارية الأنصاري, عن عمه يزيد بن جارية الأنصاري, عن أنس بن مالك, عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «بَرِىءَ مِنَ الشّحّ مَنْ أدّى الزّكاةَ, وَقَرَى الضّيْفَ, وأعْطَى في النّائِبَةِ».

26205ـ حدثني محمد بن عبد الله بن عبد الحكم, قال: حدثنا زياد بن يونس أبو سلامة, عن نافع بن عمر المكي, عن ابن أبي مليكة, عن عبد الله بن عمر, قال: إن نجوت من ثلاث طمعت أن أنجو. قال عبد الله بن صفوان ما هنّ أنبيك فيهنّ, قال: أخرج المال العظيم, فأخرجه ضرارا, ثم أقول: أقرض ربي هذه الليلة, ثم تعود نفسي فيه حتى أعيده من حيث أخرجته, وإن نجوت من شأن عثمان, قال ابن صفوان: أما عثمان فقُتل يوم قُتل, وأنت تحبّ قتله وترضاه, فأنت ممن قتله وأما أنت فرجل لم يقك الله شحّ نفسك, قال: صدقت.

26206ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قول الله عزّ وجلّ: وَمَنْ يُوقَ شُحّ نَفْسِهِ قال: من وقى شحّ نفسه فلم يأخذ من الحرام شيئا, ولم يقربه, ولم يدعه الشحّ أن يحبس من الحلال شيئا, فهو من المفلحين, كما قال الله عزّ وجلّ.

وحدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله: وَمَنْ يُوقَ شُحّ نَفْسِهِ قال: من لم يأخذ شيئا لشيء نهاه الله عزّ وجلّ عنه, ولم يدعه الشحّ على أن يمنع شيئا من شيء أمره الله به, فقد وقاه الله شحّ نفسه, فهو من المفلحين.

الآية : 10

القول فـي تأويـل قوله تعالى: {وَالّذِينَ جَآءُوا مِن بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلإِخْوَانِنَا الّذِينَ سَبَقُونَا بِالإِيمَانِ وَلاَ تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلاّ لّلّذِينَ آمَنُواْ رَبّنَآ إِنّكَ رَءُوفٌ رّحِيمٌ }.

يقول تعالى ذكره: والذين جاءوا من بعد الذين تبوّءوا الدار والإيمان من قبل المهاجرين الأوّلين يَقُولُونَ رَبّنا اغْفِرْ لَنا ولإِخْوَانِنا الّذِينَ سَبَقُونا بالإيمَان مِنَ الأنصار. وعنى بالذين جاءوا من بعدهم المهاجرون أنهم يستغفرون لإخوانهم من الأنصار.

وقوله: وَلا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنا غَلاّ لّلّذِينَ آمَنُوا يعني غمرا وضغنا. وقيل: عني بالذين جاءوا من بعدهم: الذين أسلموا من بعد الذين تبوّءوا الدار. ذكر من قال ذلك:

26207ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء, جميعا عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, قوله: والّذِينَ جاءوا مِنْ بَعْدِهِمْ قال: الذين أسلموا نعتوا أيضا.

26208ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قال: ثم ذكر الله الطائفة الثالثة, فقال: والّذِينَ جاءوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبّنا

اغْفِرْ لَنا وَلإِخْوَانِنا حتى بلغ إنّكَ رَحِيمٌ إنما أمروا أن يستغفروا لأصحاب النبيّ صلى الله عليه وسلم ولم يؤمروا بسببهم.
وذُكر لنا أن غلاما لحاطب بن أبي بلتعة جاء نبيّ الله صلى الله عليه وسلم فقال: يا نبيّ الله ليدخلنّ حاطب في حيّ النار, قال: «كذبت إنه شهد بدرا والحُديبية» وذُكر لنا أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أغلظ لرجل من أهل بدر, فقال نبيّ الله صلى الله عليه وسلم: «وَما يُدْرِيكَ يا عُمَرُ لَعَلَّهُ قَدْ شَهِدَ مَشْهَدا اطّلَعَ اللّهُ فِيهِ إلى أهْلِهِ, فأشْهَدَ مَلائِكَتَهُ إنُي قَدْ رَضِيتُ عَنْ عِبادي هَؤلاء, فَلْيَعْلَمُوا ما شاءُوا» فما زال بعضُنا منقبضا من أهل بدر, هائبا لهم, وكان عمر رضي الله عنه يقول: وإلى أهل بدر تهالك المتهالكون, وهذا الحيّ من الأنصار, أحسن الله عليهم الثناء.
26209ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قول الله: وَلا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنا غلاّ لِلّذِينَ آمَنُوا قال: لا تورث قلوبنا غلاً لأحد من أهل دينك.
26210ـ حدثنا ابن بشار, قال: حدثنا عبد الرحمن, قال: حدثنا سفيان, عن قيس بن مسلم, عن ابن أبي ليلى, قال: كان الناس على ثلاث منازل: المهاجرون الأوّلون وَالّذِينَ اتّبَعُوهُمْ بإحْسانٍ وَالّذِينَ جاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبّنا اغْفِرْ لَنا ولإخْوَانِنا الّذِينَ سَبَقُونا بالإيمَانِ وَلا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنا غِلاّ لِلّذِينَ آمَنُوا رَبّنا إنّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ يقول جلّ ثناؤه مخبرا عن قيل الذين جاءوا من بعد الذين تبوّءوا الدار والإيمان أنهم قالوا: لا تجعل في قلوبنا غلاً لأحد من أهل الإيمان بك يا ربنا.
قوله: إنّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ يقول: إنك ذو رأفة بخلقك, وذو رحمة بمن تاب واستغفر من ذنوبه.

الآية : 11

القول فـي تأويـل قوله تعالى: {أَلَمْ تَرَ إِلَى الّذِينَ نَافَقُواْ يَقُولُونَ لإِخْوَانِهِمُ الّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنّ مَعَكُمْ وَلاَ نُطِيعُ فيكُمْ أَحَداً أَبَداً وَإِن قُوتِلْتُمْ لَنَنصُرَنّكُمْ وَاللّهُ يَشْهَدُ إِنّهُمْ لَكَاذِبُونَ }.
يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: ألم تنظر بعين قلبك يا محمد, فترى إلى الذين نافقوا وهم فيما ذُكر عبد الله بن أبيّ ابن سلول, ووديعة, ومالك ابنا نوفل وسُوَيد وداعس بَعَثوا إلى بني النضير حين نزل بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم للحرب أن اثبتُوا وتمنّعوا, فإنا لن نسلمكم, وإن قوتلتم قاتلنا معكم, وإن خرجتم, خرجنا معكم, فتربصوا لذلك من نصرهم, فلم يفعلوا, وقذف الله في قلوبهم الرعب, فسألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يجليهم, ويكفّ عن دمائهم على أن لهم ما حملت الإبل من أموالهم إلا الحلقة.
26211ـ حدثنا بذلك ابن حُمَيد, قال: حدثنا سلمة, قال: حدثنا محمد بن إسحاق, عن يزيد بن رُومان.
وقال مجاهد في ذلك ما:
26212ـ حدثني به محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء, جميعا عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, في قوله: أَلَمْ تَرَ إلى الّذِينَ نافَقُوا قال: عبد الله بن أُبيّ ابن سلول, ورفاعة أو رافعة بن تابوت. وقال الحارث: رفاعة بن تابوت, ولم يشكّ فيه, وعبد الله بن نَبْتل, وأوس بن قَيْظِيّ.

26213ـ حدثنا ابن حُمَيد, قال: حدثنا سلمة, عن محمد بن إسحاق, عن محمد بن أبي محمد, عن عكرمة, أو عن سعيد بن جُبَير, عن ابن عباس, قوله أَلَمْ تَرَ إلى الّذِينَ نافَقُوا يعني عبد الله بن أُبيّ ابن سلول وأصحابه, ومن كان منهم على مثل أمرهم.

وقوله: يَقُولُون لإخْوَانِهِمُ الّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أهْلِ الكِتابِ يعني بني النضير, كما:

26214ـ حدثنا ابن حُمَيد, قال: حدثنا سلمة, عن ابن إسحاق, عن محمد بن أبي محمد, عن عكرمة, أو عن سعيد بن جُبَير, عن ابن عباس يَقُولُونَ لإخْوَانِهِمُ الّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أهْلِ الكِتابِ يعني: بني النضير.

وقوله: لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنّ مَعَكُمْ يقول: لئن أخرجتم من دياركم ومنازلكم, وأُجْليتم عنها لنخرُجَنّ معكم, فنُجلى عن منازلنا وديارنا معكم.

وقوله: وَلا نُطِيعُ فِيكُمْ أحَدا أبَدا يقول: ولا نطيع أحدا سألنا خذلانكم, وترك نصرتكم, ولكنا نكون معكم وَلَئِنْ قُوتِلْتُمْ لَنَنْصُرَنّكُمْ يقول: وإن قاتلكم محمد صلى الله عليه وسلم ومن معه لننصرنّكم معشرَ النضير عليهم.

وقوله: واللّهُ يَشْهَدُ إنّهُمْ لَكاذِبُونَ يقول: والله يشهد إن هؤلاء المنافقين الذين وعدوا بني النضير النصرة على محمد صلى الله عليه وسلم لَكَاذِبُونَ في وعدهم إياهم مَا وَعَدُوهم من ذلك.

الآية : 12

القول فـي تأويـل قوله تعالى: {لَئِنْ أُخْرِجُواْ لاَ يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَلَئِن قُوتِلُواْ لاَ يَنصُرُونَهُمْ وَلَئِن نّصَرُوهُمْ لَيُوَلّنّ الأدْبَارَ ثُمّ لاَ يُنصَرُونَ }.

يقول تعالى ذكره: لئن أُخرج بنو النضير من ديارهم, فأجْلوا عنها لا يخرج معهم المنافقون الذين وعدوهم الخروج من ديارهم, ولئن قاتلهم محمد صلى الله عليه وسلم لا ينصرهم المنافقون الذين وعدوهم النصر, ولئن نصر المنافقون بني النضير ليولّنّ الأدبار منهزمين عن محمد صلى الله عليه وسلم وأصحابه هاربين منهم, قد خذلوهم ثُمّ لا يُنْصَرُونَ يقول: ثم لا ينصر الله بني النضير على محمد صلى الله عليه وسلم, وأصحابه بل يخذلهم.

الآية : 13-14

القول فـي تأويـل قوله تعالى: {لأنتُمْ أَشَدّ رَهْبَةً فِي صُدُورِهِمْ مّنَ اللّهِ ذَلِكَ بِأنّهُمْ قَوْمٌ لاّ يَفْقَهُونَ * لاَ يُقَاتِلُونَكُمْ جَمِيعاً إلاّ فِي قُرًى مّحَصّنَةٍ أَوْ مِن وَرَآءِ جُدُرٍ بَأسُهُمْ بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعاً وَقُلُوبُهُمْ شَتّىَ ذَلِكَ بِأنّهُمْ قَوْمٌ لاّ يَعْقِلُونَ }.

يقول تعالى ذكره للمؤمنين به من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم: لأنتم أيها المؤمنون أشدّ رهبة في صدور اليهود من بني النضير من الله: يقول: هم يرهبونهم أشدّ من رهبتهم من الله ذَلكَ بأنّهُمْ قَوْمٌ لا يَفْقَهُونَ يقول تعالى ذكره: هذه الرهبة التي لكم في صدور هؤلاء اليهود التي هي أشد من رهبتهم من الله من أجل أنهم قوم لا يفقهون, قدر عظمة الله, فهم لذلك يستخفّون بمعاصيه, ولا يرهبون عقابه قدر رهبته منكم.

وقوله: لا يُقاتِلُونَكُمْ جَمِيعا إلاّ فِي قُرًى مُحَصّنَةٍ يقول جلّ ثناؤه: لا يقاتلكم هؤلاء اليهود بني النضير مجتمعين إلا في قرى محصنة بالحصون, لا يبرزون لكم بالبراز, أوْ مِنْ وَرَاءِ جُدُرٍ يقول: أو من خلف حيطان.

واختلف القرّاء في قراءة ذلك, فقرأته عامة قرّاء الكوفة والمدينة أوْ مِنْ وَرَاءِ جُدُرٍ على الجماع بمعنى الحيطان. وقرأه بعض قرّاء مكة والبصرة: «مِنْ وَرَاءِ جِدَارٍ» على التوحيد بمعنى الحائط.

والصواب من القول عندي في ذلك أنهما قراءاتان معروفتان صحيحتا المعنى, فبأيتهما قرأ القارىء فمصيب.

وقوله: بأْسُهُمْ بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ يقول جلّ ثناؤه: عداوة بعض هؤلاء الكفار من اليهود بعضا شديدة تَحْسَبُهُمْ جَمِيعا يعني المنافقين وأهل الكتاب, يقول: تظنهم مؤتلفين مجتمعة كلمتهم, وَقُلُوبُهُمْ شَتّى يقول: وقلوبهم مختلفة لمعاداة بعضهم بعضا.

وقوله: ذَلِكَ بأنّهُمْ قَوْمٌ لا يَعْقِلُونَ يقول جلّ ثناؤه: هذا الذي وصفت لكم من أمر هؤلاء اليهود والمنافقين, وذلك تشتيت أهوائهم, ومعاداة بعضهم بعضا من أجل أنهم قوم لا يعقلون ما فيه الحظّ لهم مما فيه عليهم البخس والنقص. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

26215ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد عن قتادة, قوله: لا يُقاتِلُونَكُمْ جَمِيعا إلاّ فِي قُرًى مُحَصّنَةٍ أوْ مِنْ وَرَاءِ جُدُرٍ بأْسُهُمْ بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعا وَقُلُوبُهُمْ شَتّى ذَلكَ بأنّهُمْ قَوْمٌ لا يَعْقِلُونَ قال: تجد أهل الباطل مختلفة شهادتهم, مختلفة أهواؤهم, مختلفة أعمالهم, وهم مجتمعون في عداوة أهل الحقّ.

26216ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء, جميعا عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, قوله: تَحْسَبُهُمْ جَمِيعا وَقُلُوبُهُمْ شَتّى قال: المنافقون يخالف دينهم دين النضير.

26217ـ حدثنا ابن حُمَيد, قال: حدثنا مهران, عن سفيان, عن ليث, عن مجاهد تَحْسَبُهُمْ جَمِيعا وَقُلُوبُهُمْ شَتّى قال: هم المنافقون وأهل الكتاب.

26218ـ قال: ثنا مهران, عن سفيان, مثل ذلك.

حدثنا ابن حُمَيد, قال: حدثنا مهران, عن سفيان, عن خصيف, عن مجاهد تَحْسَبُهُمْ جَمِيعا وَقُلُوبُهُمْ شَتّى قال: المشركون وأهل الكتاب.

وذُكر أنها في قراءة عبد الله: وَقُلُوبُهُمْ أشَتّ» بمعنى: أشدّ تشتتا: أي أشدّ اختلافا.

الآية : 15-16

القول في تأويل قوله تعالى: {كَمَثَلِ الّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ قَرِيباً ذَاقُواْ وَبَالَ أَمْرِهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ * كَمَثَلِ الشّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلإِنسَانِ اكْفُرْ فَلَمّا كَفَرَ قَالَ إِنّي بَرِيءٌ مّنكَ إِنّيَ أَخَافُ اللّهَ رَبّ الْعَالَمِينَ }.

يقول تعالى ذكره: مثل هؤلاء اليهود من بني النضير والمنافقين فيما الله صانع بهم من إحلال عقوبته بهم كَمَثَلِ الّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ يقول: كشبههم.

واختلف أهل التأويل في الذين عنوا بالذين من قبلهم, فقال بعضم: عني بذلك بنو قَيْنُقاع. ذكر من قال ذلك:

26219ـ حدثنا ابن حُمَيد, قال: حدثنا سلمة, عن ابن إسحاق, عن محمد بن أبي محمد, عن عكرمة أو سعيد بن جُبَير, عن ابن عباس, قوله كَمَثَلِ الّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ قَرِيبا ذَاقُوا وَبالَ أمْرِهِمْ وَلهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ يعني بني قَيْنُقاع.

وقال آخرون: عُني بذلك مشركو قريش ببدر. ذكر من قال ذلك:

26220ـ حدثني محمد بن عمر, قال: حدثنا أبو عاصم قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء, جميعا عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد في قوله: كَمَثَلِ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ قَرِيبا ذَاقُوا وَبالَ أَمْرِهِمْ قال: كفار قريش.

وأولى الأقوال بالصواب أن يقال: إن الله عزّ وجلّ مثل هؤلاء الكفار من أهل الكتاب مما هو مذيقهم من نكاله بالذين من قبلهم من مكذّبي رسوله صلى الله عليه وسلم, الذين أهلكهم بسخطه, وأمر بني قينقاع ووقعة بدر, كانا قبل جلاء بني النضير, وكلّ أولئك قد ذاقوا وبال أمرهم, ولم يخصص الله عزّ وجلّ منهم بعضا في تمثيل هؤلاء بهم دون بعض, وكلّ ذائق وبال أمره, فمن قربت مدته منهم قبلهم, فهم ممثلون بهم فيما عُنُوا به من المثل.

وقوله: ذَاقُو وَبالَ أَمْرِهِمْ يقول: نالهم عقاب الله على كفرهم به.

وقوله: وَلهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ يقول: ولهم في الآخرة مع ما نالهم في الدنيا من الخزي عذاب أليم, يعني: موجع.

وقوله: كَمَثَلِ الشَّيْطانِ إِذْ قالَ للإنْسانِ اكْفُرْ فَلَمّا كَفَرَ قال إنّي بَرِيءٌ مِنْكَ إنّي أَخافُ اللّهَ رَبّ العَالَمِينَ يقول تعالى ذكره: مثل هؤلاء المنافقين الذين وعدوا اليهود من النضيرة النضرة, إن قوتلوا, أو الخروج معهم إن أخرجوا, ومثل النضير في غرورهم إياهم بإخلافهم الوعد, وإسلامهم إياهم عند شدّة حاجتهم إليهم, وإلى نُصرتهم إياهم, كمثل الشيطان الذي غرّ إنْسانا, ووعده على اتباعه وكفره بالله, النصرة عند الحاجة إليه, فكفر بالله واتبعه وأطاعه, فلما احتاج إلى نُصرته أسلمه وتبرأ منه, وقال له: إني أخاف الله ربّ العالمين في نُصرتك.

وقد اختلف أهل التأويل في الإنسان الذي قال الله جلّ ثناؤه إذْ قالَ للإنْسانِ اكْفُرْ هو إنسان بعينه, أم أريد به المثل لمن فعل الشيطان ذلك به, فقال بعضهم: عُنِي بذلك إنسان بعينه. ذكر من قال ذلك:

26221ـ حدثنا خلاد بن أسلم, قال: حدثنا النضر بن شميل, قال: أخبرنا شعبة, عن أبي إسحاق, قال: سمعت عبد الله بن نهيك, قال: سمعت عليا رضي الله عنه يقول: إن راهبا تعبّد ستين سنة, وإن الشيطان أرداه فأعياه, فعمد إلى امرأة فأجنها, ولها إخوة, فقال لإخوتها: عليكم بهذا القسّ فيداويها, فجاءوا بها, قال: فداواها, وكانت عنده, فبينما هو يوما عندها إذ أعجبته, فأتاها فحملت, فعمد إليها فقتلها, فجاء إخوتها, فقال الشيطان للراهب: أنا صاحبك, إنك أعييتني, أنا صنعت بك هذا فأطعني أنجك مما صنعتُ بك, اسجد لي سجدة, فسجد له فلما سجد له قال: إني بريء منك إني أخاف الله ربّ العالمين فذلك قوله: كمَثَلِ الشّيْطَانِ إِذْ قالَ للإنْسانِ اكْفُرْ فَلَمّا كَفَرَ قالَ إنّي بَرِيءٌ مِنْكَ إنّي أخافُ اَللّهَ رَبّ العالَمِينَ.

26222ـ حدثني يحيى بن إبراهيم المسعودي, قال: حدثنا أبي, عن أبيه, عن جده, عن الأعمش, عن عمارة, عن عبد الرحمن بن زيد, عن عبد الله بن مسعود في هذه الآية كمَثَلِ الشّيْطَانِ إِذْ قالَ للإنْسانِ اكْفُرْ فَلَمّا كَفَرَ قالَ إنّي بَرِيءٌ مِنْكَ إنّي أخافُ اللّهَ رَبّ العالَمِينَ قال: كانت امرأة ترعى الغنم, وكان لها أربعة إخوة, وكانت تأوي بالليل إلى صومعة راهب, قال: فنزل الراهب ففجر بها, فحملت, فأتاه الشيطان, فقال له اقتلها ثم ادفعها, فإنك رجل مصدّق يسمع كلامك, فقتلها ثم دفنها قال: فأتى الشيطان إخوتها في

المنام, فقال لهم: إن الراهب صاحب الصومعة فجر بأختكم فلما أحبلها قتلها, ثم دفنها في مكان كذا وكذا, فلما أصبحوا قال رجل منهم: والله لقد رأيت البارحة رؤيا وما أدري أقصها عليكم أم أترك؟ قالوا: لا, بل قُصّها علينا قال: فقصها, فقال الآخر: وأنا والله لقد رأيت ذلك قالوا: فما هذا إلا لشيء, فانطلقوا فاستعدَوْا مَلِكَهُم على ذلك الراهب, فأتَوه فأنزلوه, ثم انطلقوا به, فلقيه الشيطان فقال: إني أنا الذي أوقعتك في هذا ولن ينجيك منه غيري فاسجد لي سجدة واحدة وأنا أنجيك مما أوقعتك فيه قال: فسجد له فلما أتَوا به ملكَهم تبرأ منه, وأخِذ فقتل.

26223ـ حدثني محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس, قوله: كمَثَلِ الشّيْطَانِ إذْ قالَ للإنْسانِ اكْفُرْ... إلى وَذَلكَ جزاءُ الظّالِمِينَ قال عبد الله بن عباس: كان راهب من بني إسرائيل يعبد الله فيحسن عبادته, وكان يُؤتى من كلّ أرض فيُسئل عن الفقه, وكان عالما, وإن ثلاثة إخوة كانت لهم أخت حسنة من أحسن الناس, وإنهم أرادوا أن يسافروا, فكبر عليهم أن يخلفوها ضائعة, فجعلوا يأتمرون ما يفعلون بها فقال أحدهم: أدلكم على من تتركونها عنده؟ قالوا: من هو؟ قال: راهب بني إسرائيل, إن ماتت قام عليها. وإن عاشت حفظها حتى ترجعوا إليه فعمدوا إليه فقالوا: إنا نريد السفر, ولا نجد أحدا أوثق في أنفسنا, ولا أحفظ لما وُلّيَ منك لما جعل عندك, فإن رأيت أن نجعل أختنا عندك فإنها ضائعة شديدة الوجع, فإن ماتت فقم عليها, وإن عاشت فأصلح إليها حتى نرجع, فقال: أكفيكم إن شاء الله فانطلقوا فقام عليها فداواها حتى بَرَأت, وعاد إليها حسنها, فاطلع إليها فوجدها متصنعة, فلم يزل به الشيطان يزين له أن يقع عليها حتى وقع عليها, فحملت, ثم ندمه الشيطان فزين له قتلها قال: إن لم تقتلها افتضحت وعرف شبهك في الولد, فلم يكن لك معذرة, فلم يزل به حتى قتلها, فلما قدم إخوتها سألوه ما فعلت؟ قال: ماتت فدفنتها, قالوا: قد أحسنت, ثم جعلوا يرون في المنام, ويخبرون أن الراهب هو قتلها, وأنها تحت شجرة كذا وكذا, فعمدوا إلى الشجرة فوجدوها تحتها قد قتلت, فعمدوا إليه فأخذوه, فقال له الشيطان: أنا زيّنت لك الزنا وقتلها بعد الزنا, فهل لك أن أنجيك؟ قال: نعم, قال: أفتطيعني؟ قال: نعم قال: فاسجد لي سجدة واحدة, فسجد له ثم قتل, فذلك قوله كمَثَلِ الشّيْطَانِ إذْ قالَ للإنْسانِ اكْفُرْ فَلَمّا كَفَرَ قالَ إنّي بَرِيءٌ مِنْكَ الآية.

26224ـ حدثنا ابن عبد الأعلى, قال: حدثنا ابن ثور, عن معمر, عن ابن طاوس, عن أبيه قال: كان رجل من بني إسرائيل عابدا, وكان ربما داوى المجانين, فكانت امرأة جميلة, فأخذها الجنون, فجيء بها إليه, فتركت عنده, فأعجبته, فوقع عليها فحملت, فجاءه الشيطان فقال: إن عُلم بهذا افتضحت, فاقتلها وادفنها في بيتك, فقتلها ودفنها, فجاء أهلها بعد ذلك بزمان يسألونه, فقال: ماتت, فلم يتهموه لصلاحه فيهم, فجاءهم الشيطان فقال: إنها لم تمت, ولكنه وقع عليها فقتلها ودفنها في بيته في مكان كذا وكذا, فجاء أهلها, فقالوا: ما نتهمك, فأخبرنا أين دفنتها, ومن كان معك, فوجدوها حيث دفنها, فأخذ وسُجن, فجاءه الشيطان فقال: إن كنت تريد أن أخرجك مما أنت فيه فتخرج منه, فاكفر بالله, فأطاع الشيطان, وكفر بالله, فأخذ وقتل, فتبرأ الشيطان منه حينئذ. قال: فما أعلم هذه الآية إلا نزلت فيه

كمَثَلِ الشّيْطَانِ إذْ قالَ للإنْسانِ اكْفُرْ فَلَمّا كَفَرَ قالَ إنّي بَرِيءٌ مِنْكَ إنّي أخافُ اللّهَ رَبّ العالَمِينَ.

وقال آخرون: بل عُنِي بذلك الناس كلهم, وقالوا: إنما هذا مثل ضُرِب للنضير في غرور المنافقين إياهم. ذكر من قال ذلك:

26225ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء, جميعا عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد كَمَثَلِ الشّيْطَانِ إذْ قالَ للإنْسانِ اكْفُرْ عامّة الناس.

الآية : 17-18

القول في تأويل قوله تعالى: {فَكَانَ عَاقِبَتَهُمَآ أَنَّهُمَا فِي النّارِ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَآءُ الظّالِمِينَ * يَأيّهَا الّذِينَ آمَنُواْ اتّقُواْ اللّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مّا قَدّمَتْ لِغَدٍ وَاتّقُواْ اللّهَ إنّ اللّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ }.

يقول تعالى ذكره: فكان عُقبى أمر الشيطان والإنسان الذي أطاعه, فكفر بالله أنهما خالدان في النار ماكثان فيها أبدا وَذَلِكَ جَزَاءُ الظّالِمِينَ يقول: وذلك ثواب اليهود من النضير والمنافقين الذين وعدوهم النصرة, وكلّ كافر بالله ظالم لنفسه على كفره به أنهم في النار مخلّدون.

واختلف أهل العربية في وجه نصب قوله: خالِدَيْنِ فِيها فقال بعض نحويي البصرة: نصب على الحال, وفي النار خبر قال: ولَو كان في الكلام لكان الرفع أجود في «خالدين» قال: وليس قولهم: إذا جئت مرّتين فهو نصب لشيء, إنما فيها توكيد جئت بها أو لم تجىء بها فهو سواء, إلا أن العرب كثيرا ما تجعله حالاً إذا كان فيها للتوكيد وما أشبهه في غير مكان قال: إنّ الّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أهْلِ الكِتابِ وَالمُشْرِكِينَ فِي نارِ جَهَنّمَ خالِدِينَ فِيها. وقال بعض نحويي الكوفة: في قراءة عبد الله بن مسعود: «فَكَانَ عاقِبَتَهُمَا أنّهُما في النّارِ خالِدَيْنِ في النّارِ» قال: وفي أنهما في النار خالدين فيها نصب قال: ولا أشتهي الرفع وإن كان يجوز, فإذا رأيت الفعل بين صفتين قد عادت إحداهما على موضع الأخرى نصبت, فهذا من ذلك قال: ومثله في الكلام قولك: مررت برجل على نابِه متحملاً به ومثله قول الشاعر:

والزّعْفَرَانُ عَلى تَرائِبِهاشَرِقا بِهِ اللّبّاتُ والنّحْرُ

لأن الترائب هي اللبات ها هنا, فعادت الصفة باسمها الذي وقعت عليه, فإذا اختلفت الصفتان جاز الرفع والنصب على حُسْن, من ذلك قولك: عبد الله في الدار راغب فيك, ألا ترى أن «في» التي في الدار مخالفة لفي التي تكون في الرغبة قال: والحجة ما يُعرف به النصف من الرفع أن لا ترى الصفة الآخرة تتقدم قبل الأولى ألا ترى أنك تقول: هذا أخوك في يده درهم قابضا عليه, فلو قلت: هذا أخوك قابضا عليه في يده درهم لم يجز, إلا ترى أنك تقول: هذا رجل قائم إلى زيد في يده درهم, فهذا يدل على أن المنصوب إذا امتنع تقديم الآخر, ويدل على الرفع إذا سهل تقديم الآخر.

وقوله يا أيّها الّذِينَ آمَنُوا اتّقُوا اللّهَ يقول تعالى ذكره: يا أيها الذين صدّقوا الله ووحدوه, اتقوا الله بأداء فرائضه, واجتناب معاصيه.

وقوله وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ ما قَدّمَتْ لِغَدٍ يقول: ولينظر أحدكم ما قدّم ليوم القيامة من الأعمال, أمن الصالحات التي تنجيه أم من السيئات التي توبقه؟. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

26226ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: اتّقُوا اللّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ ما قَدّمَتْ لِغَدٍ: ما زال ربكم يقرّب الساعة حتى جعلها كغد, وغدٌ يوم القيامة.
حدثنا ابن عبد الأعلى, قال: حدثنا ابن ثور, عن معمر, عن قتادة ما قَدّمتْ لِغَدٍ يعني يوم القيامة.
26227ـ حُدثت عن الحسين, قال: سمعت أبا معاذ يقول: حدثنا عبيد, قال: سمعت الضحاك يقول في قوله: ما قَدّمتْ لِغَد يعني يوم القيامة.
26228ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, وقرأ قول الله عزّ وجلّ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ ما قَدّمَتْ لِغَدٍ يعني يوم القيامة الخير والشرّ قال: والأمس في الدنيا, وغدٌ في الآخرة, وقرأ: كأنْ لَمْ تَغْنَ بالأمْسِ قال: كأن لم تكن في الدنيا.
وقوله: وَاتّقُوا الله يقول: وخافوا الله بأداء فرائضه, واجتناب معاصيه إنّ اللّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْلَمُونَ يقول: إن الله ذو خبرة وعلم بأعمالكم خيرها وشرّها, لا يخفى عليه منها شيء, وهو مجازيكم على جميعها.

الآية : 19

القول فـي تأويـل قوله تعالى: {وَلاَ تَكُونُواْ كَالّذِينَ نَسُواْ اللّهَ فَأَنسَاهُمْ أَنفُسَهُمْ أُولَـَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ }.
يقول تعالى ذكره: ولا تكونوا كالذين تركوا أداء حقّ الله الذي أوجبه عليهم فأنْساهُمْ أنْفُسَهُمْ يقول: فأنساهم الله حظوظ أنفسهم من الخيرات. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:
26229ـ حدثنا ابن حُمَيد, قال: حدثنا مهران, عن سفيان نَسُوا اللّهَ فأنْساهُمْ أنْفُسَهُمْ قال: نَسُوا حقّ الله, فأنساهم أنفسهم قال: حظّ أنفسهم.
وقوله: أُولَئِكَ هُمُ الفاسقون يقول جل ثناؤه: هؤلاء الذين نسوا الله, هم الفاسقون, يعني الخارجون من طاعة الله إلى معصيته.

الآية : 20

القول فـي تأويـل قوله تعالى: {لاَ يَسْتَوِيَ أَصْحَابُ النّارِ وَأَصْحَابُ الْجَنّةِ أَصْحَابُ الْجَنّةِ هُمُ الْفَآئِزُونَ }.
يقول تعالى ذكره: لا يعتدل أهل النار وأهل الجنة, أهل الجنة هم الفائزون, يعني أنهم المُدرِكون ما طلبوا وأرادوا, الناجون مما حذروا.

الآية : 21

القول فـي تأويـل قوله تعالى: {لَوْ أَنزَلْنَا هَـَذَا الْقُرْآنَ عَلَىَ جَبَلٍ لّرَأَيْتَهُ خَاشِعاً مّتَصَدّعاً مّنْ خَشْيَةِ اللّهِ وَتِلْكَ الأمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنّاسِ لَعَلّهُمْ يَتَفَكّرُونَ }.
وقوله: لَوْ أنْزَلْنا هَذَا القُرآنَ عَلَى جَبَلٍ لرأيْتَهُ خاشِعا مُتَصَدّعا مِن خَشْيَةِ اللّهِ يقول جلّ ثناؤه: لو أنزلنا هذا القرآن على جبل, وهو حجر, لرأيته يا محمد خاشعا يقول: متذللاً, متصدعا من خشية الله على قساوته, حذرا من أن لا يؤدّي حقّ الله المفترض عليه في تعظيم القرآن, وقد أنزل على ابن آدم وهو بحقه مستخفٌ, وعنه, عما فيه من العِبَر والذكر, مُعْرض, كأن لم يسمعها, كأن في أذنيه وَقْرا. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

26230ـ حدثني محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس قوله: لَوْ أنْزَلْنا هَذَا القُرآنَ عَلَى جَبَلٍ لرأيْتَهُ خاشِعا مُتَصَدّعا مِن خَشْيَةِ اللّهِ... إلى قوله: لَعَلّهُمْ يَتَفَكّرُونَ قال: يقول: لو أني أنزلت هذا القرآن على جبل حملته إياه تصدع وخشع من ثقله ومن خشية الله, فأمر الله عز وجل الناس إذا نزل عليهم القرآن, أن يأخذوه بالخشية الشديدة والتخشع, قال: كذَلِكَ يَضْرِبُ اللّهُ الأمْثَال للنّاسِ لَعَلّهُمْ يَتَفَكّرُونَ.

26231ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: لَوْ أنْزَلْنا هَذَا القُرآنَ عَلَى جَبَل لرأيْتَهُ خاشِعا مُتَصَدّعا مِن خَشْيَةِ اللّهِ... الآية, يعذر الله الجبل الأصمّ, ولم يعذر شقيّ ابن آدم, هل رأيتم أحدا قطّ تصدّعت جوانحه من خشية الله؟.

وَتِلكَ الأمْثالُ نَضْرُبها للنّاسِ يقول تعالى ذكره: وهذه الأشياء نشبهها للناس, وذلك تعريفه جلّ ثناؤه إياهم أن الجبال أشدّ تعظيما لحقه منهم مع قساوتها وصلابتها.

وقوله: لَعَلّهُمْ يَتَفَكّرُونَ يقول: يضرب الله لهم هذه الأمثال ليتفكروا فيها, فينيبوا, وينقادوا للحق.

الآية : 22

القول فـي تأويـل قوله تعالى: {هُوَ اللّهُ الّذِي لاَ إِلَـهَ إِلاّ هُوَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشّهَادَةِ هُوَ الرّحْمَـنُ الرّحِيمُ }.

يقول تعالى ذكره: الذي يتصدع من خشيته الجبل أيها الناس, هو المعبود الذي لا تنبغي العبادة والألوهية إلا له, عالم غيب السموات والأرض, وشاهد ما فيهما مما يرى ويحسّ هُوَ الرّحْمَنُ الرّحِيمُ يقول: هو رحمن الدنيا والآخرة, رحيم بأهل الإيمان به.

الآية : 23

القول فـي تأويـل قوله تعالى: {هُوَ اللّهُ الّذِي لاَ إِلَـهَ إِلاّ هُوَ الْمَلِكُ الْقُدّوسُ السّلاَمُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبّارُ الْمُتَكَبّرُ سُبْحَانَ اللّهِ عَمّا يُشْرِكُونَ }.

يقول تعالى ذكره: هو المعبود الذي لا تصلح العبادة إلا له, الملك الذي لا ملك فوقه, ولا شيء إلا دونه, القدّوس, قيل: هو المبارك. وقد بيّنت فيما مضى قبل معنى التقديس بشواهده, وذكرت اختلاف المختلفين فيه بما أغنى عن إعادته. ذكر من قال: عُنِي به المبارك:

26232ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة القُدّوسُ: أي المبارك.

وقوله: السلامُ يقول: هو الذي يسلم خلقه من ظلمه, وهو اسم من أسمائه, كما:

26233ـ حدثنا ابن عبد الأعلى, قال: حدثنا ابن ثور, عن معمر, عن قتادة السّلامُ: الله السلام.

26234ـ حدثنا ابن حُمَيْد, قال: حدثنا يحيى بن واضح, قال: حدثنا عبيد الله, يعني العَتَكي, عن جابر بن زيد قوله: السّلامُ قال: هو الله.

وقد ذكرت الرواية فيما مضى, وبيّنت معناه بشواهده, فأغنى ذلك عن إعادته. وقوله: المُؤْمِنُ يعني بالمؤمن: الذي يؤمن خلقه من ظلمه. وكان قتادة يقول في ذلك ما:

26235ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة المُوءْمِنُ أمن بقوله أنه حقّ.
حدثنا ابن عبد الأعلى, قال: حدثنا ابن ثور, عن معمر, عن قتادة المُوءْمِنُ أمن بقوله أنه حقّ.
26236ـ حدثنا ابن حُمَيد, قال: حدثنا مهران, عن سفيان, عن جُوَيبر عن الضحاك المُوءْمِنُ قال: المصدق.
26237ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد في قوله المُوءْمِنُ قال: المؤمن: المصدّق الموقن, آمن الناس بربهم فسماهم مؤمنين, وآمن الربّ الكريم لهم بإيمانهم صدّقهم أن يسمى بذلك الاسم.
وقوله: المُهَيْمِنُ اختلف أهل التأويل في تأويله, فقال بعضهم: المهيمن: الشهيد. ذكر من قال ذلك:
26238ـ حدثني عليّ, قال: حدثنا أبو صالح, قال: ثني معاوية, عن عليّ, عن ابن عباس, في قوله: المُهَيْمَنُ قال: الشهيد, وقال مرّة أخرى: الأمين.
26239ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث, قال: حدثنا الحسن قال: حدثنا ورقاء, جميعا عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, في قوله: المُهَيْمِنُ قال: الشهيد.
26240ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: المُهَيْمِنُ قال: أنزل الله عزّ وجلّ كتابا فشهد عليه.
حدثنا ابن عبد الأعلى, قال: حدثنا ابن ثور, عن معمر, عن قتادة المُهَيْمِنُ قال: الشهيد عليه.
وقال آخرون: المهيمن: الأمين. ذكر من قال ذلك:
26241ـ حدثنا ابن حُمَيد, قال: حدثنا مهران, عن سفيان, عن جُويبر, عن الضحاك المُهَيْمِنُ: الأمين.
وقال آخرون: المُهَيْمِنُ: المصدّق. ذكر من قال ذلك:
26242ـ حدثنا يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله: المُهَيْمِنُ قال: المصدّق لكلّ ما حدّث, وقرأ: وَمُهَيْمِنا عَلَيْهِ قال: فالقرآن مصدّق على ما قبله من الكتب, والله مصدّق في كلّ ما حدّث عما مضى من الدنيا, وما بقي, وما حدّث عن الآخرة.
وقد بيّنت أولى هذه الأقوال بالصواب فيما مضى قبل في سورة المائدة بالعلل الدالة على صحته, فأغنى عن إعادته في هذا الموضع.
وقوله: العَزِيزُ: الشديد في انتقامه ممن انتقم من أعدائه, كما:
26243ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة العَزِيزُ أي في نقمته إذا انتقم.
حدثنا ابن عبد الأعلى, قال: حدثنا ابن ثور, عن معمر, عن قتادة العَزِيزُ في نقمته إذا انتقم. وقوله: الجَبّارُ يعني: المصلح أمور خلقه, المصرفهم فيما فيه صلاحهم. وكان قتادة يقول: جبر خلقه على ما يشاء من أمره.
26244ـ حدثنا ابن عبد الأعلى, قال: حدثنا ابن ثور, عن معمر, عن قتادة الجَبّارُ قال: جَبَرَ خلقه على ما يشاء.
وقوله: المُتَكَبّرُ قيل: عُنِي به أنه تكبر عن كلّ شرّ. ذكر من قال ذلك:
26245ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة المُتَكَبّرُ قال: تكبر عن كلّ شر.
حدثنا ابن عبد الأعلى, قال: حدثنا ابن ثور, عن معمر, عن قتادة, مثله.

26246ـ حدثني يعقوب بن إبراهيم, قال: حدثنا ابن علية, قال: أخبرنا أبو رجاء, قال: ثني رجل, عن جابر بن زيد, قال: إن اسم الله الأعظم هو الله, ألم تسمع يقول: هُوَ اللّهُ الّذِي لا إِلَهَ إِلاّ هُوَ عالِمُ الغَيْب والشّهادَةِ هُوَ الرّحْمَنُ الرّحِيمُ هُوَ اللّهُ الّذِي لا إِلَهَ إِلاّ هُوَ المَلِكُ القُدّوس السّلامُ المُوءْمِنُ المُهَيْمِنُ العَزيزُ الجَبّارُ المتكبرُ سُبْحانَ اللّهِ عَمّا يُشْرِكُونَ يقول: تنزيها لله وتبرئة له عن شرك المشركين به.

الآية : 24

القول فـي تأويـل قوله تعالى: {هُوَ اللّهُ الْخَالِقُ الْبَارِىءُ الْمُصَوّرُ لَهُ الأسْمَآءُ الْحُسْنَىَ يُسَبّحُ لَهُ مَا فِي السّمَاوَاتِ وَالأرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ }.

يقول تعالى ذكره: هو المعبود الخالق, الذي لا معبود تصلح له العبادة غيره, ولا خالق سواه, البارىء الذي برأ الخلق, فأوجدهم بقدرته, المصوّر خلقه كيف شاء, وكيف يشاء.

وقوله: لَهُ الأسْماءُ الْحُسْنَى يقول تعالى ذكره: لله الأسماء الحسنى, وهي هذه الأسماء التي سمى الله بها نفسه, التي ذكرها في هاتين الآيتين يُسَبّحُ لَهُ ما في السّمَوَاتِ والأرْضِ يقول: يسبح له جميع ما في السموات والأرض, ويسجد له طوعا وكرها وَهُوَ العَزِيزُ يقول: وهو الشديد الانتقام من أعدائه الْحَكِيمُ في تدبيره خلقه, وصرفهم فيما فيه صلاحهم.

سورة الممتحنة

مدنية

وآياتها ثلاث عشرة

بسم الله الرحمَن الرحيم

الآية : 1

القول فـي تأويـل قوله تعالى:{يَأَيّهَا الّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَتّخِذُواْ عَدُوّي وَعَدُوّكُمْ أَوْلِيَآءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدّةِ وَقَدْ كَفَرُواْ بِمَا جَآءَكُمْ مّنَ الْحَقّ يُخْرِجُونَ الرّسُولَ وَإِيّاكُمْ أَن تُؤْمِنُواْ بِاللّهِ رَبّكُمْ إِن كُنتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَاداً فِي سَبِيلِي وَابْتِغَآءَ مَرْضَاتِي تُسِرّونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدّةِ وَأَنَاْ أَعْلَمُ بِمَآ أَخْفَيْتُمْ وَمَآ أَعْلَنتُمْ وَمَن يَفْعَلْهُ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلّ سَوَآءَ السّبِيلِ }.

قال أبو جعفر: يقول: تعالى ذكره للمؤمنين به من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم: يا أيّها الّذِينَ آمَنُوا لا تَتّخِذُوا عَدُوّي من المشركين وَعَدُوّكُمْ أوْلِياءَ يعني أنصارا.

وقوله: تُلْقُونَ إلَيْهِمْ بالمَوَدّة يقول جلّ ثناؤه: تلقون إليهم مودّتكم إياه.

ودخول الباء في قوله: بالمَوَدّةِ وسقوطها سواء, نظير قول القائل: أريد بأن تذهب, وأريد أن تذهب سواء, وكقوله: وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بإلْحادٍ بِظُلْمٍ والمعنى: ومن يرد فيه إلحادا بظلم ومن ذلك قول الشاعر:

فَلَمّا رَجَتْ بالشّرْبِ هَزّ لَهَا العَصَاشَحِيحٌ لَهُ عِنْدَ الإزَاءِ نَهِيمُ

بمعنى: فلما رجت الشربَ.

وقد كَفَرُوا بِمَا جاءَكُمْ مِنَ الحَقّ يقول: وقد كفر هؤلاء المشركون الذين نهيتكم أن تتخذوهم أولياء بما جاءكم من عند الله من الحقّ, وذلك كفرهم بالله ورسوله وكتابه الذي أنزله على رسوله.

وقوله: يَخْرِجُونَ الرّسُولَ وَإيّاكُمْ أنْ تُوءْمِنُوا باللّهِ رَبّكُمْ يقول جلّ ثناؤه: يخرجون رسول الله صلى الله عليه وسلم وإياكم, بمعنى: ويخرجونكم أيضا من دياركم وأرضكم, وذلك مشركي قريش رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه من مكة.

وقوله: أن تُوءْمِنُوا باللّهِ رَبّكُمْ يقول جلّ ثناؤه: يخرجون الرسول وإياكم من دياركم, لأن آمنتم بالله.

وقوله: إنْ كُنْتُمْ خَرَجْتُمْ جِهادا فِي سَبِيلي وَابْتِغاءَ مَرْضَاتِي من المؤخر الذي معناه التقديم, ووجه الكلام: يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوّي وعدوّكم أولياء تلقون إليهم بالمودّة وقد كفروا بما جاءكم من الحقّ إن كنتم خرجتم جهادا في سبيلي, وابتغاء مرضاتي يخرجون الرسول وإياكم أن تؤمنوا بالله ربكم. ويعني بقوله تعالى ذكره: إنْ كُنْتُمْ خَرَجْتُمْ جِهادا فِي سَبِيلي: إن كنتم خرجتم من دياركم, فهاجرتم منها إلى مهاجرَكم للجهاد في طريقي الذي شرعته لكم, وديني الذي أمرتكم به. والتماس مرضاتي.

وقوله: تُسِرّونَ إلَيْهِمْ بالمَوَدّةَ يقول تعالى ذكره للمؤمنين من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم: تسرّون أيها المؤمنون بالمودّة إلى المشركين بالله وأنا أعْلَمُ بِمَا أخْفَيْتُمْ يقول: وأنا أعلم منكم بما أخفى بعضكم من بعض, فأسره منه وَما أعْلَنْتُمْ يقول: وأعلم أيضا منكم ما أعلنه بعضكم لبعض وَمَنْ يَفْعَلْهُ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلّ سَوَاء السّبيلِ يقول جلّ ثناؤه: ومن يسرّ منكم إلى المشركين بالمودّة أيها المؤمنون فقد ضلّ: يقول: فقد جار عن قصد السبيل التي جعلها الله طريقا إلى الجنة ومحجة إليها.

وذُكر أن هذه الآيات من أوّل هذه السورة نزلت في شأن حاطب بن أبي بَلتعة, وكان كتب إلى قُرَيش بمكة يطلعهم على أمر كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أخفاه عنهم, وبذلك جاءت الآثار والرواية عن جماعة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وغيرهم. ذكر من قال ذلك:

26247ـ حدثني عبيد بن إسماعيل الهباريّ, والفضل بن الصباح قالا: حدثنا سفيان بن عيينة, عن عمرو بن دينار عن حسن بن محمد بن عليّ, أخبرني عبيد الله بن أبي رافع, قال: سمعت عليا رضي الله عنه يقول: بعثني رسول الله صلى الله عليه وسلم أنا والزّبير بن العوّام والمقداد قال الفضل قال سفيان: نفر من المهاجرين فقال: «انطلقوا حتى تأتوا روضة خاخ, فإن بها ظعينة معها كتاب, فخذوه منها» فانطلقنا تتعادى بنا خيلنا حتى انتهينا إلى الروضة, فوجدنا امرأة, فقلنا: أخرجي الكتاب, قالت: ليس معي كتاب, قلنا: لتخرجنّ الكتاب, أو لنلقينّ الثياب, فأخرجته من عِقَاصها, وأخذنا الكتاب فانطلقنا به إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم, فإذا فيه: من حاطب بن أبي بلتعة إلى ناس بمكة, يخبرهم ببعض أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم, فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «يا حاطِبُ ما هَذَا؟» قال: يا رسول الله لا تعجل عليّ كنت امرأ ملصقا في قريش, ولم يكن لي فيهم قرابة, وكان من معك من المهاجرين لهم قرابات, يحمون أهليهم بمكة, فأحببت إذ فاتني ذلك من النسب أن أتخذ فيها يدا يحمون بها قرابتي, وما فعلت ذلك كفرا ولا ارتدادا عن ديني, ولا رضا بالكفر بعد الإسلام, فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «قَدْ صَدَقَكُمْ» فقال عمر: يا رسول الله دعني أضرب عنق هذا المنافق, فقال: «إنّهُ قَدْ شَهِدَ بَدْرا, وَما يُدْرِيكَ لَعَلّ اللّهَ قَدِ اطّلَعَ على أهْلِ بَدْرٍ فَقال: اعْمَلُوا ما شِئتُمْ فَقَدْ غَفَرْتُ

لَكُمْ» زاد الفضل في حديثه, قال سفيان: ونزلت فيه يا أيّها الّذِينَ آمَنُوا لا تَتّخِذُوا عَدُوّي وَعَدُوّكُمْ أوْلِياءَ... إلى قوله حتّى تُوءْمِنُوا باللّهِ وَحْدَهُ.

حدثنا ابن حُمَيد, قال: حدثنا مهران, عن أبي سنان سعيد بن سنان, عن عمرو بن مرّة الجملي, عن أبي البختري الطائي, عن الحارث, عن عليّ رضي الله عنه قال: لما أردا النبيّ صلى الله عليه وسلم أن يأتي مكة, أسرّ إلى ناس من أصحابه أنه يريد مكة. فيهم حاطب بن أبي بلتعة, وأفشى في الناس أنه يريد خيبر, فكتب حاطب بن أبي بلتعة إلى أهل مكة أن النبيّ صلى الله عليه وسلم يريدكم, قال: فبعثني النبيّ صلى الله عليه وسلم وأبا مرثد وليس منا رجل إلا وعنده فرس, فقال: ائْتُوا رَوْضَةَ خاخ, فإنّكُمْ سَتَلْقَوْنَ بِها امْرأةً وَمَعَها كِتاب, فَخذُوهُ مِنْها فانطلقنا حتى رأيناها بالمكان الذي ذكر النبيّ صلى الله عليه وسلم, فقلنا: هاتي الكتاب, فقالت: ما معي كتاب, فوضعنا متاعها وفتشنا, فلم نجده في متاعها, فقال أبو مرثد: لعله أن لا يكون معها, فقلت: ما كذَب النبيّ صلى الله عليه وسلم ولا كذبَ, فقلنا: أخرجي الكتاب, وإلا عريناك قال عمرو بن مرّة: فأخرجته من حُجْزَتها, وقال حبيب: أخرجته من قبلها فأتينا به النبيّ صلى الله عليه وسلم فإذا الكتاب: من حاطب بن أبي بلتعة إلى أهل مكة, فقام عمر فقال: خان الله ورسوله, ائذن لي أضرب عنقه, فقال النبيّ صلى الله عليه وسلم: «أَلَيْسَ قَدْ شَهِدَ بَدْرا؟» قال: بلى, ولكنه قد نكث وظاهر أعداءك عليك, فقال النبيّ صلى الله عليه وسلم: «فَلَعَلّ اللّهَ قَدِ اطّلَعَ عَلى أهْلِ بَدْرٍ, فَقالَ: اعْمَلُوا ما شِئْتُمْ», ففاضت عينا عمر وقال: الله ورسوله أعلم, فأرسل إلى حاطب, فقال: «ما حملك على ما صنعت؟» فقال: يا نبيّ الله إني كنت امرأ ملصقا في قريش, وكان لي بها أهل ومال, ولم يكن من أصحابك أحد إلا وله بمكة من يمنع أهله وماله, فكتبت إليهم بذلك, والله يا نبيّ الله إني لمؤمن بالله وبرسوله, فقال النبيّ صلى الله عليه وسلم: «صَدَقَ حاطِبُ بْنُ أبي بَلْتَعَةَ, فَلا تَقُولُوا لِحاطِبَ إلاّ خَيْرا», فقال حبيب بن أبي ثابت: فأنزل الله عزّ وجلّ: يا أيّها الّذِينَ آمَنُوا لا تَتّخِذُوا عَدُوّي وَعَدُوّكُمْ... الآية.

حدثني محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال حدثنا عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس, قوله: يا أيّها الّذِينَ آمَنُوا لا تَتّخِذُوا عَدُوّي وَعَدُوّكُمْ أوْلِياء تُلْقُونَ إلَيْهِمْ بالمَوَدّةِ... إلى آخر الآية, نزلت في رجل كان مع النبيّ صلى الله عليه وسلم بالمدينة من قريش, كتب إلى أهله وعشيرته بمكة, يخبرهم وينذرهم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سائر إليهم, فأخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم بصحيفته, فبعث إليها عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه, فأتاه بها.

26248ـ حدثنا ابن حُمَيد, قال: حدثنا سلمة, قال: ثني محمد بن إسحاق, عن محمد بن جعفر بن الزّبير, عن عروة بن الزبير وغيره من علمائنا, قالوا: لما أجمع رسول الله صلى الله عليه وسلم السير إلى مكة كتب حاطب بن أبي بلتعة كتابا إلى قريش يخبرهم بالذي أجمع عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم من الأمر في السير إليهم, ثم أعطاه امرأة يزعم محمد بن جعفر أنها من مزينة, وزعم غيره أنها سارة مولاة لبعض بني عبد المطلب وجعل لها جُعْلاً, على أن تبلغه قريشا, فجعلته في رأسها. ثم فتلت عليه قرونها, ثم خرجت. وأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم الخبر من

السماء بما صنع حاطب, فبعث عليّ بن أبي طالب والزّبير بن العوّام رضي الله عنهما, فقال: «أدركا امْرأةً قَدْ كَتَبَ مَعَها حاطِبٌ بكِتاب إلى قُرَيْش يُحَذّرُهُمْ ما قَدِ اجْتَمَعْنا لَهُ فِي أمْرِهِمْ», فخرجا حتى أدركا بالحليفة, حليفة ابن أبي أحمد فاستنزلاها فالتمسا في رحلها, فلم يجدا شيئا, فقال لها عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه: إني أحلف بالله ما كُذِبَ رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا كُذِبنا, ولتخرِجنّ إليّ هذا الكتاب, أو لنكشفنك فلما رأت الجدّ منه, قالت: أعرض عني, فأعرض عنها, فحلّت قرون رأسها, فاستخرجت الكتاب فدفعته إليه فجاء به إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم, فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم حاطبا, فقال: «يا حاطب ما حَمَلَكَ على هَذَا؟» فقال: يا رسول الله, أما والله إني لمؤمن بالله ورسوله, ما غيرت ولا بدّلت, ولكني كنت امرأ في القوم ليس لي أصل ولا عشيرة, وكان لي بين أظهرهم أهل وولد, فصانعتهم عليه, فقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: دعني يا رسول الله فلأضرب عنقه, فإن الرجل قد نافق, فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «وَما يُدْرِيكَ يا عُمَرُ لَعَلّ الله قَدِ اطّلَعَ على أصحَاب بَدْرٍ يَوْمَ بَدْرٍ فَقالَ: اعْمَلُوا ما شِئْتم فَقَدْ غَفَرْتُ لَكُمْ» فأنزل الله عزّ وجلّ في حاطب يا أيّها الّذِينَ آمَنُوا لا تَتّخِذُوا عَدُوّي وَعَدُوّكُمْ أوْلِياءَ... إلى قوله وَإلَيْكَ أنَبْنا... إلى آخر القصة.

حدثنا ابن عبد الأعلى قال: حدثنا ابن ثور, عن معمر, عن الزهري, عن عروة قال: لما نزلت: يا أيّها الّذِينَ آمَنُوا لا تَتّخِذُوا عَدُوّي وَعَدُوّكُمْ أوْلِياءَ في حاطب بن أبي بلتعة, كتب إلى كفار قريش كتابا ينصح لهم فيه, فأطلع الله نبيه عليه الصلاة والسلام على ذلك, فأرسل عليا والزّبير, فقال: «اذْهَبا فإنّكُما سَتَجدَنِ امْرأةً بِمَكانِ كَذَا وكَذَا, فأتَيَا بكِتاب مَعَها», فانطلقا حتى أدركاها, فقالا: الكتاب الذي معك, قالت: ليس معي كتاب, فقالا: والله لا ندع معك شيئا إلا فتّشناه, أو تخرجينه, قالت: أولستم مسلمين؟ قالا: بلى, ولكن النبيّ صلى الله عليه وسلم أخبرنا أن معك كتابا قد أيقنت أنفسنا أنه معك فلما رأت جدّهما أخرجت كتابا من بين قرونها, فذهبا به إلى النبيّ صلى الله عليه وسلم, فإذا فيه: من حاطب بن أبي بلتعة إلى كفار قريش, فدعاه النبيّ صلى الله عليه وسلم فقال: «أنْت كَتَبْت هَذَا الكِتاب؟» قال: نعم, قال: «ما حَمَلَكَ على ذَلكَ؟» قال: أما والله ما ارتبت في الله منذ أسلمت, ولكني كنت امرأ غريبا فيكم أيّها الحيّ من قريش, وكان لي بمكة مال وبنون, فأردت أن أدفع بذلك عنهم, فقال عمر رضي الله عنه: ائذن لي يا رسول الله فأضرب عنقه, فقال النبيّ صلى الله عليه وسلم: «مَهْلاً يا بْن الخَطّاب, وما يُدْرِيكَ لَعَل الله قَدِ اطّلَع إلى أهْلِ بَدْرٍ فَقالَ اعْمَلُوا ما شِئْتُمْ فأنّي غافِرٌ لَكُمْ» قال الزهري: فيه نزلت حتى غَفُورٌ رَحِيمٌ.

26249ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء, جميعا عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, في قول الله لا تَتّخِذُوا عَدُوّي وَعَدُوّكُمْ أوْلِياءَ... إلى قوله بِما تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ في مكاتبة حاطب بن أبي بلتعة, ومن معه كفار قريش يحذرهم.

26250ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: يا أيّها الّذِينَ آمَنُوا لا تَتّخِذُوا عَدُوّي وَعَدُوّكُمْ أوْلِياءَ... حتى بلغ سَوَاء السّبِيلِ: ذُكر لنا أن حاطبا كتب إلى أهل مكة يخبرهم سير النبيّ صلى الله عليه

وسلم إليهم زمن الحديبية, فأطلع الله عزّ وجلّ نبيه عليه الصلاة والسلام على ذلك, وذُكر لنا أنهم وجدوا الكتاب مع امرأة في قرن من رأسها, فدعاه نبيّ الله صلى الله عليه وسلم فقال: «ما حَمَلَكَ على الذِي صَنَعْتَ؟» قال: والله ما شَكَكْتُ في أمر الله, ولا ارتددت فيه, ولكن لي هناك أهلاً ومالاً, فأردت مصانعة قريش على أهلي ومالي. وذُكر لنا أنه كان حليفا لقريش لم يكن من أنفسهم, فأنزل الله عزّ وجلّ في ذلك القرآن, فقال: إنْ يَثْقَفُوكُمْ يكُونُوا لَكُمْ أعْداءً ويَبْسِطُوا إلَيْكُمْ أيْدِيَهُمْ وألْسِنَتَهُمْ بالسّوءِ وَوَدّوا لَوْ تَكْفُرُونَ.

الآية : 2-3

القول فـي تأويـل قوله تعالى:{إِن يَثْقَفُوكُمْ يَكُونُواْ لَكُمْ أَعْدَآءً وَيَبْسُطُوَاْ إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتَهُمْ بِالسّوَءِ وَوَدّواْ لَوْ تَكْفُرُونَ * لَن تَنفَعَكُمْ أَرْحَامُكُمْ وَلاَ أَوْلاَدُكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَفْصِلُ بَيْنَكُمْ وَاللّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ }.

يقول تعالى ذكره: إن يثقفكم هؤلاء الذين تسرّون أيها المؤمنون إليهم بالمودّة, يكونوا لكم حربا وأعداء وَيَبْسُطُوا إلَيْكُمْ أيْدِيَهُمْ بالقتال وألْسِنَتَهُمْ بالسّوءِ.

وقوله: وَوَدّوا لَوْ تَكْفُرُونَ يقول: وتمنوا لكم أن تكفروا بربكم, فتكونوا على مثل الذي هم عليه.

وقوله: لَنْ تَنْفَعَكُمْ أرْحامُكُمْ وَلا أوْلادُكُمْ يَوْمَ القِيامَةِ يقول تعالى ذكره: لا يدعونكم أرحامكم وقراباتكم وأولادكم إلى الكفر بالله, واتخاذ أعدائه أولياء تلقون إليهم بالمودّة. فإنه لن تنفعكم أرحامكم ولا أولادكم عند الله يوم القيامة, فتدفع عنكم عذاب الله يومئذ, إن أنتم عصيتموه في الدنيا, وكفرتم به.

وقوله: يَفْصِلُ بَيْنَكُمْ يقول جلّ ثناؤه: يفصل ربكم أيها المؤمنون بينكم يوم القيامة بأن يدخل أهل طاعته الجنة, وأهل معاصيه والكفر به النار.

واختلفت القرّاء في قراءة ذلك, فقرأته عامة قرّاء المدينة ومكة والبصرة: «يُفْصَلُ بَيْنَكُمْ» بضم الياء وتخفيف الصاد وفتحها, على ما لم يسمّ فاعله. وقرأه عامة قرّاء الكوفة خلا عاصم بضم الياء وتشديد الصاد وكسرها بمعنى: يفصل الله بينكم أيها القوم. وقرأه عاصم بفتح الياء وتخفيف الصاد وكسرها, بمعنى يفصل الله بينكم. وقرأ بعض قرّاء الشام «يُفَصّلُ» بضم الياء وفتح الصاد وتشديدها على وجه ما لم يسم فاعله.

وهذه القراءات متقاربات المعاني صحيحات في الإعراب, فبأيتها قرأ القارىء فمصيب.

وقوله: واللّهُ بِمَا تَعْمَلونَ بَصِيرٌ يقول جلّ ثناؤه: والله بأعمالكم أيها الناس ذو علم وبصر, لا يخفى عليه منها شيء, هو بجميعها محيط, وهو مجازيكم بها إن خيرا فخير, وإن شرّا فشرّ, فاتقوا الله في أنفُسكم واحذروه.

الآية : 4

القول فـي تأويـل قوله تعالى:{قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِيَ إِبْرَاهِيمَ وَالّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُواْ لِقَوْمِهِمْ إِنّا بُرَءآؤُاْ مّنْكُمْ وَمِمّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَآءُ أَبَداً حَتّىَ تُؤْمِنُواْ بِاللّهِ وَحْدَهُ إِلاّ قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لأبِيهِ لأسْتَغْفِرَنّ لَكَ وَمَآ أَمْلِكُ لَكَ مِنَ اللّهِ مِن شَيْءٍ رّبّنَا عَلَيْكَ تَوَكّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ }.

يقول تعالى ذكره للمؤمنين به من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم: قد كان لكم أيها المؤمنون أُسوة حسنة: يقول: قدوة حسنة في إبراهيم خليل الرحمن, تقتدون به, والذين معه من أنبياء الله, كما:

26251ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد في قول الله عزّ وجل: قَدْ كانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ في إبراهِيمُ وَالّذِينَ مَعَهُ قال: الذين معه الأنبياء.

وقوله: إذْ قالُوا لِقَوْمِهِمْ إنّا بُرآءُ مِنْكُمْ وَمِمّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللّهِ يقول: حين قالوا لقومهم الذين كفروا بالله, وعبدوا الطاغوت: أيها القوم إنا برآء منكم, ومن الذين تعبدون من دون الله من الآلهة والأنداد.

وقوله: كَفَرْنا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنا وَبَيْنَكُمْ العَدَوَاةُ والبَغْضَاءُ أبَدا حتى تُوءْمِنُوا باللّهِ وَحْدَهُ يقول جلّ ثناؤه مخبرا عن قيل أنبيائه لقومهم الكفرة: كفرنا بكم, أنكرنا ما كنتم عليه من الكفر بالله وجحدنا عبادتكم ما تعبدون من دون الله أن تكون حقا, وظهر بيننا وبينكم العدواة والبغضاء أبدا على كفركم بالله, وعبادتكم ما سواه, ولا صلح بيننا ولا هوادة, حتى تؤمنوا بالله وحده, يقول: حتى تصدّقوا بالله وحده, فتوحدوه, وتفردوه بالعبادة.

وقوله: إلاّ قَوْلَ إبْرَاهِيمَ لأَبِيهِ لأَسْتَغْفِرَنّ لَكَ وَما أمْلِكُ لَكَ مِنْ الله مِنْ شَيْءٍ يقول تعالى ذكره: قد كانت لكم أُسوة حسنة في إبراهيم والذين معه في هذه الأمور التي ذكرناها من مباينة الكفار ومعاداتهم, وترك موالاتهم إلا في قول إبراهيم لأبيه لأَسْتَغْفِرَنّ لَكَ فإنه لا أسوة لكم فيه في ذلك, لأن ذلك كان من إبراهيم لأبيه عن موعدة وعدها إياه قبل أن يتبين له أنه عدوّ الله فلما تبين له أنه عدّو لله تبرأ منه. يقول تعالى ذكره: فكذلك أنتم أيها المؤمنون بالله, فتبرّءوا من أعداء الله من المشركين به ولا تتخذوا منهم أولياء يؤمنوا بالله وحده ويتبرّءوا عن عبادة ما سواه وأظهروا لهم العداوة والبغضاء. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

26252ـ حدثنا محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء, جميعا, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد إلاّ قَوْلَ إبْرَاهِيمَ لأَبِيهِ قال: نُهُوا أن يتأسّوْا باستغفار إبراهيم لأبيه, فيستغفروا للمشركين.

حدثنا ابن حُمَيد, قال: حدثنا مِهران, عن سفيان, عن أبي جعفر, عن مطرّف الحارثي, عن مجاهد: أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إبْرَاهِيمَ... إلى قوله لأَسْتَغْفِرَنّ لَكَ يقول: في كلّ أمر أُسوة, إلا الاستغفار لأبيه.

26253ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: قَدْ كانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إبْرَاهِيمَ... الآية, ائتسوا به في كلّ شيء, ما خلا قوله لأبيه: لأَسْتَغْفِرَنّ لَكَ فلا تأتسوا بذلك منه, فإنها كانت عن موعدة وعدها إياه.

حدثنا ابن عبد الأعلى, قال: حدثنا ابن ثور, عن معمر, عن قتادة, في قوله إلاّ قَوْلَ إبْرَاهِيمَ لأَبِيهِ يقول: لا تأسوا بذلك فإنه كان عليه موعدا, وتأسوا بأمره كله.

26254ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قول الله عزّ وجلّ: قَدْ كانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ... إلى قوله: إلاّ قَوْلَ إبْرَاهِيمَ لأَبِيهِ لأَسْتَغْفِرَنّ لَكَ قال: يقول: ليس لكم في هذا أسوة.

ويعني بقوله: وَما أمْلِكُ لَكَ مِنَ اللّهِ مِنْ شَيْءٍ يقول: وما أدفع عنك من الله من عقوبة, إن الله عاقبك على كفرك به, ولا أُغْنِي عنك منه شيئا.
وقوله: رَبّنا عَلَيْكَ تَوَكّلْنا يقول جلّ ثناؤه مخبرا عن قيل إبراهيم وأنبيائه صلوات الله عليهم: رَبّنَا عَلَيْكَ تَوَكّلْنا وَإلَيْكَ أنْبْنا يعني: وإليك رجعنا بالتوبة مما تكره إلى ما تحبّ وترضى وَإلَيْكَ المَصِيرُ يقول: وإليك مصيرنا ومرجعنا يوم تبعثنا من قبورنا, وتحشرنا في القيامة إلى موقف العَرْض.

الآية : 5-6

القول فـي تأويـل قوله تعالى:{رَبّنَا لاَ تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لّلّذِينَ كَفَرُواْ وَاغْفِرْ لَنَا رَبّنَآ إِنّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ * لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لّمَن كَانَ يَرْجُو اللّهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ وَمَن يَتَوَلّ فَإِنّ اللّهَ هُوَ الْغَنِيّ الْحَمِيدُ }.
يقول تعالى ذكره مخبرا عن قيل إبراهيم خليله والذين معه: يا ربّنا لا تجعلنا فتنة للذين كفروا بك فجحدوا وحدانيتك, وعبدوا غيرك, بأن تسلطهم علينا, فيروا أنهم على حقّ, وأنا على باطل, فتجعلنا بذلك فتنة لهم. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:
26255ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء, جميعا عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, في قوله: لا تَجْعَلْنا فِتْنَةً لّلّذِينَ كَفَرُوا قال لا تعذّبنا بأيديهم, ولا بعذاب من عندك, فيقولوا: لو كان هؤلاء على حقّ ما أصابهم هذا.
26256ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: رَبّنا لا تَجْعَلْنا فِتْنَةً لّلّذِينَ كَفَرُوا قال: يقول: لا تظهرهم علينا فيَفْتَتنوا بذلك. يرون أنهم إنما ظهروا علينا لحقّ هم عليه.
26257ـ حدثني عليّ, قال: حدثنا أبو صالح, قال: ثني معاوية, عن عليّ, عن ابن عباس, قوله: لا تَجْعَلْنا فِتْنَةً لّلّذِينَ كَفَرُوا يقول: لا تسلّطهم علينا فيفتنونا.
وقوله: وَاغْفِرْ لَنا رَبّنا يقول: واستر علينا ذنوبنا بعفوك لنا عنها يا ربنا, إنّكَ أنْتَ العَزِيزُ الْحَكِيمُ يعني الشديد الانتقام ممن انتقم منه, الحكيم: يقول الحكيم في تدبيره خلقه, وصرفه إياهم فيما فيه صلاحهم.
وقوله: لَقَدْ كانَ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ يقول تعالى ذكره لقد كان لكم أيها المؤمنون قدوة حسنة في الذين ذكرهم إبراهيم والذين معه من الأنبياء صلوات الله عليهم والرسل لِمَنْ كانَ يَرْجُو اللّهَ وَاليَوْمَ الآخِرَ يقول: لمن كان منكم يرجو لقاء الله, وثواب الله, والنجاة في اليوم الآخر.
وقوله وَمَنْ يَتَوَلّ فإنّ اللّهَ هُوَ الغَنِيّ الْحَمِيدُ يقول تعالى ذكره: ومن يتول عما أمره الله به وندبه إليه منكم ومن غيركم, فأعرض عنه وأدبر مستكبرا, ووالى أعداء الله, وألقى أليهم بالمودّة, فإن الله هو الغنيّ عن إيمانه به, وطاعته إياه, وعن جميع خلقه, الحميد عند أهل المعرفة بأياديه, وآلائه عندهم.

الآية : 7

القول فـي تأويـل قوله تعالى:{عَسَى اللّهُ أَن يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الّذِينَ عَادَيْتُم مّنْهُم مّوَدّةً وَاللّهُ قَدِيرٌ وَاللّهُ غَفُورٌ رّحِيمٌ }.
يقول تعالى ذكره: عسى الله أيها المؤمنون أن يجعل بينكم وبين الذين عاديتم من أعدائي من مشركي قريش مودّة, ففعل الله ذلك بهم, بأن

أسلم كثير منهم, فصاروا لهم أولياء وأحزابا. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:
26258ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله: عَسَى اللّهُ أنْ يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الّذِينَ عادَيْتُمْ مِنْهُمْ مَوَدّةً قال: هؤلاء المشركون قد فعل, قد أدخلهم في السلم وجعل بينهم مودّة حين كان الإسلام حين الفتح.
وقوله: واللّه قَدِيرٌ يقول: والله ذو قدرة على أن يجعل بينكم وبين الذين عاديتم من المشركين مودّة وَاللّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ يقول: والله غفور لخطيئة من ألقى إلى المشركين بالمودّة إذا تاب منها, رحيم بهم أن يعذّبهم بعد توبتهم منها. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:
26259ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة قوله: عَسَى اللّهُ أنْ يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الّذِينَ عادَيْتُمْ مِنْهُمْ مَوَدّةً واللّهُ قَدِيرٌ على ذلك واللّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ يغفر الذنوب الكثيرة, رحيم بعباده.

الآية : 8

القول فـي تأويـل قوله تعالى:{لاّ يَنْهَاكُمُ اللّهُ عَنِ الّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مّن دِيَارِكُمْ أن تَبَرّوهُمْ وَتُقْسِطُوَاْ إِلَيْهِمْ إِنّ اللّهَ يُحِبّ الْمُقْسِطِينَ }.
يقول تعالى ذكره: لا يَنْهاكُمُ اللّهُ عَنِ الّذِينَ لَمْ يُقاتِلُوكُمْ فِي الدّينِ من أهل مكة وَلم يُخْرِجوكُمْ مِنْ دِيارِكُمْ أنْ تَبرّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إلَيْهِمْ يقول: وتعدلوا فيهم بإحسانكم إليهم, وبرّكم بهم.
واختلف أهل التأويل في الذين عُنُوا بهذه الآية, فقال بعضهم: عُني بها: الذين كانوا آمنوا بمكة ولم يهاجروا, فأذن الله للمؤمنين ببرّهم والإحسان إليهم. ذكر من قال ذلك:
26260ـ حدثنا محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء, جميعا عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, في قوله: لا يَنْهاكُمْ اللّهُ عَن الّذِينَ لَم يُقَاتِلُوكُم فِي الدّينِ أن تستغفروا لهم, و وتبروّهم وتقسطوا إليهم قال: وهم الذين آمنوا بمكة ولم يهاجروا.
وقال آخرون: عُنِي بها من غير أهل مكة مَنْ لم يهاجر. ذكر من قال ذلك:
26261ـ حدثني محمد بن إبراهيم الأنماطيّ, قال: حدثنا هارون بن معروف, قال: حدثنا بشر بن السري, قال: حدثنا مصعب بن ثابت, عن عمه عامر بن عبد الله بن الزبير, عن أبيه, قال: نزلت في أسماء بنت أبي بكر, وكانت لها أمّ في الجاهلية يقال لها قُتَيلة ابنة عبد العُزى, فأتتها بهدايا وصِنَاب وأقط وَسمْن, فقالت: لا أقبل لك هدية, ولا تدخلي عليّ حتى يأذن رسول الله صلى الله عليه وسلم, فذكرت ذلك عائشة لرسول الله صلى الله عليه وسلم, فأنزل الله لا يَنْهاكُمْ اللّهُ عَنِ الّذِينَ لَمْ يُقاتِلُوكُمْ فِي الدّينِ... إلى قوله: المُقْسِطِينَ.
قال: ثنا إبراهيم بن الحجاج, قال: حدثنا عبد الله بن المبارك, قال: حدثنا مصعب بن ثابت, عن عامر بن عبد الله بن الزبير, عن أبيه, قال: قَدِمتْ قُتَيلة بنت عبد العُزى بن سعد من بني مالك بن حِسْل على ابنتها أسماء بنت أبي بكر, فذكر نحوه.

وقال آخرون: بل عُنِي بها من مشركي مكة من لم يقاتل المؤمنين, ولم يخرجوهم من ديارهم قال: ونسخ الله ذلك بعدُ بالأمر بقتالهم. ذكر من قال ذلك:

26262ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد: وسألته عن قول الله عزّ وجلّ: لا يَنْهاكُمُ اللّهُ... الآية, فقال: هذا قد نسخ, نَسَخه, القتال, أمروا أن يرجعوا إليهم بالسيوف, ويجاهدوهم بها, يضربونهم, وضرب الله لهم أجل أربعة أشهر, إما المذابحة, وإما الإسلام.

26263ـ حدثنا ابن عبد الأعلى, قال: حدثنا ابن ثور, عن معمر, عن قتادة, في قوله لا يَنْهاكُمُ اللّهُ... الآية, قال: نسختها اقْتُلُوا المُشْرِكينَ حَيْثُ وَجَدتُمُوهُمْ.

وأولى الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال: عُنِي بذلك: لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين, من جميع أصناف الملل والأديان أن تبرّوهم وتصلوهم, وتقسطوا إليهم, إن الله عزّ وجلّ عمّ بقوله الّذِينَ لَمْ يُقاتِلُوكُمْ فِي الدّينِ ولَمْ يُخْرِجُوكمْ مِنْ دِيارِكُمْ جميع من كان ذلك صفته, فلم يخصُصْ به بعضا دون بعض, ولا معنى لقول من قال: ذلك منسوخ, لأن برّ المؤمن من أهل الحرب ممن بينه وبينه قرابة نسب, أو ممن لا قرابة بينه وبينه ولانسب غير محرّم ولا منهى عنه إذا لم يكن في ذلك دلالة له, أو لأهل الحرب على عورة لأهل الإسلام, أو تقوية لهم بكُراع أو سلاح. قد بين صحة ما قلنا في ذلك, الخبر الذي ذكرناه عن ابن الزبير في قصة أسماء وأمها.

وقوله: إنّ اللّهُ يُحِبّ المُقْسِطِينَ يقول: إن الله يحبّ المنصفين الذين ينصفون الناس, ويعطونهم الحقّ والعدل من أنفسهم, فيبرّون من برّهم, ويُحْسنون إلى من أحسن إليهم.

الآية : 9

القول فـي تأويـل قوله تعالى:{إِنّمَا يَنْهَاكُمُ اللّهُ عَنِ الّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدّينِ وَأَخْرَجُوكُم مّن دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُواْ عَلَىَ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلّوْهُمْ وَمَن يَتَوَلّهُمْ فَأُوْلَـَئِكَ هُمُ الظّالِمُونَ }.

يقول تعالى ذكره: إنّمَا يَنْهَاكُمُ اللّهُ أيها المؤمنون عَن الّذِينَ قاتَلُوكُمْ فِي الدّينِ من كفار أهل مكة وأخْرَجُوكُمْ مِنْ دِيارِكُمْ وَظَاهِرُوا على إخْرَاجِكُمْ أنْ تَوَلّوْهُمْ يقول: وعاونوا من أخرجكم من دياركم على إخراجكم أن تولوهم, فتكونوا لهم أولياء ونصراء وَمَنْ يَتَوَلّهُمْ يقول: ومن يجعلهم منكم أو من غيركم أولياء فأُولَئِكَ هُمُ الظّالِمُونَ يقول: فأولئك هم الذين تولوا غير الذي يجوز لهم أن يتولوهم, ووضعوا ولايتهم في غير موضعها, وخالفوا أمر الله في ذلك. وبنحو الذي قلنا في معنى قوله الّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدّين قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

26264ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء, جميعا عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد إنّمَا يَنْهاكُمُ اللّهُ عَن الّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدّين قال: كفار أهل مكة.

الآية : 10

القول فـي تأويـل قوله تعالى: يَأَيّهَا الّذِينَ آمَنُواْ إِذَا جَآءَكُمُ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ فَامْتَحِنُوهُنّ اللّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِهِنّ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنّ مُؤْمِنَاتٍ فَلاَ تَرْجِعُوهُنّ إِلَى الْكُفّارِ لاَ هُنّ حِلّ لّهُمْ وَلاَ هُمْ يَحِلّونَ لَهُنّ وَآتُوهُم مّآ أَنفَقُواْ

وَلاَ جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَن تَنكِحُوهُنّ إِذَآ آتَيْتُمُوهُنّ أُجُورَهُنّ وَلاَ تُمْسِكُواْ بِعِصَمِ الْكَوَافِرِ وَاسْأَلُواْ مَآ أَنفَقْتُمْ وَلْيَسْأَلُواْ مَآ أَنفَقُواْ ذَلِكُمْ حُكْمُ اللّهِ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ وَاللّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ }.

يقول تعالى ذكره للمؤمنين من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم: يا أيّها الّذِينَ آمَنُوا إذَا جاءَكُمُ النساء المُوءْمِناتُ مُهاجِراتٍ من دار الكفر إلى دار الإسلام فامْتَحِنُوهُن وكانت محنة رسول الله صلى الله عليه وسلم إياهن إذا قَدِمن مهاجرات, كما:

26265ـ حدثنا أبو كُرَيب, قال: حدثنا يونس بن بكير, عن قيس بن الربيع, عن الأغرّ بن الصباح, عن خليفة بن حصين, عن أبي نصر الأسديّ, قال: سُئل ابن عباس: كيف كان امتحان رسول الله صلى الله عليه وسلم النساء؟ قال: كان يمتحنهنّ بالله ما خرجت من بغض زوج, وبالله ما خرجت رغبة عن أرض إلى أرض, وبالله ما خرجت التماس دنيا, وبالله ما خرجت إلا حبا لله ورسوله.

حدثنا أبو كُرَيب, قال: حدثنا الحسن بن عطية, عن قيس, قال: أخبرنا الأغر بن الصباح, عن خليفة بن حصين, عن أبي نصر, عن ابن عباس في يا أيّها الّذِينَ آمَنُوا إذَا جاءَكُمُ المُوءْمِناتُ مُهاجِراتٍ فامْتَحِنُوهُنّ قال كانت المرأة إذا أتت رسول الله صلى الله عليه وسلم حلفها بالله ما خرجت... ثم ذكر نحوه.

26266ـ حدثنا ابن عبد الأعلى, قال: حدثنا ابن ثور, عن معمر, عن الزهريّ, أن عائشة قالت: ما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يمتحن المؤمنات إلا بالآية, قال الله: إذَا جاءَكَ المُوءْمِناتُ يُبايِعْنَكَ على أنْ لا يُشْرِكْنَ باللّهِ شَيْئا ولا, ولا.

26267ـ حدثني يونس بن عبد الأعلى, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: أخبرني يونس, عن ابن شهاب, قال: أخبرني عروة بن الزبير, أن عائشة زوج النبيّ صلى الله عليه وسلم قالت: كانت المؤمنات إذا هاجرن إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يمتحنّ بقول الله: يا أيّها النّبِيّ إذَا جاءَكَ المُوءْمِناتُ يُبايِعْنَكَ... إلى آخر الآية, قالت عائشة: فمن أقرّ بهذا من المؤمنات, فقد أقرّ بالمحبة, فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أقررن بذلك من قولهنّ قال لهنّ: «انطلقن فقد بايعتكن», ولا والله ما مست يد رسول الله صلى الله عليه وسلم يد امرأة قطّ, غير أنه بايعهنّ بالكلام قالت عائشة: والله ما أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم على النساء قطّ, إلا بما أمره الله عزّ وجلّ, وكان يقول لهنّ إذا أخذ عليهن «قد بايعتكنّ كلاما».

26268ـ حدثني محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس, قوله: يا أيّها الّذِينَ آمَنُوا إذَا جاءَكُمُ المُوءْمِناتُ مُهاجِراتٍ... إلى قوله: عَلِيمٌ حَكِيم كان امتحانهنّ أن يشهدن أن لا إله إلا الله, وأن محمدا عبده ورسوله.

26269ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء, جميعا عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, قوله: فامْتَحِنُوهُنّ قال: سلوهنّ ما جاء بهنّ فإن كان جاء بهنّ غضب على أزواجهنّ, أو سخطة, أو غيره, ولم يؤمنّ, فارجعوهنّ إلى أزواجهنّ.

26270ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة فامْتَحِنُوهُنّ كانت محنتهنّ أن يستحلفن بالله «ما أخرجكنّ النشوز, وما أخرجكنّ إلاّ حبّ الإسلام وأهله, وحِرْصٌ عليه», فإذا قلن ذلك قُبل ذلك منهنّ.

ابن عبد الأعلى, قال: حدثنا ابن ثور, عن معمر, عن قتادة, في قوله فامْتَحِنُوهُنّ قال: يحلفن ما خرجن إلا رغبة في الإسلام, وحبا لله ورسوله.

26271ـ حدثنا ابن حُمَيد, قال: حدثنا مهران, عن سفيان, عن أبيه أو عكرمة إذَا جاءَكُمُ المُوءْمِناتُ مُهاجِرَاتٍ فامْتَحِنُوهُنّ قال: يقال: ما جاء بك إلا حبّ الله, ولا جاء بك عشق رجل منا, ولا فرارا من زوجك, فذلك قوله فامْتَحِنُوهُنّ.

26272ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد: كانت المرأة من المشركين إذا غضبت على زوجها, وكان بينه وبينها كلام, قالت: والله لأهاجرنّ إلى محمد صلى الله عليه وسلم وأصحابه, فقال الله عزّ وجلّ: إذَا جاءَكُمُ المُوءْمِنات مُهاجِرات فامْتَحِنُوهُنّ إن كان الغضب أتى بها فردّوها, وإن كان الإسلام أتى بها فلا تردّوها.

26273ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: ثني عمرو بن الحارث, عن بكير بن الأشجّ, قال: كان امتحانهنّ إنه لم يُخْرِجْكِ إلا الدين.

وقوله: اللّهُ أعْلَمُ بإيمَانِهِنّ يقول: الله أعلم بإيمان من جاء من النساء مهاجرات إليكم.

وقوله: فإنْ عَلِمْتُمُوهُنّ مُوءْمِناتٍ فَلا تَرْجِعُوهُنّ إلى الكُفّارِ يقول: فإن أقررن عند المحنة بما يصحّ به عقد الإيمان لهنّ, والدخول في الإسلام, فلا تردّوهنْ عن ذلك إلى الكفار. وإنما قيل ذلك للمؤمنين, لأن العهد كان جرى بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين مشركي قريش في صلح الحديبية أن يردّ المسلمون إلى المشركين من جاءهم مسلما, فأبطل ذلك الشرط في النساء إذا جئن مؤمنات مهاجرات فامتحنّ, فوجدهنّ المسلمون مؤمنات, وصحّ ذلك عندهم مما قد ذكرنا قبل, وأمروا أن لا يردّوهنّ إلى المشركين إذا علم أنهنّ مؤمنات. وقال جل ثناؤه لهم: فَإنْ عَلِمْتُمُوهُنّ مُوءْمِناتٍ فَلا تَرْجِعُوهُنّ إلى الكُفّار لاهُنّ حِلّ لَهُمْ وَلا هُمْ يَحِلّونُ لَهُنّ يقول: لا المؤمنات حلّ للكفار ولا الكفار يحلون للمؤمنات. وبنحو الذي قلنا في ذلك جاءت الآثار. ذكر بعض ما رُوي في ذلك من الأثر:

26274ـ حدثنا ابن حُمَيد, قال: حدثنا سلمة, عن محمد بن إسحاق, عن الزهري, قال: دخلت على عُرْوة بن الزّبير, وهو يكتب كتابا إلى ابن أبي هُنيد صاحب الوليد بن عبد الملك, وكتب إليه يسأله عن قول الله عزّ وجلّ: إذَا جاءَكُمُ المُوءْمِناتُ مُهاجِرَاتٍ... إلى قوله وَاللّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ وكتب إليه عُرْوة بن الزّبير: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان صالح قريشا عام الحديبية على أن يردّ عليهم من جاء بغير إذن وليه فلما هاجر النساء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وإلى الإسلام, أبى الله أن يُرْدَدْن إلى المشركين, إذا هنّ امْتَحنّ محنة الإسلام, فعرفوا أنهنّ إنما جئن رغبة فيه.

وقوله وآتُوهُمْ ما أنْفَقُوا يقول جلّ ثناؤه: وأعطوا المشركين الذين جاءكم نساؤهم مؤمنات إذا علمتموهنّ مؤمنات, فلم ترجعوهنّ إليهم ما أنفقوا في نكاحهم إياهنّ من الصداق. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

26275ـ حدثني محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس, قوله يا أيّها الّذِينَ آمَنُوا إذَا جاءَكُمُ المُوءْمِناتُ مُهاجِرَاتٍ... إلى قوله عَلِيمٌ حَكِيمٌ قال: كان امتحانهنّ أن يشهدن أن لا إله إلا الله وأن محمدا عبده ورسوله, فإذا علموا أن ذلك حقّ منهنّ لم يرجعوهنّ إلى الكفار, وأعطى بعلها من الكفار الذين عقد لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم صداقه الذي أصدقها.

26276ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء, وإذا فررن من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم إلى المشركين الذين بينهم وبين نبي الله صلى الله عليه وسلم عهد جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد وآتُوهُم ما أنْفَقُوا وآتُوا أزواجهنّ صدقاتهن.

26277ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: يا أيّها الّذِينَ آمَنُوا إذَا جاءَكُمُ المُوءْمِناتُ مُهاجِرَاتٍ فامْتَحِنُوهُنّ اللّهُ أعْلَمُ بإيمَانِهن حتى بلغ وَاللّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ هذا حكم حكمه عزّ وجلّ بين أهل الهدى وأهل الضلالة كنّ إذا فررن من المشركين الذي بينهم وبين نبيّ الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه عهد إلى أصحاب نبيّ الله صلى الله عليه وسلم فتزوّجوهنّ بعثوا مهورهنّ إلى أزواجهنّ من المشركين الذي بينهم وبين نبيّ الله صلى الله عليه وسلم عهد وإذا فررن من أصحاب نبيّ الله صلى الله عليه وسلم إلى المشركين الذين بينهم وبين نبيّ الله صلى الله عليه وسلم عهد بعثوا بمهورهنّ إلى أزواجهنّ من أصحاب نبيّ الله صلى الله عليه وسلم.

26278ـ حدثنا ابن عبد الأعلى, قال: حدثنا ابن ثور, عن معمر, عن الزهريّ, قال: نزلت عليه وهو بأسفل الحديبية, وكان النبيّ صلى الله عليه وسلم صالحهم أنه من أتاه منهم ردّه إليهم فلما جاءه النساء نزلت عليه هذه الآية, وأمره أن يردّ الصداق إلى أزواجهن حكم على المشركين مثل ذلك إذا جاءتهم امرأة من المسلمين أن يردّوا الصداق إلى أزواجهنّ فقال وَلا تُمْسِكُوا بِعِصَمِ الكَوَافِرِ.

26279ـ حُدثت عن الحسين, قال: سمعت أبا معاذ يقول: حدثنا عبيد, قال: سمعت الضحاك يقول في قوله: فامْتَحِنُوهُنّ اللّهُ أعْلَمُ بإيمَانِهنّ كان نبيّ الله صلى الله عليه وسلم عاهد من المشركين ومن أهل الكتاب, فعاهدهم وعاهدوه, وكان في الشرط أن يردّوا الأموال والنساء, فكان نبيّ الله إذا فاته أحد من أزواج المؤمنين, فلحق بالمعاهدة تاركا لدينه مختارا للشرك, ردّ على زوجها ما أنفق عليها, وإذا لحق بنبيّ الله صلى الله عليه وسلم أحد من أزواج المشركين امتحنها نبيّ الله صلى الله عليه وسلم, فسألها: «ما أخرجك من قومك؟» فإن وجدها خرجت تريد الإسلام قبلها رسول الله صلى الله عليه وسلم, وردّ على زوجها ما أنفق عليها, وإن وجدت فرّت من زوجها إلى آخر بينها وبينه قرابة, وهي متمسكة بالشرك ردّها رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى زوجها من المشركين.

26280ـ حدثني يونس بن عبد الأعلى, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله يا أيّها الّذِينَ آمَنُوا إذَا جاءَكُمُ المُوءْمِناتُ مُهاجِرَاتٍ فامْتَحِنُوهُنّ... الآية كلها, قال: لما هادن رسول الله صلى الله عليه وسلم المشركين كان في الشرط الذي شُرط: أن تردّ إلينا من أتاك منا, ونردّ

إليك من أتانا منكم, فقال النبيّ صلى الله عليه وسلم: «مَنْ أتانا مِنْكُمْ فَنرُدّهُ إلَيْكُمُ, وَمَنْ أتاكُمْ مِنّا فاخْتارَ الكُفْرَ على الإيمَانِ فَلا حاجَةَ لَنا فِيهِمْ» قال: فأبى الله ذلك للنبيّ صلى الله عليه وسلم في النساء, ولم يأبه للرجال, فقال الله عزّ وجلّ: إذَا جاءَكُمُ المُؤْمِناتُ مُهاجِرَاتٍ فامْتَحِنُوهُنّ... إلى قوله وآتُوهُمْ ما أنْفَقُوا أزواجهنّ.

26281ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: أخبرني عمرو بن الحارث, عن بكير بن الأشجّ, قال كان بين رسول الله صلى الله عليه وسلم والمشركين هدنة فيمن فرّ من النساء, فإذا فرّت المشركة أعطى المسلمون زوجها نفقته عليها وكان المسلمون يفعلون وكان إذا لم يعط هؤلاء ولا هؤلاء أخرج المسلمون للمسلم الذي ذهبت امرأته نفقتها.

وقوله: وَلا جُناحَ عَلَيْكُمْ أنْ تَنْكِحُوهُنّ إذَا آتَيْتُمُوهُنّ أُجُورَهُنّ يقول تعالى ذكره: ولا حرج عليكم أيها المؤمنون أن تنكحوا هؤلاء المهاجرات اللاتي لحقن بكم من دار الحرب مفارقات لأزواجهنّ, وإن كان لهنّ أزواج في دار الحرب إذا علمتموهنّ مؤمنات إذا أنتم أعطيتموهنّ أجورهن, ويعني بالأجور: الصّدقات. وكان قتادة يقول: كنّ إذا فررن من المشركين الذين بينهم وبين نبيّ الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه عهد إلى أصحاب نبيّ الله صلى الله عليه وسلم فتزوّجوهنّ, بعثوا بمهورهنّ إلى أزواجهنّ من المشركين الذين بينهم وبين أصحاب نبيّ الله صلى الله عليه وسلم عهد.

26282ـ حدثنا بذلك بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة.

وكان الزهريّ يقول: إنما أمر الله بردّ صداقهنُ إليهم إذا حُبِسن عنهم وإن هم ردّوا المسلمين على صداق من حبسوا عنهم من نسائهم.

26283ـ حدثنا بذلك ابن حُمَيد, قال: حدثنا سلمة, عن ابن إسحاق, عن الزهريّ.

26284ـ حدثني يونس, أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله: وَلا جُناحَ عَلَيْكُمْ أنْ تَنْكِحُوهُنّ ولها زوج ثمّ, لأنه فرق بينهما الإسلام إذا استبرأتن أرحامهنّ.

وقوله: وَلا تُمْسِكُوا بِعِصَم الكَوَافِرِ يقول جلّ ثناؤه للمؤمنين به من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم: لا تمسكوا إيها المؤمنون بحبال النساء الكوافر وأسبابهنّ, والكوافر: جمع كافرة, والعصم: جمع عصمة, وهي ما اعتصم به من العقد والسبب, وهذا نهي من الله للمؤمنين عن الإقدام على نكاح النساء المشركات من أهل الأوثان, وأمر لهم بفراقهنّ. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

26285ـ حدثني يعقوب بن إبراهيم, قال: حدثنا يحيى بن سعيد القطان, قال: حدثنا عبد الله بن المبارك, قال أخبرنا معمر, عن الزهريّ, عن عروة, عن المسور بن مخرمة ومروان بن الحكم أن النبيّ صلى الله عليه وسلم جاءه نسوة مؤمنات بعد أن كتب كتاب القضية بينه وبين قريش, فأنزل الله: يا أيّها الّذِينَ آمَنُوا إذا جاءَكُمُ المُؤْمِنات مُهاجِرَاتٍ حتى بلغ بعِصَمِ الكَوَافِرِ فطلق عمر يومئذ امرأتين كانتا له بالشرك, فتزوّج إحداهما معاوية بن أبي سفيان والأخرى صفوان بن أمية.

26286ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: أخبرني يونس, عن ابن شهاب, قال: بلغنا أن آية المحنة التي مادّ فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم كفار قريش من أجل العهد الذي كان بين كفار قريش وبين النبيّ

صلى الله عليه وسلم, فكان النبيّ صلى الله عليه وسلم يردّ إلى كفار قريش ما أنفقوا على نسائهم اللاتي يسلمن ويهاجرن, وبعولتهنّ كفار للعهد الذي كان بين النبيّ صلى الله عليه وسلم وبينهم, ولو كانوا حربا ليست بينهم وبين النبيّ صلى الله عليه وسلم مدّة وعقد لم يردّ عليهم شيئا مما أنفقوا, وحكم الله للمؤمنين على أهل المدّة من الكفار بمثل ذلك, قال الله: يا أيّها الّذِينَ آمَنُوا إذا جاءَكُمُ المُوءْمِنات مُهاجِرَاتٍ حتى بلغ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حِكِيمٌ فطلق المؤمنون حين أنزلت هذه الآية كلّ امرأة كافرة كانت تحت رجل منهم, فطلق عمر بن الخطاب رضي الله عنه امرأته ابنة أبي أمية بن المغيرة من بني مخزوم فتزوّجها معاوية بن أبي سفيان, وابنة جرول من خزاعة, فتزوّجها أبو جهم بن حذافة العَدَوِيّ, وجعل الله ذلك حكما حكم به بين المؤمنين والمشركين في هذه المدة التي كانت.

26287ـ حدثنا ابن حُمَيد, قال: حدثنا سلمة, عن محمد بن إسحاق, قال: وقال الزهريّ: لما نزلت هذه الآية يا أيّها الّذِينَ آمَنُوا إذا جاءَكُمُ المُوءْمِنات... إلى قوله: وَلا تُمْسِكُوا بِعِصَم الكَوَافِرِ كان ممن طلق عمر بن الخطاب رضي الله عنه امرأته قريبة ابنة أبي أمية بن المغيرة, فتزوجها بعده معاوية بن أبي سفيان, وهما على شركهما بمكة وأم كلثوم ابنة جرول الخزاعية أم عبد الله بن عمر فتزوجها أبو جهم بن حُذافة بن غانم رجل من قومه, وهما على شركهما وطلحة بن عبيد الله بن عثمان بن عمرو التيمي كانت عنده أروى بنت ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب, ففرّق بينهما الإسلام حين نهى القرآن عن التمسك بعصم الكوافر, وكان طلحة قد هاجر وهي بمكة على دين قومها, ثم تزوّجها في الاسلام بعد طلحة خالد بن سعيد بن العاص بن أمية بن عبد شمس. وكان ممن فرّ إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم من نساء الكفار ممن لم يكن بينه وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد فحبسها وزوّجها رجلاً من المسلمين أميمة بنت بشر الأنصارية, ثم إحدى نساء بني أمية بن زيد من أوس الله, كانت عند ثابت بن الدحداحة, ففرّت منه, وهو يومئذ كافر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم, فزوّجها رسول الله صلى الله عليه وسلم سهل بن حنيف أحد بني عمرو بن عوف, فولدت عبد الله بن سهل.

حدثني ابن عبد الأعلى, قال: حدثنا ابن ثور, عن معمر, عن الزهريّ, قال الله: وَلا تُمْسِكُوا بِعِصَم الكَوَافِرِ قال: الزهريّ: فطلق عمر امرأتين كانتا له بمكة.

26288ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء, جميعا عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد وَلا تُمْسِكُوا بِعِصَم الكَوَافِرِ قال: أصحاب محمد أمروا بطلاق نسائهم كوافر بمكة, قعدن مع الكفار.

26289ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: وَلا تُمْسِكُوا بِعِصَم الكَوَافِرِ مشركات العرب اللاتي يأبين الإسلام أمر أن يُخَلّى سبيلُهن.

26290ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله: وَلا تُمْسِكُوا بِعِصَم الكَوَافِرِ إذا كفرت المرأة فلا تمسكوها, خلوها, وقعت الفرقة بينها وبين زوجها حين كفرت.

واختلفت القرّاء في قراءة قوله وَلا تُمْسِكُوا فقرأ ذلك عامة قرّاء الحجاز والمدينة والكوفة والشأم, وَلا تُمْسِكُوا بتخفيف السين. وقرأ ذلك أبو عمرو «ولاَ تُمْسِكُوا» بتشديدها, وذكر أنها قراءة الحسن, واعتبر من قرأ ذلك بالتخفيف, وإمساك بمعروف.

والصواب من القول في ذلك أنهما قراءتان معروفتان, ولغتان مشهورتان, محكى عن العرب أمسكت به ومسكت, وتمسّكت به.

وقوله: وَاسْئَلُوا ما أنْفَقْتُمْ وَلْيَسْئَلُوا ما أنْفَقُوا يقول تعالى ذكره لأزواج اللواتي لحقن من المؤمنين من دار الإسلام بالمشركين إلى مكة من كفار قريش: واسئلوا أيها المؤمنون الذين ذهبت أزواجهم فلحقن بالمشركين ما أنفقتم على أزواجكم اللواتي لحقن بهم من الصداق من تزوّجهن منهم, وليسئلكم المشركون منهم الذين لحق بكم أزواجهم مؤمنات إذا تزوّجن فيكم من تزوّجها منكم ما أنفقوا عليهنّ من الصداق. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

26291ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: أخبرني يونس, عن ابن شهاب, قال: أقر المؤمنون بحكم الله, وأدّوا ما أمروا به من نفقات المشركين التي أنفقوا على نسائهم, وأبى المشركون أن يقرّوا بحكم الله فيما فرض عليهم من أداء نفقات المسلمين.

26292ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء, جميعا عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, في قول الله: وَاسْئَلُوا ما أنْفَقْتُمْ وَلْيسْئَلُوا ما أنْفَقوا قال: ما ذهب من أزواج أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم إلى الكفار, فليعطهم الكفار صدقاتهنّ, وليمسكوهن, وما ذهب من أزواج الكفار إلى أصحاب النبيّ صلى الله عليه وسلم, فمثل ذلك في صلح كان بين محمد صلى الله عليه وسلم وبين قريش.

وقوله: ذَلِكُمْ حُكْمُ اللّهِ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يقول تعالى ذكره: هذا الحكم الذي حكمت بينكم من أمركم أيها المؤمنون بمسألة المشركين, وما أنفقتم على أزواجكم اللاتي لحقن بهم وأمرهم بمسألتكم مثل ذلك في أزواجهن اللاتي لحقن بكم, حكم الله بينكم فلا تعتدوه, فإنه الحقّ الذي لا يسمع غيره, فانتهى المؤمنون من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما ذُكر إلى أمر الله وحكمه, وامتنع المشركون منه وطالبوا الوفاء بالشروط التي كانوا شارطوها بينهم في ذلك الصلح, وبذلك جاءت الآثار والأخبار عن أهل السير وغيرهم. ذكر من قال ذلك:

26293ـ حدثنا ابن عبد الأعلى, قال: أخبرنا ابن ثور, عن معمر, عن الزهريّ, قال: أما المؤمنون فأقرّوا بحكم الله, وأما المشركون فأبوا أن يقرّوا, فأنزل الله عزّ وجلّ: وَإنْ فاتَكُمْ شَيْءٌ مِنْ أزْوَاجِكُمْ إلى الكُفّارِ... الآية.

26294ـ حدثنا ابن حُمَيد, قال: حدثنا سلمة, عن ابن إسحاق, عن الزهري, قال: قال الله: ذَلِكُمْ حُكْمُ اللّهِ يحكم بينكم, فأمسك رسول الله صلى الله عليه وسلم النساء, وردّه الرجال, وسأل الذي أمره الله أن يسأل من صدقات النساء من حبسوا منهنّ, وأن يردّوا عليهم مثل الذي يردّون عليهم إن هم فعلوا, ولولا الذي حكم الله به من هذا الحكم ردّ رسول الله صلى الله عليه وسلم النساء, كما ردّ الرجال, ولولا الهدنة والعهد الذي كان

بينه وبين قريش يوم الحديبية أمسك النساء ولم يرد إليهم صداقا, وكذلك يصنع بمن جاءه من المسلمات قبل العهد.
قوله: وَاللّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ يقول جلّ ثناؤه: والله ذو علم بما يصلح خلقه وغير ذلك من الأمور, حكيم في تدبيره إياهم.

الآية : 11

القول في تأويل قوله تعالى:{وَإِن فَاتَكُمْ شَيْءٌ مّنْ أَزْوَاجِكُمْ إِلَى الْكُفّارِ فَعَاقَبْتُمْ فَآتُواْ الّذِينَ ذَهَبَتْ أَزْوَاجُهُمْ مّثْلَ مَآ أَنفَقُواْ وَاتّقُواْ اللّهَ الّذِيَ أَنتُمْ بِهِ مُؤْمِنُونَ }.
يقول جلّ ثناؤه للمؤمنين من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم: وَإنْ فَاتَكُمْ أيها المؤمنون شَيْءٌ مِنْ أزْواجِكُمْ إلَى الكُفّارِ فلحق بهم.
واختلف أهل التأويل في الكفار الذين عُنُوا بقوله إلى الكُفّارِ من هم؟ فقال بعضهم: هم الكفار الذين لم يكن بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد, قالوا: ومعنى الكلام: وإن فاتكم شيء من أزواجكم, إلى من ليس بينكم وبينهم عهد من الكفار. ذكر من قال ذلك:
26295ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء, جميعا عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, في قوله: وَإنْ فَاتَكُمْ شَيْءٌ مِنْ أزْوَاجِكُمْ إلى الكُفّارِ الذين ليس بينكم وبينهم عهد.
26296ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة وَإنْ فَاتَكُمْ شَيْءٌ مِنْ أزْوَاجِكُمْ إلى الكُفّارِ إذا فررن من أصحاب النبيّ صلى الله عليه وسلم إلى كفار ليس بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد.
حدثنا ابن حُمَيد, قال: حدثنا مهران, عن سفيان, عن حبيب بن أبي ثابت, عن مجاهد وَإنْ فَاتَكُمْ شَيْءٌ مِنْ أزْوَاجِكُمْ إلى الكُفّارِ قال: لم يكن بينهم عهد.
وقال آخرون: بل هم كفار قريش الذي كانوا أهل هدنة, وذلك قول الزهريّ.
26297ـ حدثني بذلك يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: أخبرني يونس عنه.
وقوله: فَعاقَبْتُمْ اختلفت القرّاء في قراءة ذلك, فقرأته عامة قرّاء الأمصار فَعاقَبْتُمْ بالألف على مثال فاعلتم, بمعنى: أصبتم منهم عقبى. وقرأه حميد الأعرج فيما ذُكر عنه: «فَعَقّبْتُمْ» على مثال فعّلتم مشددة القاف, وهما في اختلاف الألفاظ بهما نظير قوله: وَلا تُصَعّرْ خَدّكَ للنّاسِ وتُصَاعِرْ مع تقارب معانيهما.
قال أبو جعفر: وأولى القراءتين عندي بالصواب في ذلك قراءة من قرأ فَعاقَبْتُمْ بالألف لإجماع الحجة من القرّاء عليه.
وقوله: فآتُوا الّذِينَ ذَهَبَتْ أزْوَاجُهُمْ مِثْلَ ما أنْفَقُوا يقول: فأعطوا الذين ذهبت أزواجهم منكم إلى الكفار مثل ما أنفقوا عليهنّ من الصداق.
واختلف أهل التأويل في المال الذي أمر أن يعطى منه الذي ذهبت زوجته إلى المشركين, فقال بعضهم: أمروا أن يعطوهم صداق من لحق بهم من نساء المشركين. ذكر من قال ذلك:

26298ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: أخبرني يونس, عن الزهريّ, قال: أقرّ المؤمنون بحكم الله, وأدّوا ما أمروا به من نفقات المشركين التي أنفقوا على نسائهم, وأبى المشركون أن يقرّوا بحكم الله فيما فرض عليهم من أداء نفقات المسلمين, فقال الله للمؤمنين: وَإنْ فَاتَكُمْ شَيْءٌ مِنْ أزْوَاجِكُمْ إلى الكُفّارِ فَعاقَبْتُمْ فآتُوا الّذِينَ ذَهَبَتْ أزْوَاجُهُمْ مِثْلَ ما أنْفَقُوا وَاتّقُوا اللّهَ الّذِي أنْتُمْ بِهِ مُوءْمِنُونَ فلو أنها ذهبت بعد هذه الآية امرأة من أزواج المؤمنين إلى المشركين, ردّ المؤمنون إلى زوجها النفقة التي أنفق عليها من العقب الذي بأيديهم, الذي أمروا أن يردّوه على المشركين من نفقاتهم التي أنفقوا على أزواجهم اللاتي آمن وهاجرن, ثم ردّوا إلى المشركين فضلاً إن كان بقي لهم. والعقب: ما كان بأيدي المؤمنين من صداق نساء الكفار حين آمنّ وهاجرن.

26299ـ حدثنا ابن عبد الأعلى, قال: حدثنا ابن ثور, عن معمر, عن الزهريّ, قال: أنزل الله وَإنْ فَاتَكُمْ شَيْءٌ مِنْ أزْوَاجِكُمْ إلى الكُفّارِ فَعاقَبْتُمْ فآتُوا الّذِينَ ذَهَبَتْ أزْوَاجُهُمْ مِثْلَ ما أنْفَقُوا فأمر الله المؤمنين أن يردّوا الصداق إذا ذهبت امرأة من المسلمين ولها زوج أن يردّ إليه المسلمون صداق امرأته من صداق إن كان في أيديهم مما أمروا أن يردوا إلى المشركين..

وقال آخرون. بل أُمروا أن يعطوه من الغنيمة أو الفيء. ذكر من قال ذلك:

26300ـ حدثني محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس, قوله: وَإنْ فَاتَكُمْ شَيْءٌ مِنْ أزْوَاجِكُمْ إلى الكُفّارِ فَعاقَبْتُمْ فآتُوا الّذِينَ ذَهَبَتْ أزْوَاجُهُمْ مِثْلَ ما أنْفَقُوا واتّقُوا اللّهَ الّذِي أنْتُمْ بِهِ مُوءْمِنُونَ يعني: إن لحقت امرأة رجل من المهاجرين بالكفار, أمر له رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يعطى من الغنيمة مثل ما أنفق.

26301ـ حدثنا ابن عبد الأعلى, قال: حدثنا ابن ثور, عن معمر, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, إنهم كانوا أُمروا أن يردّوا عليهم من الغنيمة. وكان مجاهد يقرأ: فَعاقَبْتُمْ.

26302ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء, جميعا عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد فَعاقَبْتُمْ يقول: أصبتم مغنما من قريش أو غيرهم فآتُوا الّذِينَ ذَهَبَتْ أزْوَاجُهُمْ مِثْلَ ما أنْفَقُوا صدقاتهنّ عوضا.

حدثنا ابن حُمَيد, قال: حدثنا مهران, عن سفيان, عن حبيب بن أبي ثابت, عن مجاهد وَإنْ فَاتَكُمْ شَيْءٌ مِنْ أزْوَاجِكُمْ إلى الكُفّارِ قال: من لم يكن بينهم وبينهم عهد, فذهبت امرأة إلى المشركين, فيدفع إلى زوجها مهر مثلها فَعاقَبْتُمْ فأصبتم غنيمة فآتُوا الّذِينَ ذَهَبَتْ أزْوَاجُهُمْ مِثْلَ ما أنْفَقُوا وَاتّقُوا اللّهَ قال: مهر مثلها يُدفع إلى زوجها.

26303ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: وَإنْ فَاتَكُمْ شَيْءٌ مِنْ أزْوَاجِكُمْ إلى الكُفّارِ فآتُوا الّذِينَ ذَهَبَتْ أزْوَاجُهُمْ مِثْلَ ما أنْفَقُوا وَاتّقُوا اللّهَ كنّ إذا فررن من أصحاب النبيّ صلى الله عليه وسلم إلى الكفار ليس بينهم وبين نبيّ الله عهد, فأصاب أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم غنيمة, أعطى زوجها ما ساق إليها من جميع الغنيمة, ثم يقتسمون غنيمتهم.

26304ـ حدثني أحمد بن يوسف, قال: حدثنا القاسم, قال: سمعت الكسائي يخبر عن زائدة, عن الأعمش, عن مسلم, عن مسروق أنه قرأها فَعاقَبْتُمْ وفسّرها فغنمتم.
26305ـ حدثنا أحمد, قال: حدثنا القاسم, قال: حدثنا هشيم, عن مغيرة, عن إبراهيم, في قوله: فَعاقَبْتُمْ قال: غنمتم.
26306ـ حدثنا ابن حُمَيد, قال: حدثنا سلمة, عن ابن إسحاق, قال: سألنا الزهريّ, عن هذه الآية وقول الله فيها: وَإنْ فَاتَكُمْ شَيْءٌ مِنْ أزْوَاجِكُمْ إلى الكُفّارِ. الآية, قال: يقول: إن فات أحدا منكم أهله إلى الكفار, ولم تأتكم امرأة تأخذون لها مثل الذي يأخذون منكم, فعوّضوه من فيء إن أصبتموه.
وقال آخرون في ذلك ما:
26307ـ حدثني به يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد في قوله: وَإنْ فَاتَكُمْ شَيْءٌ مِنْ أزْوَاجِكُمْ إلى الكُفّارِ فَعاقَبْتُمْ قال: خرجت امرأة من أهل الإسلام إلى المشركين, ولم يخرج غيرها. قال: فأتت امرأة من المشركين, فقال القوم: هذه عُقْبتكم قد أتتكم, فقال الله وَإنْ فَاتَكُمْ شَيْءٌ مِنْ أزْوَاجِكُمْ إلى الكُفّارِ فَعاقَبْتُمْ: أمسكتم الذي جاءكم منهم من أجل الذي لكم عندهمفأتُوا الّذِينَ ذَهَبَتْ أزْوَاجُهُمْ مِثْلَ ما أنْفَقُوا ثم أخبرهم الله أنه لا جناح عليهم إذا فعلوا الذي فعلوا أن ينكحوهنّ إذا استبرىء رحمها, قال: فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي ذهبت امرأته إلى الكفار, فقال لهذه التي أتت من عند المشركين: هذا زوج التي ذهبت أزوجكه؟ فقالت: يا رسول الله, عذر الله زوجة هذا أن تفرّ منه, لا والله مالي به حاجة, فدعا البختري رجلاً جسيما, قال: هذا؟ قالت: نعم, وهي ممن جاء من مكة.
وأولى الأقوال في ذلك بالصواب أن يقال: أمر الله عزّ وجلّ في هذه الآية المؤمنين أن يعطوا من فرّت زوجته من المؤمنين إلى أهل الكفر إذا هم كانت لهم على أهل الكفر عُقْبى, إما بغنيمة يصيبونها منهم, أو بلحاق نساء بعضهم بهم, مثل الذي أنفقوا على الفارّة منهم إليهم, ولم يخصص إيتاءهم ذلك من مال دون مال, فعليهم أن يعطوهم ذلك من كلّ الأموال التي ذكرناها.
وقوله: واتّقُوا اللّهَ الّذِي أنْتُمْ بِهِ مُوءْمِنُونَ يقول: وخافوا الله الذي أنتم به مصدّقون أيها المؤمنون فاتقوه بأداء فرائضه, واجتناب معاصيه.

الآية : 12

القول في تأويل قوله تعالى:{يَأَيُّهَا النّبِيّ إِذَا جَآءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَىَ أَن لاّ يُشْرِكْنَ بِاللّهِ شَيْئاً وَلاَ يَسْرِقْنَ وَلاَ يَزْنِينَ وَلاَ يَقْتُلْنَ أَوْلاَدَهُنّ وَلاَ يَأْتِينَ بِبُهْتَانٍ يَفْتَرِينَهُ بَيْنَ أَيْدِيهِنّ وَأَرْجُلِهِنّ وَلاَ يَعْصِينَكَ فِي مَعْرُوفٍ فَبَايِعْهُنّ وَاسْتَغْفِرْ لَهُنّ اللّهَ إِنّ اللّهَ غَفُورٌ رّحِيمٌ }.
يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: يا أيّها النّبِيّ إذَا جاءَك المُوءْمِناتُ بالله يُبايِعْنَكَ على أنْ لا يُشْرِكْنَ باللّهِ شَيْئا وَلا يَسْرِقْنَ وَلا يَزْنِينَ وَلا يَقْتُلْنَ أوْلادَهُنّ وَلا يأتِينَ بِبُهْتان يَفْتَرِينَهُ بَينَ أيْدِيهِن وأرْجُلِهنّ يقول: ولا يأتين بكذب يكذبنه في مولود يوجد بين أيديهنّ وأرجلهنّ. وإنما معنى الكلام: ولا يلحقن بأزواجهنّ غير أولادهم. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

26308ـ حدثني عليّ, قال: حدثنا أبو صالح, قال: ثني معاوية, عن عليّ, عن ابن عباس, قوله: وَلا يأْتِينَ بِبُهْتان يَفْتَرِينَهُ بَينَ أيْدِيهِن وأرْجُلِهِنّ يقول: لا يلحقن بأزواجهنّ غير أولادهم.

وقوله: وَلا يَعْصِينَكَ فِي مَعْرُوفٍ يقول: ولا يعصينك يا محمد في معروف من أمر الله عزّ وجلّ تأمرهنّ به. وذُكر أن ذلك المعروف الذي شرط عليهنّ أن لا يعصين رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه هو النياحة. ذكر من قال ذلك:

26309ـ حدثنا عليّ, قال: حدثنا أبو صالح, قال: حدثنا معاوية, عن عليّ, عن ابن عباس, قوله: وَلا يَعْصِينكَ فِي مَعْرُوفٍ يقول: لا يُنحْن.

26310ـ حدثنا ابن بشار, قال: حدثنا عبد الرحمن, قال: حدثنا عبد الله بن المبارك, عن سفيان, عن منصور, عن سالم بن أبي الجعد, وَلا يَعْصِينكَ فِي مَعْرُوفٍ, قال: النوح.

حدثنا ابن بشار, قال: حدثنا أبو أحمد, قال: حدثنا سفيان, عن منصور, عن سالم بن أبي الجعد, مثله.

حدثنا ابن حُمَيد, قال: حدثنا جرير, عن منصور, عن سالم, مثله.

26311ـ حدثنا محمد بن عبيد المحاربيّ, قال: حدثنا موسى بن عمير, عن أبي صالح, في قوله: وَلا يَعْصِينكَ فِي مَعْرُوفٍ قال: في نياحة.

حدثنا ابن حُمَيد, قال: حدثنا مهران, عن سفيان, عن منصور, عن سالم بن أبي الجعد وَلا يَعْصِينكَ فِي مَعْرُوفٍ قال: النوح.

26312ـ قال: ثنا مهران, عن سفيان, عن زيد بن أسلم وَلا يَعْصِينكَ فِي مَعْرُوفٍ قال: لا يخدشن وجها, ولا يشققن جيبا, ولا يدعونّ ويلاً, ولا ينشدن شعرا.

26313ـ حدثني محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس, قال: كانت محنة النساء أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال: قل لهنّ: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم يبايعكنّ على أن لا تشركن بالله شيئا, وكانت هند بنت عتبة بن ربيعة التي شقت بطن حمزة رحمة الله عليه متنكرة في النساء, فقالت: إني إن أتكلم يعرفني, وإن عرفني قتلني, وإنما تنكرت فرقا من رسول الله صلى الله عليه وسلم, فسكت النسوة اللاتي مع هند, وأبين أن يتكلمن قالت هند وهي متنكرة: وكيف يقبل من النساء شيئا لم يقبله من الرجال؟ فنظر إليها رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال لعمر: «قُلْ لَهُنّ وَلا يَسْرِقْنَ», قالت هند: والله إني لأصيب من أبى سفيان الهات وما أدري أيحلهنّ لي أم لا, قال أبو سفيان: ما أصبت من شيء مضى, أو قد بقي, فهو لك حلال, فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم وعرفها, فدعاها فأتته, فأخذت بيده, فعاذت به, فقال: «أنْتِ هِنْدٌ», فقالت: عفا الله عما سلف, فصرف عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم, فقال: وَلا يَزْنِينَ فقالت: يا رسول الله وهل تزني الحرّة؟ قال: «لا والله ما تَزْنِي الحُرّةُ» قال: وَلا يَقْتُلْنَ أوْلادَهُنّ, قالت هند: أنت قتلتهم يوم بدر فأنت وهم أبصر قال: وَلا يأْتِينَ بِبُهْتان يَفْتَرِينَهُ بَينَ أيْدِيهِن وأرْجُلِهِنّ وَلا يَعْصِينكَ فِي مَعْرُوفٍ قال: منعهنّ أن ينحن, وكان أهل الجاهلية يمزّقن الثياب وَيَخْدِشْن الوجوه, ويقطّعن الشعور, ويدعون بالثّبور والويل.

26314ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة يا أيّها النّبِيّ إِذَا جاءَكَ المُؤْمِناتُ يُبايِعْنَكَ حتى بلغ فَبايِعْهُنّ ذُكر لنا أن نبيّ الله صلى الله عليه وسلم أخذ عليهنّ يومئذ النياحة, «ولا تحدّثن الرجال, إلا رجلاً منكنّ مَحْرَما», فقال عبد الرحمن بن عوف: يا نبيّ الله إن لنا أضيافا, وإنا نغيب عن نسائنا قال: فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لَيْسَ أُولَئِكَ عَنَيْتُ».

حدثنا ابن عبد الأعلى, قال: حدثنا ابن ثور, عن معمر, عن قتادة وَلا يَعْصِينكَ فِي مَعْرُوفٍ قال: هو النوح أخِذ عليهنّ لا ينحن, ولا يخلُونّ بحديث الرجال إلا مع ذي مَحْرم قال: فقال عبد الرحمن بن عوف: إنا نغيب ويكون لنا أضياف قال: «ليس أولئك عنيت».

حدثنا ابن بشار, قال: حدثنا سليمان, قال: أخبرنا أبو هلال, قال: حدثنا قتادة, في قوله وَلا يَعْصِينكَ فِي مَعْرُوفٍ قال: لا يحدثن رجلاً.

26315ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: ثني ابن عياش, عن سليمان بن سليمان, عن عمرو بن شعيب, عن أبيه, عن جدّه, قال: جاءت أُميمة بنت رقيقة إلى النبيّ صلى الله عليه وسلم تبايعه على الإسلام فقال لها النبي صلى الله عليه وسلم: «أُبايِعُكِ على أنْ لا تُشْرِكي باللّهِ شَيْئا, وَلا تَسْرِقي, وَلا تَزْنِي, وَلا تَقْتُلِي وَلَدَك, وَلا تأتِي بِبُهْتان تَفْتَرِينَهُ بَينَ يَدَيْكِ وَرِجْلَيْكِ, وَلا تَنُوحي وَلا تبّرجي تَبّرجَ الجاهِلِيّةِ الأُولى».

26316ـ حدثنا ابن حُميد, قال: حدثنا مهران, عن سفيان, عن محمد بن المنكدر, عن أُميمة بنت رقيقة, قالت: جاءت نسوة إلى النبيّ صلى الله عليه وسلم يبايعنه, فقال: «فِيما اسْتَطَعْتُنّ وأطَقْتُنّ», فقلنا: الله ورسوله أرحم بنا منا بأنفسنا.

حدثنا محمد بن عبد الله بن عبد الحكم, قال: حدثنا أبي وشعيب بن الليث, قال: حدثنا خالد بن يزيد, عن ابن أبي هلال, عن ابن المنكدر أن أُميمة أخبرته أنها دخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم في نسوة, فقلن: يا رسول الله ابسط يدك نصافحك, فقال: «إنّي لا أُصافِحُ النّساءَ, وَلَكِنْ سآخُذُ عَلَيْكُمّ», فأخذ علينا حتى بلغ: وَلا يَعْصِينكَ فِي مَعْرُوفٍ فقال: «فِيما أطَقْتُنّ وَاسْتَطَعْتُنّ» فقلن: الله ورسوله أرحم بنا من أنفسنا.

26317ـ حدثنا ابن حُمَيد, قال: حدثنا هارون, عن عمرو, عن عاصم, عن ابن سيرين, عن أمّ عطية الأنصارية, قالت: كان فيما اشترط علينا من المعروف حين بايعنا أن لا ننوح, فقالت امرأة من بني فلان: إن بني فلان أسعدوني, فلا حتى أجزيهم, فانطلقت فأسعدتهم, ثم جاءت فبايعت قال: فما وفى منهن غيرها وغير أمّ سليم ابنة ملحان أمّ أنس بن مالك.

26318ـ حدثنا أبو كريب, قال: حدثنا أبو نعيم, قال: حدثنا عمرو بن فروخ القتات, قال: حدثنا مصعب بن نوح الأنصاري, قال: «أدركت عجوزا لنا كانت فيمن بايع رسول الله صلى الله عليه وسلم, قالت: فأتيته لأبايعه, فأخذ علينا فيما أخذ ولا تُنحنَ, فقالت عجوز: يا نبيّ الله إن ناسا قد كانوا أسعدوني على مصائب أصابتني, وإنهم قد أصابتهم مصيبة, فأنا أريد أن أسعدهم قال: «فانْطَلِقي فَكافِئِيهِمْ» ثم إنها أتت فبايعته, قال: «هو المعروف الذي قال الله»: وَلا يَعْصِينكَ فِي مَعْرُوفٍ.

26319ـ حدثنا أبو كُرَيب, قال: حدثنا وكيع, عن يزيد, مولى الصهباء, عن شهر بن حوشب, عن أم سلمة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم, في قوله وَلا يَعْصِينكَ فِي مَعْرُوفٍ قال: «النوح».

حدثنا أبو كُرَيب, قال: حدثنا يونس, قال: حدثنا محمد بن إسحاق, عن محمد بن المنكدر, عن أُميمة بنت رقيقة التيمية, قالت: بايعت رسول الله صلى الله عليه وسلم في نسوة من المسلمين, فقلنا له: جئناك يا رسول الله نبايعك على أن لا نشرك بالله شيئا, ولا نسرق, ولا نزني, ولا نقتل أولادنا, ولا نأتيَ ببهتان نفتريه بين أيدينا وأرجلنا, ولا نعصيك في معروف فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «فيما اسْتَطعتنّ وأطقتنّ», فقلنا: الله ورسوله أرحم بنا من أنفسنا, فقلنا: بايعنا يا رسول الله, فقال: «اذْهَبْنَ فَقَدْ بايَعْتُكُنّ, إنّما قَوْلِي لمئَةِ امْرأةٍ كَقَوْلي لامْرأةٍ وَاحدَةٍ», وما صافح رسول الله صلى الله عليه وسلم منا أحدا.

حدثنا أبو كُرَيب, قال: حدثنا يونس بن بكير, عن عيسى بن عبد الله التيمي, عن محمد بن المنكدر, عن أُميمة بنت رقيقة خالة فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم, قال: سمعتها تقول: بايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم, فأخذ علينا أن لا نشرك بالله شيئا, فذكر مثل حديث محمد بن إسحاق.

حدثنا محمد بن بشار, قال: حدثنا عبد الرحمن, قال: حدثنا سفيان, عن محمد بن المنكدر, عن أُميمة بنت رقيقة, قالت: أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم في نساء نبايعه, قالت: فأخذ علينا النبيّ صلى الله عليه وسلم بما في القرآن أنْ لا يُشْرِكْنَ باللّهَ شَيْئا... الآية, ثم قال: «فيما اسْتَطَعْتُنّ وأطَقْتُنّ» فقلنا: يا رسولَ الله ألا تصافحنا؟ فقال: «إنّي لا أُصافِحُ النّساءَ ما قَوْلي لامرأةٍ وَاحدَةٍ إلاّ كَقَوْلي لِمِئَةِ امْرأةٍ».

حدثنا ابن عبد الرحيم البرقي, قال: حدثنا عمرو بن أبي سلمة, عن زُهير, عن موسى بن عقبة, عن محمد بن المنكدر, عن أُميمة بنت رقيقة, عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بنحوه.

26320ـ حُدثت , عن الحسين, قال: سمعت أبا معاذ يقول: حدثنا عبيد, قال: سمعت الضحاك يقول في قوله وَلا يَعْصِينكَ فِي مَعْرُوفٍ والمعروف: ما اشترط عليهنّ في البيعة أن يتبعن أمره.

26321ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قول الله: وَلا يَعْصِينكَ فِي مَعْرُوفٍ فقال: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم نبيه وخيرته من خلقه ثم لم يستحلّ له أمور أمر إلا بشرط لم يقل: ولا يعصينك ويترك حتى قال: في معروف: فكيف ينبغي لأحد أن يُطاع في غير معروف وقد اشترط الله هذا على نبيه, قال: فالمعروف كلّ معروف أمرهنّ به في الأمور كلها وينبغي لهنّ أن لا يعصين.

26322ـ حدثنا محمد بن سنان القزاز, حدثنا إسحاق بن إدريس, حدثنا إسحاق بن عثمان بن يعقوب, قال: ثني إسماعيل بن عبد الرحمن بن عطية, عن جدته أمّ عطية, قالت: لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة, جمع بين نساء الأنصار في بيت, ثم أرسل إلينا عمر بن الخطاب, فقام على الباب فسلم علينا, فرددن, أو فرددنا عليه, ثم قال: أنا رسول رسول الله صلى الله عليه وسلم إليكنّ, قالت: فقلنا مرحبا برسول الله صلى الله عليه وسلم, وبرسول رسول الله, فقال: تبايعن على أن لا

تشركن بالله شيئا, ولا تسرقن, ولا تزنين, قالت: قلنا نعم قال: فمدّ يده من خارج الباب أو البيت, ومددنا أيدينا من داخل البيت, ثم قال: اللهمّ اشهد قالت: وأمرنا في العيدين أن نخرج فيه الحيض والعواتق, ولا جمعة علينا, ونهانا عن اتباع الجنازة, قال إسماعيل: فسألت جدتي عن قول الله وَلا يَعْصِينكَ فِي مَعْرُوفٍ قالت: النياحة.

26323ـ حدثني محمد بن عبد الرحيم البرقي, قال: حدثنا عمرو بن أبي سلمة, عن زهير, في قول الله: وَلا يَعْصِينكَ فِي مَعْرُوفٍ قال: لا يخلوا الرجل بامرأة.

وقوله: فَبايِعْهُنّ يقول جلّ ثناؤه: إذا جاءك المؤمنات يبايعنك على هذه الشروط, فبايعهن, وَاسْتَغْفِرْ لَهُنّ اللّهَ يقول: سل لهنّ الله أن يصفح عن ذنوبهنّ, ويسترها عليهنّ بعفوه لهنّ عنها, إنّ اللّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ يقول: إن الله ذو ستر على ذنوب من تاب إليه من ذنوبه أن يعذّبه عليها بعد توبته منها.

الآية : 13

القول فـي تأويـل قوله تعالى:{يَأَيّهَا الّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَتَوَلّوْاْ قوْماً غَضِبَ اللّهُ عَلَيْهِمْ قَدْ يَئِسُواْ مِنَ الاَخِرَةِ كَمَا يَئِسَ الْكُفّارُ مِنْ أَصْحَابِ الْقُبُورِ }.

يقول تعالى ذكره للمؤمنين به من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم: يا أيّها الّذِينَ آمَنُوا لا تَتَوَلّوْا قَوْما غَضِبَ اللّهُ عَلَيْهِمْ من اليهود قَدْ يَئِسُوا مِنَ الآخِرَة كَما يَئِسَ الكُفّارُ مِنْ أصحَابِ القُبُورِ.

واختلف أهل التأويل في تأويل قوله: قَدْ يَئِسُوا مِنَ الآخِرَة كَما يَئِسَ الكُفّارُ مِنْ أصحَابِ القُبُورِ فقال بعضهم: معنى ذلك: قد يئس هؤلاء القوم الذين غضب الله عليهم من اليهود من ثواب الله في الآخرة, وأن يُبعثوا, كما يئس الكفار الأحياء من أمواتهم الذين هم في القبور أن يرجعوا إليهم. ذكر من قال ذلك:

26324ـ حدثني محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس, قوله: يا أيّها الّذِينَ آمَنُوا لا تَتَوَلّوْا قَوْما غَضِبَ اللّهُ عَلَيْهِمْ... الآية, يعني من مات من الذين كفروا, فقد يئس الأحياء من الذين كفَروا أن يرجعوا إليهم, أو يبعثهم الله.

26325ـ حدثنا ابن المثنى, قال: حدثنا محمد بن جعفر, قال: حدثنا شعبة, عن منصور بن زاذان, عن الحسين أنه قال في هذه الآية: قَدْ يَئِسُوا مِنَ الآخِرَة كَما يَئِسَ الكُفّارُ مِنْ أصحَابِ القُبُورِ قال: الكفار الأحياء قد يئسوا من الأموات.

26326ـ حدثنا ابن عبد الأعلى, قال: حدثنا ابن ثور, عن معمر, عن قتادة, في قوله: قَدْ يَئِسُوا مِنَ الآخِرَة يقول: يئسوا أن يُبعثوا كما يئس الكفار أن ترجع إليهم أصحاب القبور الذين ماتوا.

حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: يا أيّها الّذِينَ آمَنُوا لا تَتَوَلّوْا قَوْما غَضِبَ اللّهُ عَلَيْهِمْ قَدْ يَئِسُوا مِنَ الآخِرَةِ... الآية, الكافر لا يرجو لقاء ميته ولا أجره.

26327ـ حُدثت عن الحسين, قال: سمعت أبا معاذ يقول: حدثنا عبيد, قال: سمعت الضحاك يقول في قوله: قَدْ يَئِسُوا مِنَ الآخِرَة, كَما يَئِسَ الكُفّارُ مِنْ أصحَابِ القُبُورِ يقول: من مات من الذين كفروا فقد يئس الأحياء منهم أن يرجعوا إليهم, أو يبعثهم الله.

وقال آخرون: بل معنى ذلك: قد يئسوا من الآخرة أن يرحمهم الله فيها, ويغفر لهم, كما يئس الكفار الذي هم أصحاب قبور قد ماتوا وصاروا إلى القبور من رحمة الله وعفوه عنهم في الآخرة, لأنهم قد أيقنوا بعذاب الله لهم. ذكر من قال ذلك:

26328ـ حدثنا ابن المثنى, قال: حدثنا محمد بن جعفر, عن شعبة, عن الحكم, عن مجاهد, في هذه الآية: قَدْ يَئِسُوا مِنَ الآخِرَة كَما يَئِسَ الكُفّارُ مِنْ أصحَابِ القُبُورِ قال: أصحاب القبور الذين في القبور قد يئسوا من الآخرة.

حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء, جميعا عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, في قوله قَدْ يَئِسُوا مِنَ الآخِرَة كَما يَئِسَ الكُفّارُ مِنْ أصحَابِ القُبُورِ قال: من ثواب الآخرة حين تَبين لهم عملهن, وعاينوا النار.

26329ـ حدثنا ابن المثنى, قال: حدثنا محمد, قال: حدثنا شعبة, عن سماك, عن عكرمة أنه قال في هذه الآية: قَدْ يَئِسُوا مِنَ الآخِرَة... الآية, قال: أصحاب القبور قد يئسوا من الآخرة.

26330ـ حدثنا ابن عبد الأعلى, قال: حدثنا ابن ثور, عن معمر, قال: قال الكلبي: قد يئسوا من الآخرة, يعني اليهود والنصارى, يقول: قد يئسوا من ثواب الآخرة وكرامتها, كما يئس الكفار الذي قد ماتوا فهم في القبور من الجنة حين رأوا مقعدهم من النار.

26331ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قول الله: لا تَتَوَلّوْا قَوْما... الآية, قال: قد يئس هؤلاء الكفار من أن تكون لهم آخرة, كما يئس الكفار الذين ماتوا الذين في القبور من أن تكون لهم آخرة, لما عاينوا من أمر الآخرة, فكما يئس أولئك الكفار, كذلك يئس هؤلاء الكفار قال: والقوم الذين غضب الله عليهم, يهودهم الذين يئسوا من أن تكون لهم آخرة, كما يئس الكفار قبلهم من أصحاب القبور, لأنهم قد علموا كتاب الله وأقاموا على الكفر به, وما صنعوا وقد علموا.

26332ـ حدثنا ابن حُمَيد, قال: حدثنا جرير, عن منصور, في قوله: يَئِسُوا مِنَ الآخِرَةِ... الآية, قال: قد يئسوا أن يكون لهم ثواب الآخرة, كما يئس من في القبور من الكفار من الخير, حين عاينوا العذاب والهوان.

وأولى القولين في ذلك عندي بالصواب قول من قال: قد يئس هؤلاء الذين غضب الله عليهم من اليهود من ثواب الله لهم في الآخرة, وكرامته لكفرهم وتكذيبهم رسوله محمدا صلى الله عليه وسلم على علم منهم بأنه لله نبيّ, كما يئس الكفار منهم الذين مضوا قبلهم فهلكوا, فصاروا أصحاب القبور, وهم على مثل الذي هؤلاء عليه من تكذيبهم عيسى صلوات الله عليه وغيره من الرسل, من ثواب الله وكرامته إياهم.

وإنما قلنا: ذلك أولى القولين بتأويل الآية, لأن الأموات قد يئسوا من رجوعهم إلى الدنيا, أو أن يُبعثوا قبل قيام الساعة المؤمنون والكفار, فلا وجه لأن يخصّ بذلك الخبر عن الكفار, وقد شركهم في الإياس من ذلك المؤمنون.

سورة الصف

سورة الصف مدنية
وآياتها أربع عشرة

بسم الله الرحمَن الرحيم

الآية : 1-3

القول فـي تأويـل قوله تعالى: {سَبّحَ لِلّهِ مَا فِي السّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ * يَأيّهَا الّذِينَ آمَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لاَ تَفْعَلُونَ * كَبُرَ مَقْتاً عِندَ اللّهِ أن تَقُولُواْ مَا لاَ تَفْعَلُونَ }.

يقول جلّ ثناؤه: سَبّحَ لِلّهِ ما فِي السّمَوَاتِ السبع وَما فِي الأرْضِ من الخلق, مُذعنين له بالألوهة والربوبية وَهُوَ العَزِيزُ في نقمته ممن عَصاه منهم, فكفر به, وخالف أمره الْحَكِيمُ في تدبيره إياهم.

وقوله: يا أيّها الّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ ما لا تَفْعَلُونَ يقول تعالى ذكره: يا أيها الذين آمنوا صدّقوا الله ورسوله, لم تقولون القول الذي لا تصدّقونه بالعمل, فأعمالكم مخالفة أقوالكم كَبُرَ مَقْتا عِنْدَ اللّهِ أنْ تَقُولُوا ما لا تَفْعَلُونَ يقول: عظم مقتا عند ربكم قولكم ما لا تفعلون.

واختلف أهل التأويل في السبب الذي من أجله أُنْزلت هذه الآية, فقال بعضهم: أُنزلت توبيخا من الله لقوم من المؤمنين, تمنوا معرفة أفضل الأعمال, فعرّفهم الله إياه, فلما عرفوا قصروا, فعوتبوا بهذه الآية. ذكر من قال ذلك:

26333ـ حدثني عليّ, قال: حدثنا أبو صالح, قال: ثني معاوية, عن عليّ, عن ابن عباس, في قوله: يا أيّها الّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ ما لا تَفْعَلُونَ قال: كان ناس من المؤمنين قبل أن يُفرض الجهاد يقولون: لوددنا أن الله دلنا على أحبّ الأعمال إليه, فنعمل به, فأخبر الله نبيه أن أحبّ الأعمال إليه إيمان بالله لا شكّ فيه, وجهاد أهل معصيته الذين خالفوا الإيمان ولم يقرّوا به فلما نزل الجهاد, كره ذلك أُناس من المؤمنين, وشقّ عليهم أمره, فقال الله: يا أيّها الّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ ما لا تَفْعَلُونَ.

حدثني محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس, قوله: يا أيّها الّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ ما لا تَفْعَلُونَ كَبُرَ مَقْتا عِنْدَ اللّهِ أنْ تَقُولُوا ما لا تَفْعَلُونَ قال: كان قوم يقولون: والله لو أنا نعلم ما أحبّ الأعمال إلى الله لعملناه, فأنزل الله على نبيه صلى الله عليه وسلم: يا أيّها الّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ ما لا تَفْعَلُونَ كَبُرَ مَقْتا... إلى قوله بُنْيانٌ مَرْصُوصٌ فدلهم على أحبّ الأعمال إليه.

26334ـ حدثنا ابن حُمَيد, قال: حدثنا مهران, عن سفيان, عن محمد بن جحادة, عن أبي صالح, قال: قالوا: لو كنا نعلم أيّ الأعمال أحبّ إلى الله وأفضل, فنزلت: يا أيّها الّذِينَ آمَنُوا هَلْ أدُلّكُمْ على تِجَارَةٍ تُنْجِيكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ فكرهوا, فنزلت: يا أيّها الّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ ما لا تَفْعَلُونَ.

26335ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء, جميعا عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, في قول الله لِمَ تَقُولُونَ ما لا تَفْعَلُونَ... إلى قوله: مَرْصُوصٌ فيما بين ذلك في نفر من الأنصار فيهم عبد الله بن رواحة, قالوا في مجلس: لو نعلم أيّ الأعمال أحبّ إلى الله لعملنا بها حتى نموت, فأنزل

الله هذا فيهم, فقال عبد الله بن رواحة: لا أزال حبيسا في سبيل الله حتى أموت, فقُتل شهيدا.
وقال آخرون: بل نزلت هذه الآية في توبيخ قوم من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم, كان أحدهم يفتخر بالفعل من أفعال الخير التي لم يفعلها, فيقول فعلت كذا وكذا, فعذلهم الله على افتخارهم بما لم يفعلوا كذبا. ذكر من قال ذلك:
26336ـ حدثنا محمد بن عبد الأعلى, قال: حدثنا ابن ثور, عن معمر, عن قتادة, في قوله: لِمَ تَقُولُونَ ما لا تَفْعَلُونَ قال: بلغني أنها كانت في الجهاد, كان الرجل يقول: قاتلت وفعلت, ولم يكن فعل, فوعظهم الله في ذلك أشدّ الموعظة.
حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: يا أيّها الّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ ما لا تَفْعَلُونَ يؤذنهم ويعلمهم كما تسمعون كَبُرَ مَقْتا عِنْدَ اللّهِ وكانت رجال تخبر في القتال بشيء لم يفعلوه ولم يبلغوه, فوعظهم الله في ذلك موعظة بليغة, فقال: يا أيّها الّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ ما لا تَفْعَلُونَ... إلى قوله: كَأنّهُمْ بُنْيانٌ مَرْصُوصٌ.
26337ـ حُدثت عن الحسين, قال: سمعت أبا معاذ يقول: حدثنا عبيد, قال: سمعت الضحاك يقول في قوله: لِمَ تَقُولُونَ ما لا تَفْعَلُونَ أنزل الله هذا في الرجل يقول في القتال ما لم يفعله من الضرب والطعن والقتل قال الله: كَبُرَ مَقْتا عِنْدَ اللّهِ أنْ تَقُولُوا ما لا تَفْعَلُونَ.
وقال آخرون: بل هذا توبيخ من الله لقوم من المنافقين, كانوا يَعِدُونَ المؤمنين النصر وهم كاذبون. ذكر من قال ذلك:
26338ـ حدثنا يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قول الله: كَبُرَ مَقْتا عِنْدَ اللّهِ أنْ تَقُولُوا ما لا تَفْعَلُونَ يقول للنبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه: لو خرجتم خرجنا معكم, وكنا في نصركم, وفى, وفى, فأخبرهم أنه كَبُرَ مَقْتا عِنْدَ اللّهِ أنْ تَقُولُوا ما لا تَفْعَلُونَ.
وأولى هذه الأقوال بتأويل الآية قول من قال: عنى بها الذين قالوا: لو عرفنا أحبّ الأعمال إلى الله لعملنا به, ثم قصروا في العمل بعدما عرفوا.
وإنما قلنا: هذا القول أولى بها, لأن الله جلّ ثناؤه خاطب بها المؤمنين, فقال: يا أيّها الّذِينَ آمَنُوا ولو كانت نزلت في المنافقين لم يسموْا, ولم يوصفوا بالإيمان, ولو كانوا وصفوا أنفسهم بفعل ما لم يكونوا فعلوه, كانوا قد تعمدوا قيل الكذب, ولم يكن ذلك صفة القوم, ولكنهم عندي أمّلوا بقولهم: لو علمنا أحبّ الأعمال إلى الله عملناه أنهم لو علموا بذلك عملوه فلما علموا ضعفت قوى قوم منهم, عن القيام بما أملوا القيام به قبل العلم, وقوي آخرون فقاموا به, وكان لهم الفضل والشرف.
واختلفت أهل العربية في معنى ذلك, وفي وجه نصب قوله: كَبُرَ مَقْتا فقال بعض نحويي البصرة: قال: كَبُرَ مَقْتا عِنْدَ اللّهِ: أي كبر مقتكم مقتا, ثم قال: أنْ تَقُولُوا ما لا تَفْعَلُونَ: أذى قولكم. وقال بعض نحويي الكوفة: قوله: يا أيّها الّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ ما لا تَفْعَلُونَ: كان المسلمون يقولون: لو نعلم أيّ الأعمال أحبّ إلى الله لأتيناه, ولو ذهبت فيه أنفسنا وأموالنا فلما كان يوم أحد, نزلوا عن النبيّ صلى الله عليه وسلم حتى شُجّ, وكُسرت رباعيته, فقال: لِمَ تَقُولُونَ ما لا تَفْعَلُونَ, ثم قال: كَبُرَ مَقْتا عِنْدَ اللّهِ كبر ذلك مقتا: أي فأن في موضع رفع, لأن كبر كقوله: بئس رجلاً أخوك.

وقوله: كَبُرَ مَقْتا عِنْدَ اللّهِ وَعِنْدَ الّذِينَ آمَنُوا, أُضْمِرَ في كبر اسم يكون مرفوعا.
والصواب من القول في ذلك عندي أن قوله مَقْتا منصوب على التفسير, كقول القائل: كبر قولاً هذا القول.

الآية : 4

القول فِـي تأويـل قوله تعالى: {إِنّ اللّهَ يُحِبّ الّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفّاً كَأَنّهُم بُنْيَانٌ مّرْصُوصٌ }.
يقول تعالى ذكره للقائلين: لو علمنا أحبّ الأعمال إلى الله لعملناه حتى نموت: إنّ اللّهَ أيها القوم يُحِبّ الّذِينَ يُقاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ كأنهم, يعني في طريقه ودينه الذي دعا إليه صَفّا يعني بذلك أنهم يقاتلون أعداء الله مصطفين.
وقوله: كأنّهُمْ بُنْيان مَرْصُوصٌ يقول: يقاتلون في سبيل الله صفا مصطفا, كأنهم في اصطفافهم هنالك حيطان مبنية قد رصّ, فأحكم وأتقن, فلا يغادر منه شيئا, وكان بعضهم يقول: بني بالرصاص. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:
26339ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: إنّ اللّهَ يُحِبّ الّذِينَ يُقاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفّا كأنّهُم بُنْيانٌ مَرْصُوصٌ ألم تر إلى صاحب البنيان كيف لا يحبّ أن يخلف بنيانه, كذلك تبارك وتعالى لا يختلف أمره, وإن الله وصف المؤمنين في قتالهم وصفهم في صلاتهم, فعليكم بأمر الله فإنه عصمة لمن أخذ به.
26340ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد إنّ اللّهَ يُحِبّ الّذِينَ يُقاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفّا كأنّهُم بُنْيانٌ مَرْصُوصٌ قال: والذين صدّقوا قولهم بأعمالهم هؤلاء قال: وهؤلاء لم يصدّقوا قولهم بالأعمال لما خرج النبيّ صلى الله عليه وسلم نكصوا عنه وتخلّفوا.
وكان بعض أهل العلم يقول: إنما قال الله إنّ اللّهَ يُحِبّ الّذِينَ يُقاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفّا ليدلّ على أن القتال راجلا أحبّ إليه من القتال فارسا, لأن الفرسان لا يصطفون, وإنما تصطف الرجالة. ذكر من قال ذلك:
26341ـ حدثني سعيد بن عمرو السكوني, قال: حدثنا بقية بن الوليد, عن أبي بكر ابن أبي مريم, عن يحيى بن جابر الطائي, عن أبي بحرية, قال: كانوا يكرهون القتال على الخيل, ويستحبون القتال على الأرض, لقول الله: إنّ اللّهَ يُحِبّ الّذِينَ يُقاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفّا كأنّهُم بُنْيانٌ مَرْصُوصٌ قال: وكان أبو بحرية يقول: إذا رأيتموني التفتّ في الصفّ, فجئوا في لحيي.

الآية : 5

القول فِـي تأويـل قوله تعالى: {وَإِذْ قَالَ مُوسَىَ لِقَوْمِهِ يَقَوْمِ لِمَ تُؤْذُونَنِي وَقَد تّعْلَمُونَ أَنّي رَسُولُ اللّهِ إِلَيْكُمْ فَلَمّا زَاغُوَاْ أَزَاغَ اللّهُ قُلُوبَهُمْ وَاللّهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ }.
يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: واذكر يا محمد إذْ قالَ مُوسَى بن عمران لِقَوْمِهِ يا قَوْم لِمَ تُوءْذُونَنِي وَقَدْ تَعْلَمُونَ حقا أنُى رَسُولُ اللّهُ إلَيْكُمْ.
وقوله: فَلَمّا زَاغُوا أزَاغَ اللّهُ قُلُوبَهُمْ يقول: فلما عدلوا وجاروا عن قصد السبيل أزاغ الله قلوبهم: يقول: أمال الله قلوبهم عنه وقد:

26342ـ حدثني يعقوب بن إبراهيم, قال: حدثنا هشيم, قال: أخبرنا العوّام, قال: حدثنا أبو غالب, عن أبي أمامة في قوله: فَلَمّا زَاغُوا أَزَاغَ اللّهُ قُلُوبَهُمْ قال: هم الخوارج.
وَاللّهُ لا يَهْدِي القَوْمَ الفاسِقِينَ يقول: والله لا يوفّق لإصابة الحقّ القوم الذين اختاروا الكفر على الإيمان.

الآية : 6

القول فـي تأويـل قوله تعالى: {وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَبَنِي إِسْرَائِيلَ إِنّي رَسُولُ اللّهِ إِلَيْكُم مّصَدّقاً لّمَا بَيْنَ يَدَيّ مِنَ التّوْرَاةِ وَمُبَشّراً بِرَسُولٍ يَأْتِي مِن بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ فَلَمّا جَاءَهُم بِالْبَيّنَاتِ قَالُواْ هَـَذَا سِحْرٌ مّبِينٌ }.
يقول تعالى ذكره: واذكر أيضا يا محمد إذْ قالَ عِيسَى ابنُ مَرْيَمَ لقومه من بني إسرائيل,يا بَنِي إسْرائِيلَ إنّي رَسُولُ اللّهِ إلَيْكُمْ مُصَدّقا لِمَا بَينِ يَدَيّ مِنَ التّوْرَاةِ التي أُنزلت على موسى وَمُبَشّرا أبشركم بِرَسُولٍ يأتي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أحْمَدُ.
26343ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: أخبرني معاوية بن صالح, عن سعيد بن سويد, عن عبد الأعلى بن هلال السلميّ, عن عرباض بن سارية, قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «إنّي عِنْدَ اللّهِ مَكْتُوبٌ لخَاتِمُ النّبِيّينَ, وَإنّ آدَمَ لَمُنْجَدِلٌ فِي طِينَتِهِ, وسأُخْبِرُكُمْ بأوّلِ ذَلكَ: دَعْوَةُ أبي إبْرَاهِيمَ, وَبِشَارَةُ عِيسَى بِي, وَالرّوءْيا التي رأتْ أُمّي, وكَذلكَ أُمّهاتُ النّبِيّينَ, يَرَيْنَ أنّها رأتْ حِينَ وَضَعَتْنِي أنّهُ خَرَجَ مِنْها نُورٌ أضَاءَتْ مِنْهُ قُصُورُ الشّام».
فَلَمّا جاءَهُمْ بالبَيّناتِ يقول: فلما جاءهم أحمد بالبينات, وهي الدلالات التي آتاه الله حججا على نبوّته قالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ يقول: ما أتى به غير أنني ساحر.

الآية : 7

القول فـي تأويـل قوله تعالى: {وَمَنْ أَظْلَمُ مِمّنِ افْتَرَىَ عَلَى اللّهِ الْكَذِبَ وَهُوَ يُدْعَىَ إِلَى الإِسْلاَمِ وَاللّهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الظّالِمِينَ }.
يقول تعالى ذكره: ومن أشدّ ظلما وعدوانا ممن اختلق على الله الكذب, وهو قول قائلهم للنبيّ صلى الله عليه وسلم: هو ساحر ولما جاء به سحر, فكذلك افتراؤه على الله الكذب وهو يُدعى إلى الإسلام يقول: إذا دعي إلى الدخول في الإسلام, قال على الله الكذب, وافترى عليه الباطل وَاللّهُ لاَ يَهْدِي القَوْمَ الظّالِمِينَ يقول: والله لا يوفّق القوم الذين ظلموا أنفسهم بكفرهم به لإصابة الحقّ.

الآية : 8

القول فـي تأويـل قوله تعالى: {يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُواْ نُورَ اللّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللّهُ مُتِمّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ }.
يقول تعالى ذكره: يريد هؤلاء القائلون لمحمد صلى الله عليه وسلم: هذا ساحر مبين لِيُطْفِئُوا نُورَ اللّهِ بأفْوَاهِهِمْ يقول: يريدون ليبطلوا الحقّ الذي بعث الله به محمدا صلى الله عليه وسلم بأفواههم يعني بقولهم إنه ساحر, وما جاء به سحر, وَاللّهُ مُتِمّ نُورِهِ يقول: الله معلن الحقّ, ومظهر دينه, وناصر محمدا عليه الصلاة والسلام على من عاداه, فذلك إتمام نوره, وعنى بالنور في هذا الموضع الإسلام. وكان ابن زيد يقول: عُنِي به القرآن.

26344ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله: لِيُطْفِئُوا نُورَ اللّهِ بأفْوَاهِهِمْ قال: نور القرآن.
واختلفت القرّاء في قراءة قوله تعالى: وَاللّهُ مُتِمّ نورِهِ فقرأته عامة قرّاء المدينة والبصرة وبعض الكوفيين: «مُتِمّ نُورَهُ» بالنصب. وقرأه بعض قرّاء مكة وعامة قرّاء الكوفة مُتِمّبغير تنوين نورِه خفضا, وهما قراءتان معروفتان متقاربتا المعنى, فبأيتهما قرأ القارىء فمصيب عندنا.
وقوله: وَلَوْ كَرِهَ الكافِرُونَ يقول: والله مظهر دينه, ناصر رسوله, ولو كره الكافرون بالله.

الآية : 9

القول فـي تأويـل قوله تعالى: {هُوَ الّذِيَ أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىَ وَدِينِ الْحَقّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدّينِ كُلّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ }. يقول تعالى ذكره: الله الذي أرسل رسوله محمدا بالهدى ودين الحقّ, يعني ببيان الحقّ ودين الحقّ يعني: وبدين الله, وهو الإسلام.
وقوله: لِيُظْهِرَهُ على الدّينِ كُلّه يقول: ليظهر دينه الحقّ الذي أرسل به رسوله على كلّ دين سواه, وذلك عند نزول عيسى ابن مريم, وحين تصير الملة واحدة, فلا يكون دين غير الإسلام, كما:
26345ـ حدثنا ابن حُمَيد, قال: حدثنا مهران, عن سفيان, عن أبي المقدام ثابت بن هرمز, عن أبي هريرة لِيَظْهِرَهُ على الدّينِ كُلّه قال: خروج عيسى ابن مريم.
وقد ذكرنا اختلاف المختلفين في معنى قوله لَيُظْهِرَهُ على الدّين كُلّهِ والصواب عندنا من القول في ذلك بعلله فيما مضى, بما أغنى عن إعادته في هذا الموضع. وقد:
26346ـ حدثني عبد الحميد بن جعفر, قال: حدثنا الأسود بن العلاء, عن أبي سلمة بن عبد الرحمن, عن عائشة قالت: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول: «لا يَذْهَبُ اللّيْلُ والنّهارُ حتى تُعْبَدَ اللاّتُ والعُزّى» فقالت عائشة: والله يا رسول الله إن كنت لأظنّ حين أنزل الله هُوَ الّذِي أرْسَلَ رَسُولَهُ بالهُدَى وَدِينِ الحَقّ لِيُظْهِرَهُ على الدّينِ كُلّه... الآية, أن ذلك سيكون تاما, فقال: «إنّهُ سَيَكُونُ مِنْ ذلكَ ما شاءَ اللّهُ, ثُمّ يَبْعَثُ اللّهُ رِيحا طَيّبَةً, فَيَتَوَفّى مَنْ كانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقالُ حَبّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ مَنْ خَيْرٍ, فَيَبْقَى مَنْ لا خَيْرَ فِيهِ, فَيَرْجِعُونَ إلى دِينِ آبائِهِمْ».

الآية : 10-11

القول فـي تأويـل قوله تعالى: {يَأَيّهَا الّذِينَ آمَنُواْ هَلْ أَدُلّكمْ عَلَىَ تِجَارَةٍ تُنجِيكُم مّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ * تُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ }.
يقول تعالى ذكره: يا أيّها الّذِينَ آمَنُوا هَلْ أدُلّكُمْ على تِجارَةٍ تُنْجِيكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ موجع, وذلك عذاب جهنم ثم بين لنا جلّ ثناؤه ما تلك التجارة التي تنجينا من العذاب الأليم, فقال: تُؤْمِنُونَ باللّهِ وَرَسُولِهِ محمد صلى الله عليه وسلم.
فإن قال قائل: وكيف قيل: تُؤْمِنُونَ باللّهِ وَرَسُولِهِ, وقد قيل لهم: يا أيّها الّذِينَ آمَنُوا بوصفهم بالإيمان؟ فإن الجواب في ذلك نظير جوابنا في قوله: يا أيّها الّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بالله وقد مضى البيان عن ذلك في موضعه بما أغنى عن إعادته.

وقوله: وَتُجاهِدُونَ فِي سَبِيل اللّهِ بأمْوَالِكُمْ وأنْفُسِكُمْ يقول تعالى ذكره: وتجاهدون في دين الله, وطريقه الذي شرعه لكم بأموالكم وأنفسكم ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ يقول: إيمانكم بالله ورسوله, وجهادكم في سبيل الله بأموالكم وأنفسكم خَيْرٌ لَكُمْ من تضييع ذلك والتفريط إنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ مضارّ الأشياء ومنافعها. وذُكر أن ذلك في قراءة عبد الله: «آمِنُوا باللّهِ» على وجه الأمر, وبيّنت التجارة من قوله: هَلْ أدُلّكُمْ على تِجارَةٍ تُنْجِيكُمْ وفسّرت بقوله: تُوءْمِنُونَ باللّهِ ولم يقل: أن تؤمنوا, لأن العرب إذا فسرت الاسم بفعل تثبت في تفسيره أن أحيانا, وتطرحها أحيانا, فتقول للرجل: هل لك في خير تقوم بنا إلى فلان فنعوده؟ هل لك في خير أن تقوم إلى فلان فنعوده؟, بأن وبطرحها. ومما جاء في الوجهين على الوجهين جميعا قوله: فَلْيَنْظُرِ الإنْسانُ إلى طَعامِهِ أنّا وإنا فالفتح في أنا لغة من أدخل في يقوم أن من قولهم: هل لك في خير أن تقوم, والكسر فيها لغة من يُلقي أن من تقوم ومنه قوله: فانْظُرْ كَيْفَ كانَ عاقِبَةُ مَكْرِهِمْ أنّا دَمّرْناهُمْ وإنا دمرناهم, على ما بيّنا.

26347ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: يا أيّها الّذِينَ آمَنُوا هَلْ أدُلّكُمْ على تِجارَةٍ تُنْجِيكُمْ... الآية, فلولا أن الله بينها, ودلّ عليها المؤمنين, لتلهف عليها رجال أن يكونوا يعلمونها, حتى يضنوا بها وقد دلكم الله عليها, وأعلمكم إياها فقال: تُوءْمِنُونَ باللّهِ وَرَسُولِهِ وتُجاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللّهِ بأمْوَالِكُمْ وأنْفُسِكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ.

26348ـ حدثنا ابن عبد الأعلى, قال: حدثنا ابن ثور, عن معمر, قال: تلا قتادة: هَلْ أدُلّكُمْ على تِجارَةٍ تُنْجِيكُمْ مِنْ عَذَابٍ أليم تُوءْمِنُونَ باللّهِ وَرَسُولِهِ وتُجاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللّهِ قال: الحمد لله الذي بينها.

الآية : 12

القول فـي تأويـل قوله تعالى: {يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأنْهَارُ وَمَسَاكِنَ طَيّبَةً فِي جَنّاتِ عَدْنٍ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ }.

يقول تعالى ذكره: يستر عليكم ربكم ذنوبكم إذا أنتم فعلتم ذلك فيصفح عنكم ويعفو وَيُدْخِلْكُمْ جَنّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِها الأنهارُ يقول: ويُدخلكم بساتين تجري من تحت أشجارها الأنهار وَمَساكِنَ طَيّبَةً يقول: ويُدخلكم أيضا مساكن طيبة فِي جَنّاتِ عَدْنٍ يعني في بساتين إقامة, لا ظعن عنها.

وقوله ذلكَ الفَوْزُ العَظِيمُ يقول: ذلك النجاء العظيم من نكال الآخرة وأهوالها.

الآية : 13-14

القول فـي تأويـل قوله تعالى: {وَأُخْرَىَ تُحِبّونَهَا نَصْرٌ مّن اللّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ وَبَشّرِ الْمُؤْمِنِينَ * يَأيّهَا الّذِينَ آمَنُواْ كُونُوَاْ أنصَارَ اللّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيّينَ مَنْ أنْصَارِيَ إِلَى اللّهِ قَالَ الْحَوَارِيّونَ نَحْنُ أنصَارُ اللّهِ فَآمَنَت طّآئِفَةٌ مّن بَنِيَ إِسْرَائِيلَ وَكَفَرَت طّآئِفَةٌ فَأيّدْنَا الّذِينَ آمَنُواْ عَلَىَ عَدُوّهِمْ فَأصْبَحُواْ ظَاهِرِينَ }.

اختلف أهل العربية فيما نعتت به قوله وأُخْرَى فقال بعض نحويّ البصرة: معنى ذلك: وتجارة أخرى, فعلى هذا القول يجب أن يكون أخرى في موضع خفض عطفا به على قوله: هَلْ أدُلّكُمْ على تِجَارَةٍ تُنْجِيكُمْ مِنْ عَذَابٍ أليم وقد يحتمل أن يكون رفعا على الابتداء. وكان بعض نحويي الكوفة يقول: هي في موضع رفع. أي ولكم أخرى في العاجل مع ثواب الآخرة, ثم قال: نصر من الله مفسرا للأخرى.

والصواب من القول في ذلك عندي القول الثاني, وهو أنه معنّي به: ولكم أخرى تحبونها, لأن قوله نَصْرٌ مِنَ اللَّهِ وفَتْحٌ قَرِيبٌ مبين عن أن قوله وأُخرى في موضع رفع, ولو كان جاء ذلك خفضا حسن أن يجعل قوله وأُخْرَى عطفا على قوله تِجَارَةٍ, فيكون تأويل الكلام حينئذ لو قرىء ذلك خفضا, وعلى خلة أخرى تحبونها, فمعنى الكلام إذا كان الأمر كما وصفت: هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم, تؤمنون بالله ورسوله, يغفر لكم ذنوبكم, ويدخلكم جنات تجري من تحتها الأنهار, ولكم خلة أخرى سوى ذلك في الدنيا تحبونها: نصر من الله لكم على أعدائكم, وفتح قريب يعجله لكم.

وَبَشِّرِ المُوءْمِنِينَ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: وبشر يا محمد المؤمنين بنصر الله إياهم على عدّوهم, وفتح عاجل لهم.

وقوله: يا أيّها الّذِينَ آمَنُوا كُونُوا أَنْصَارَ اللّهِ اختلفت القرّاء في قراءة ذلك, فقرأته عامة قرّاء المدينة والبصرة: «كُونُوا أَنْصَارا للّهِ» بتنوين الأنصار. وقرأ ذلك عامة قرّاء الكوفة بإضافة الأنصار إلى الله.

والصواب من القول في ذلك عندي أنهما قراءتان معروفتان صحيحتا المعنى, فبأيتهما قرأ القارىء فمصيب, ومعنى الكلام: يا أيها الذين صدّقوا الله ورسوله, كونوا أنصار الله, كما قال عيسى ابن مريم للحواريين: مَنْ أَنْصَارِي إلى اللّهِ, يعني من أنصاري منكم إلى نصرة الله لي. وكان قتادة يقول في ذلك ما:

26349ـ حدثني به بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة يا أيّها الّذِينَ آمَنُوا كُونُوا أَنْصَارَ اللّهِ كما قال عيسَى ابنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيّينَ مَنْ أَنْصَارِي إلى اللّهِ قال الْحَوَارِيّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللّهِ قال: قد كانت لله أنصار من هذه الأمة تجاهد على كتابه وحقه. وذُكر لنا أنه بايعه ليلة العقبة اثنان وسبعون رجلاً من الأنصار, ذُكر لنا أن بعضهم قال: هل تدرون علام تبايعون هذا الرجل؟ إنكم تبايعون على محاربة العرب كلها أو يُسلمول. وذُكر لنا أن رجلاً قال: يا نبيّ الله اشترط لربك ولنفسك ما شئت, قال: أَشْتَرِطُ لربيّ أَنْ تَعبدوه, ولا تُشْرِكُوا به شيئا, وأَشْتَرِطُ لنفسي أن تمنَعوني مما مَنَعْتُم منه أنفسَكُم وأبناءَكم» قالوا: فإذا فعلنا ذلك فما لنا يا نبيّ الله؟ قال: «لكم النصر في الدنيا, والجنة في الآخرة», ففعلوا, ففعل الله.

26350ـ حدثنا ابن عبد الأعلى, قال: حدثنا ابن ثور, عن معمر, قال: تلا قتادة كُونُوا أَنْصَارَ اللّهِ كمَا قالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيّينَ مَنْ أَنْصَارِي إلى اللّهِ قال: قد كان ذلك بحمد الله, جاءه سبعون رجلاً, فبايعوه عند العقبة, فنصروه وآوَوْه حتى أظهر الله دينه قالوا: ولم يسمّ حيّ من السماء اسما لم يكن لهم قبل ذلك غيرهم.

26351ـ حدثنا ابن عبد الأعلى, قال: حدثنا ابن ثور, عن معمر, عن قتادة: إن الحواريين كلهم من قريش: أبو بكر, وعمر, وعليّ, وحمزة, وجعفر, وأبو عُبيدة, وعثمان بن مظعون, وعبد الرحمن بن عوف, وسعد بن أبي وقاص, وعثمان, وطلحة بن عبيد الله, والزبير بن العوّام.

26352ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء, جميعا عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, في قول الله: مَنْ أَنْصَارِي إلى اللّهِ قال: من يتبعني إلى الله.

26353ـ حدثنا ابن حُمَيد, قال: حدثنا مهران, عن سفيان, عن ميسرة, عن المنهال بن عمرو, عن سعيد بن جُبَير, قال: سئل ابن عباس عن الحواريين, قال: سُمّوا لبياض ثيابهم كانوا صيادي السمك.
26354ـ حُدثت عن الحسين, قال: سمعت أبا معاذ يقول: حدثنا عبيد, قال: سمعت الضحاك يقول في قوله: الحواريون: هم الغسالون بالنبطية يقال للغسال: حوارى, وقد تقدم بياننا في معنى الحوارى بشواهده واختلاف المختلفين فيه قبل فيما مضى, فأغنى عن إعادته.
وقوله: قالَ الْحَوَارِيّونَ نَحْنُ أنْصَارُ اللّهِ يقول: قالوا: نحن أنصار الله على ما بعث به أنبياءه من الحقّ. وقوله: فآمَنَتْ طائِفَةٌ مِنْ بَنِي إسْرَائِيلَ وكَفَرَتْ طائِفَةٌ يقول جلّ ثناؤه: فآمنت طائفة من بني إسرائيل بعيسى, وكفرت طائفة منهم به. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:
26355ـ حدثني أبو السائب, قال: حدثنا أبو معاوية, عن الأعمش, عن المنهال, عن سعيد بن جُبير, عن ا بن عباس, قال: لما أراد الله أن يرفع عيسى إلى السماء خرج إلى أصحابه وهم في بيت اثنا عشر رجلاً من عين في البيت ورأسه يقطر ماء قال: فقال: إن منكم من سيكفر بي اثنتي عشرة مرّة بعد أن آمن بي قال: ثم قال: أيكم يلقى عليه شبهي فيقتل مكاني, ويكون معي في درجتي؟ قال: فقام شاب من أحدثهم سنا, قال: فقال أنا, فقال له: اجلس ثم أعاد عليهم, فقام الشاب, فقال أنا قال: نعم أنت ذاك فألقى عليه شبه عيسى, ورفع عيسى من رَوْزَنة في البيت إلى السماء قال: وجاء الطلب من اليهود, وأخذوا شبهه. فقتلوه وصلبوه, وكفر به بعضهم اثنتي عشرة مرّة بعد أن آمن به, فتفرّقوا ثلاث فرق, فقالت فرقة: كان الله فينا ما شاء, ثم صعد إلى السماء, وهؤلاء اليعقوبية. وقالت فرقة: كان فينا ابن الله ما شاء الله, ثم رفعه إليه, وهؤلاء النسطورية. وقالت فرقة. كان فينا عبد الله ورسوله ما شاء الله, ثم رفعه الله إليه, وهؤلاء المسلمون, فتظاهرت الطائفتان الكافرتان على المسلمة, فقتلوها, فلم يزل الإسلام طامسا حتى بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم, فآمنت طائفة من بني إسرائيل, وكفرت طائفة, يعني الطائفة التي كفرت من بني إسرائيل في زمن عيسى, والطائفة التي آمنت في زمن عيسى, فأيدنا الذين آمنوا على عدوّهم, فأصبحوا ظاهرين في إظهار محمد على دينهم دين الكفار, فأصبحوا ظاهرين.
وقوله: فأيّدْنا الّذِينَ آمَنُوا على عَدُوّهِمْ يقول: فقوّينا الذين آمنوا من الطائفتين من بني إسرائيل على عدوّهم, الذي كفروا منهم بمحمد صلى الله عليه وسلم لتصديقه إياهم, أن عيسى عبد الله ورسوله, وتكذيبه من قال هو إله, ومن قال: هو ابن الله تعالى ذكره, فأصبحوا ظاهرين, فأصبحت الطائفة المؤمنون ظاهرين على عدوّهم الكافرين منهم. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:
26356ـ حدثني محمد بن عبد الله الهلالي, قال: حدثنا أبو عاصم, عن عيسى, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد فأيّدْنا الّذِينَ آمَنُوا على عَدُوّهِمْ قال: قوّينا.

26357ـ حدثنا ابن حُمَيد, قال: حدثنا جرير, عن مغيرة, عن سماك, عن إبراهيم فآمَنَتْ طائِفَةٌ مِنْ بَنِي إسْرَائِيلَ وكَفَرَتْ طائِفَةٌ قال: لما بعث الله محمدا, ونزل تصديق من آمن بعيسى, أصبحت حجة من آمن به ظاهرة.
26358ـ قال: ثنا جرير, عن مغيرة, عن سماك, عن إبراهيم, في قوله فأيّدْنا الّذِينَ آمَنُوا على عَدُوّهِمْ فأصْبَحُوا ظاهِرِينَ قال: أيدوا بمحمد صلى الله عليه وسلم, فصدّقهم, وأخبر بحجتهم.
حدثني يعقوب بن إبراهيم, قال: حدثنا هشيم, عن مغيرة, عن إبراهيم, في قوله: فأصْبَحُوا ظاهِرِينَ قال: أصبحت حجة من آمن بعيسى ظاهرة بتصديق محمد صلى الله عليه وسلم كلمة الله وروحه.
26359ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث, قال: حدثنا الحسن قال: حدثنا ورقاء, جميعا عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, في قوله: فأصْبَحُوا ظاهِرِينَ من آمن مع عيسى صلى الله عليه وسلم.

سورة الجمعة

سورة الجمعة مدنية
وآياتها إحدى عشرة
بسم الله الرحمَن الرحيـم

الآية : 1

القول في تأويل قوله تعالى: {يُسَبّحُ لِلّهِ مَا فِي السّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأرْضِ الْمَلِكِ الْقُدّوسِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ }.
يقول تعالى ذكره: يسبح لله كلّ ما في السموات السبع, وكلّ ما في الأرضين من خلقه, ويعظمه طوعا وكرها المَلِكِ القُدّوسِ الذي له ملك الدنيا والآخرة وسلطانهما, النافذ أمره في السموات والأرض وما فيهما, القدّوس: وهو الطاهر من كلّ ما يضيف إليه المشركون به, ويصفونه به مما ليس من صفاته المبارك العَزِيزِ يعني الشديد في انتقامه من أعدائه الْحَكِيمِ في تدبيره خلقه, وتصريفه إيّاهم فيما هو أعلم به من مصالحهم.

الآية : 2

القول في تأويل قوله تعالى: {هُوَ الّذِي بَعَثَ فِي الأُمّيّينَ رَسُولاً مّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكّيهِمْ وَيُعَلّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِي ضَلاَلٍ مّبِينٍ }.
يقول تعالى ذكره: الله الذي بعث في الأميين رسولاً منهم, فقوله هو كناية من اسم الله, والأميون: هم العرب. وقد بيّنا فيما مضى المعنى الذي من أجله قيل للأميّ أميّ. وبنحو الذي قلنا في الأميين في هذا الموضع قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:
26360ـ حدثنا ابن بشار, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا سفيان, عن ليث, عن مجاهد, قال: هُوَ الّذِي بَعَثَ فِي الأُمّيّينَ رَسُولاً مِنْهُمْ قال: العرب.

26361ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: سمعت سفيان الثوريّ يحدّث لا أعلمه إلا عن مجاهد أنه قال: هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الأُمّيّينَ رَسُولاً مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آياتِهِ: العرب.

26362ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة هُوَ الّذِي بَعَثَ فِي الأُمّيّينَ رَسُولاً مِنْهُمْ قال كان هذا الحيّ من العرب أمة أمّيّة, ليس فيها كتاب يقرؤونه, فبعث الله نبيه محمد صلى الله عليه وسلم رحمة وهُدى يهديهم به.

حدثنا ابن عبد الأعلى, قال: حدثنا ابن ثور, عن معمر, عن قتادة هُوَ الّذِي بَعَثَ فِي الأُمّيّينَ رَسُولاً مِنْهُمْ قال: كانت هذه الأمة امّيّة لا يقرؤون كتابا.

26363ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله: هُوَ الّذِي بَعَثَ فِي الأُمّيّينَ رَسُولاً مِنْهُمْ قال: إنما سميت أمة محمد صلى الله عليه وسلم الأميين, لأنه لم ينزّل عليهم كتابا.

وقال جلّ ثناؤه رَسُولاً مِنْهُمْ يعني من الأميين وإنما قال منهم, لأن محمدا صلى الله عليه وسلم كان أمّيّا, وظهر من العرب.

وقوله: يَتْلُو عَلَيْهِمْ آياتِهِ يقول جلّ ثناؤه: يقرأ على هؤلاء الأميين آيات الله التي أنزلها عليه وَيُزَكّيهِمْ يقول: ويطهرهم من دنس الكفر.

وقوله: وَيُعَلّمُهُمُ الكِتابَ يقول: ويعلمهم كتاب الله, وما فيه من أمر الله ونهيه, وشرائع دينه وَالْحِكْمَةَ يعني بالحكمة: السنن. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

26364ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة وَيُعَلّمُهُمُ الكِتابَ وَالْحِكْمَةَ أي السنة.

26365ـ حدثنا يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, قال: وَيُزَكّيهِمْ وَيُعَلّمُهُمُ الكِتابَ وَالْحِكْمَةَ أيضا كما علم هؤلاء يزكيهم بالكتاب والأعمال الصالحة, ويعلمهم الكتاب والحكمة كما صنع بالأوّلين, وقرأ قول الله عزّ وجلّ: والسّابِقُونَ الأوّلُونَ مِنَ المُهاجِرِينَ والأنْصَارِ وَالّذِينَ اتّبَعُوهُمْ بإحْسانٍ ممن بقي من أهل الإسلام إلى أن تقوم الساعة,قال: وقد جعل الله فيهم سابقين, وقرأ قول الله عزّ وجلّ: والسّابِقُونَ أولَئِكَ المُقَرّبُونَ, وقال: ثُلّةٌ مِنَ الأوّلِين وَقَلِيلٌ مِنَ الآخِرِينَ فثلة من الأوّلين سابقون, وقليل السابقون من الآخرين, وقرأ: وأصحَابُ اليَمِينِ ما أصحَابُ اليَمِينِ... حتى بلغ ثُلّةٌ مِنَ الأوّلِينَ, وَثُلّةٌ مِنَ الآخِرِينَ أيضا, قال: والسابقون من الأوّلين أكثروهم من الآخرين قليل, وقرأ وَالّذِينَ جاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبّنا اغْفِرْ لَنا ولإخْوَانِنا الّذِينَ سَبَقُونا بالإيمَانِ... الآية, قال: هؤلاء من أهل الإسلام إلى أن تقوم الساعة.

وقوله: وَإنْ كانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلالٍ مُبِينٍ يقول تعالى ذكره: وقد كان هؤلاء الأميون من قبل أن يبعث الله فيهم رسولاً منهم في جَوْر عن قصد السبيل, وأخذ على غير هدى مُبِين يقول: يبين لمن تأمله أنه ضلال وجَوْر عن الحقّ وطريق الرشد.

الآية : 3-4

القول في تأويل قوله تعالى: {وَآخَرِينَ مِنْهُمْ لَمّا يَلْحَقُواْ بِهِمْ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ * ذَلِكَ فَضْلُ اللّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ وَاللّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ }.

يقول تعالى ذكره: وهو الذي بعث في الأميين رسولا منهم, وفي آخرين منهم لما يلحقوا بهم فآخرون في موضع خفض عطفا على الأميين.

وقد اختلف في الذين عُنوا بقوله: وآخَرِينَ مِنْهُمْ, فقال بعضهم: عُنِي بذلك العجم. ذكر من قال ذلك:

26366ـ حدثني يعقوب بن إبراهيم, قال: ثني ابن علية, عن ليث, عن مجاهد, في قوله: وآخَرِينَ مِنْهُمْ لَمّا يَلْحَقُوا بِهِمْ قال: هم الأعاجم.

حدثنا يحيى بن طلحة اليربوعي, قال: حدثنا فضيل بن طلحة, عن ليث, عن مجاهد, في قوله: وآخَرِينَ مِنْهُمْ لَمّا يَلْحَقُوا بِهِمْ قال: هم الأعاجم.

حدثنا أبو السائب, قال: حدثنا ابن إدريس, عن ليث, عن مجاهد وآخَرِينَ مِنْهُمْ لَمّا يَلْحَقُوا بِهِمْ قال: الأعاجم.

حدثنا ابن بشار, قال: حدثنا عاصم, قال: حدثنا سفيان, عن ليث, عن مجاهد وآخَرِينَ مِنْهُمْ لَمّا يَلْحَقُوا بِهِمْ قال: الأعاجم.

حدثني يونس قال: أخبرنا ابن وهب, قال: سمعت سفيان الثوريّ لا أعلمه إلا عن مجاهد: وآخَرِينَ مِنْهُمْ لَمّا يَلْحَقُوا بِهِمْ قال: العجم.

26367ـ حدثني محمد بن إسحاق, قال: حدثنا يحيى بن معين, قال: حدثنا هشام بن يوسف, عن عبد الرحمن بن عمر بن عبد الرحمن بن العاص, عن أبيه, عن جدّه, عن ابن عمر, أنه قال: له: أما إن سورة الجمعة أنزلت فينا وفيكم في قتلكم الكذّاب, ثم قرأ: يُسَبّحُ لِلّهِ ما في السّمَوَاتِ وَما في الأرْض. حتى بلغ وآخَرِينَ مِنْهُمْ لَمّا يَلْحَقُوا بِهِمْ قال: فأنتم هم.

حدثنا ابن حُمَيد, قال: حدثنا مهران, عن سفيان, عن ليث, عن مجاهد وآخَرِينَ مِنْهُمْ لَمّا يَلْحَقُوا بِهِمْ قال: الأعاجم.

26368ـ حدثني محمد بن معمر, قال: حدثنا أبو عامر, قال: حدثنا عبد العزيز وحدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب قال: أخبرني سليمان بن بلال, جميعا عن ثور بن زيد, عن أبي الغيث, عن أبي هريرة, قال: كنا جلوسا عند النبيّ صلى الله عليه وسلم, فنزلت عليه سورة الجمعة, فلما قرأ: وآخَرِينَ مِنْهُمْ لَمّا يَلْحَقُوا بِهِمْ قال رجل: من هؤلاء يا رسول الله؟ قال: فلم يراجعه النبيّ صلى الله عليه وسلم حتى سأله مرّة أو مرّتين أو ثلاثا, قال: وفينا سلمان الفارسيّ, فوضع النبيّ صلى الله عليه وسلم يده على سلمان فقال: «لَوْ كانَ الإيمَانُ عنْدَ الثّرَيّا لَنالَهُ رِجالٌ مِنْ هَولاءِ».

حدثني أحمد بن عبد الرحمن, قال: حدثنا عمي, قال: حدثنا سليمان بن بلال المدنّي, عن ثور بن زيد, عن سالم أبي الغيث, عن أبي هريرة, قال: «كنا جلوسا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم, فذكر نحوه.

وقال آخرون: إنما عُني بذلك جميع من دخل في الإسلام من بعد النبيّ صلى الله عليه وسلم كائنا من كان إلى يوم القيامة. ذكر من قال ذلك:

26369ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء, جميعا عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد في قول الله: وآخَرِينَ مِنْهُمْ لَمّا يَلْحَقُوا بِهِمْ قال: من ردف الإسلام من الناس كلهم.

26370ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قول الله عزّ وجلّ: وآخَرِينَ مِنْهُمْ لَمّا يَلْحَقُوا بِهِمْ قال: هؤلاء كلّ من كان بعد النبيّ صلى الله عليه وسلم إلى يوم القيامة, كلّ من دخل في الإسلام من العرب والعجم.

وأولى القولين في ذلك بالصواب عندي قول من قال: عُني بذلك كلّ لاحق لحق بالذين كانوا صحبوا النبيّ صلى الله عليه وسلم في إسلامهم من أيّ

الأجناس لأن الله عزّ وجلّ عمّ بقوله: وآخَرِينَ مِنْهُمْ لَمّا يَلْحَقُوا بِهِمْ كلّ لاحق بهم من آخرين, ولم يخصص منهم نوعا دون نوع, فكلّ لاحق بهم فهو من الآخرين الذي لم يكونوا في عداد الأوّلين الذين كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتلو عليهم آيات الله وقوله: لَمّا يَلْحَقُوا بِهِمْ يقول: لم يجيئوا بعد وسيجيئون. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

26371ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد في قوله: لَمّا يَلْحَقُوا بِهِمْ يقول: لم يأتوا بعد.

وقوله: وَهُوَ العَزِيزُ الْحكِيم يقول: والله العزيز في انتقامه ممن كفر به منهم, الحكيم في تدبيره خلقه.

وقوله: ذلكَ فَضْلُ اللّهِ يُوءْتِيهِ مِن يَشاءُ يقول تعالى ذكره: هذا الذي فعل تعالى ذكره من بعثته في الأميين من العرب, وفي آخرين رسولاً منهم يتلو عليهم آياته, ويفعل سائر ما وصف, فضل الله, تفضل به على هؤلاء دون غيرهم يُؤتيهِ مَنْ يَشاءُ يقول: يؤتي فضله ذلك من يشاء من خلقه, لا يستحقّ الذمّ ممن حرمه الله إياه, لأنه لم يمنعه حقا كان له قبله ولا ظلمه في صرفه عنه إلى غيره, ولكنه علم مَنْ هُو له أهل, فأودعه إياه, وجلعه عنده. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

26372ـ حدثنا ابن سنان القزاز, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى, عن شبيب, عن عكرمة, عن ابن عباس في: ذلكَ فَضْلُ اللّهِ يُوءْتِيهِ مَنْ يَشاءُ قال: الفضل: الدين والله ذُو الفَضْلِ العَظِيمِ يقول: الله ذو الفضل على عباده, المحسن منهم والمسيىء, والذين بعث فيهم الرسول منهم وغيرهم, العظيم الذي يقلّ فضل كلّ ذي فضل عنده.

الآية : 5

القول في تأويل قوله تعالى: {مَثَلُ الّذِينَ حُمّلُواْ التّوْرَاةَ ثُمّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَاراً بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الّذِينَ كَذّبُواْ بِآيَاتِ اللّهِ وَاللّهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الظّالِمِينَ }.

يقول تعالى ذكره: مثل الذين أوتوا التوراة من اليهود والنصارى, فحملوا العمل بها ثُمّ لَمْ يَحْمِلُوها يقول: ثم لم يعملوا بما فيها, وكذّبوا بمحمد صلى الله عليه وسلم, وقد أمروا بالإيمان به فيها واتباعه والتصديق به كَمَثَلِ الْحِمارِ يحمِلُ أسْفارا يقول: كمثل الحمار يحمل على ظهره كتبا من كتب العلم, لا ينتفع بها, ولا يعقل ما فيها, فكلك الذين أوتوا التوراة التي فيها بيان أمر محمد صلى الله عليه وسلم مثلهم إذا لم ينتفعوا بما فيها, كمثل الحمار الذي يحمل أسفارا فيها علم, فهو لا يعقلها ولا ينتفع بها. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

26373ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء, جميعا عن ابن أبي نجيح, في قوله: يَحْمِلُ أسْفارا قال: يحمل كتبا لا يدري ما فيها, ولايعقلها.

26374ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة مَثَلُ الّذِينَ حُمّلُوا التّوْراة ثُمّ لَمْ يَحْمِلُوها كَمَثَلِ الْحِمارِ يحْمِلُ أسْفارا قال: يحمل كتابا لا يدري ماذا عليه, ولا ماذا فيه.

حدثنا ابن عبد الأعلى, قال: حدثنا ابن ثور, عن معمر, عن قتادة, في قوله كَمَثَلِ الْحِمارِ يحْمِلُ أسْفارا قال: كمثل الحمار الذي يحمل كتبا, لا يدري ما على ظهره.

26375ـ حُدثت عن الحسين, قال: سمعت أبا معاذ يقول: حدثنا عبيد, قال: سمعت الضحاك يقول في قوله: كَمَثَلِ الْحِمارِ يحْمِلُ أسْفارا كتبا, والكتاب بالنبطية يسمى سِفْرا ضرب الله هذا مثلاً للذين أعطوا التوراة ثم كفروا.

26376ـ حدثني محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس, قوله: مَثَلُ الَّذِينَ حُمّلُوا التّوْراةَ ثُمّ لَمْ يَحْمِلُوها كَمَثَلِ الْحِمارِ يحْمِلُ أسْفارا والأسفار: الكتب, فجعل الله مثل الذي يقرأ الكتاب ولا يتبع ما فيه, كمثل الحمار يحمل كتاب الله الثقيل, لا يدري ما فيه, ثم قال: بِئْسَ مَثَلُ القَوْمِ الّذِينَ كَذّبُوا بآياتِ اللّهِ... الآية.

26377ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قول الله: كَمَثَلِ الْحِمارِ يحْمِلُ أسْفارا قال: الأسفارُ: التوراة التي يحملها الحمار على ظهره, كما تحمل المصاحف على الدواب, كمثل الرجل يسافر فيحمل مصحفه, قال: فلا ينتفع الحمارُ بها حين يحملها على ظهره, كذلك لم ينتفع هؤلاء بها حين لم يعلموا بها وقد أوتوها, كما لم ينتفع بها هذا وهي على ظهره.

26378ـ حدثني عليّ, قال: حدثنا أبو صالح, قال: ثني معاوية, عن عليّ عن ابن عباس في قوله كَمَثَلِ الْحِمارِ يحْمِلُ أسْفارا يقول: كتبا. والأسفار: جمع سفر, وهي الكتاب العظام.

وقوله: بِئْسَ مثلُ القَوْمِ الّذِينَ كَذّبُوا بآياتِ اللّهِ يقول: بئس هذا المثل, مثل القوم الذين كذّبوا بآيات الله, يعني بأدلته وحججه واللّهُ لا يَهْدِي القَوْمَ الظّالِمِينَ يقول تعالى ذكره: والله لا يوفّق القوم الذين ظلموا أنفسهم, فكفروا بآيات ربهم.

الآية : 6

القول في تأويل قوله تعالى: {قُلْ يَأَيّهَا الّذِينَ هَادُوَاْ إِن زَعمْتُمْ أَنّكُمْ أَوْلِيَآءُ لِلّهِ مِن دُونِ النّاسِ فَتَمَنّوُاْ الْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ }.

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: قل يا محمد لليهود: يا أيّها الّذِينَ هادُوا إنْ زَعَمْتُمْ أنّكُمْ أوْلِياءُ لِلّهِ مِنْ دُونِ النّاسِ سواكم فَتَمَنّوُا المَوْتَ إنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ في قيلكم, إنكم أولياء لله من دون الناس, فإن الله لا يعذّب أولياءه, بل يكرمهم وينعمهم, وإن كنتم محقين فيما تقولون فتمنوا الموت لتستريحوا من كرب الدنيا وهمومها وغمومها, وتصيروا إلى روح الجنان ونعيمها بالموت.

26379ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله: قُلْ يا أيّها الّذِينَ هادُوا قل يا أيها الذين تابوا: لليهود, قال موسى: إنّا هُدْنا إلَيْكَ: إنا تبنا إليك.

الآية : 7

القول في تأويل قوله تعالى: {وَلاَ يَتَمَنّوْنَهُ أَبَداً بِمَا قَدّمَتْ أَيْديهِمْ وَاللّهُ عَلِيمٌ بِالظّالِمِينَ }.

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: وَلا يَتَمَنّوْنَهُ أبَدا يقول: ولا يتمنى اليهود الموت أبدا بِمَا قَدّمَتْ أيْدِيهِمْ يعني: بما اكتسبوا في هذه الدنيا من الآثام, واجترحوا من السيئات وَاللّهُ عَلِيمٌ بالظّالِمِينَ يقول: والله ذو علم بمن ظلم من خلقه نفسه, فأوبقها بكفره بالله.

الآية : 8

القول في تأويل قوله تعالى: {قُلْ إِنّ الْمَوْتَ الّذِي تَفِرّونَ مِنْهُ فَإِنّهُ مُلاَقِيكُمْ ثُمّ تُرَدّونَ إِلَىَ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشّهَادَةِ فَيُنَبّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ }.

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: قُلْ يا محمد لليهود إنّ المَوْتَ الّذِي تَفِرّونَ مِنْهُ فتكرهونه, وتأبون أن تتمنوه فإنّهُ مُلاقِيكُمْ ونازل بكم ثُمّ تَرُدّونَ إلى عالمِ الغَيْبِ والشّهادَةِ ثم يردّكم ربكم من بعد مماتكم إلى عالم الغيب والشهادة, عالم غيب السموات والأرض والشهادة: يعني وما شهد فظهر لرأي العين, ولم يغب عن أبصار الناظرين.

26380ـ حدثنا ابن عبد الأعلى, قال: حدثنا ابن ثور, عن معمر, قال: تلا قتادة: ثُمّ تُرَدّونَ إلى عالمِ الغَيْبِ والشّهادَةِ فقال: إن الله أذلّ ابن آدم بالموت لا أعلمه إلا رفعه.

فَيُنَبّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ يقول: فيخبركم حينئذ ما كنتم في الدنيا تعملون من الأعمال, سيئها وحسنها, لأنه محيط بجميعها, ثم يجازيكم على ذلك المحسن بإحسانه, والمسيء بما هو أهله.

الآية : 9

القول في تأويل قوله تعالى: {يَأَيّهَا الّذِينَ آمَنُوَاْ إِذَا نُودِيَ لِلصّلاَةِ مِن يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْاْ إِلَىَ ذِكْرِ اللّهِ وَذَرُواْ الْبَيْعَ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ }.

يقول تعالى ذكره للمؤمنين به من عباده: يا أيها الذين صدّقوا الله ورسوله إذَا نُودِيَ للصّلاةِ مِنْ يَوْمِ الجُمْعَةِ وذلك هو النداء, ينادى بالدعاء إلى صلاة الجمعة عند قعود الإمام على المنبر للخطبة ومعنى الكلام: إذا نودي للصلاة من يوم الجمعة فاسْعَوْا إلى ذِكْرِ اللّهِ يقول: فامضوا إلى ذكر الله, واعملوا له وأصل السعي في هذا الموضع العمل, وقد ذكرنا الشواهد على ذلك فيما مضى قبل. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

26381ـ حدثنا الحسن بن عرفة, قال: حدثنا إسماعيل بن عياش, عن شُرَحْبيل بن مسلم الخَوْلانيّ, في قول الله: فاسْعَوْا إلى ذِكْرِ اللّهُ قال: فاسعوا في العمل, وليس السعي في المشي.

26382ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: يا أيّها الّذِينَ آمَنُوا إذَا نُودِيَ للَصّلاةِ مِنْ يَوْم الجُمُعَةِ فاسْعَوْا إلى ذِكْرِ الله والسعي يا بن آدم أن تسعى بقلبك وعملك, وهو المضي إليها.

26383ـ حدثنا ابن المثنى, قال: حدثنا ابن أبي عدّي, عن شعبة, قال: أخبرني مغيرة, عن إبراهيم أنه قيل لعمر رضي الله عنه: إن أُبيّا يقرؤها: فاسْعَوْا قال: أما إنه أقرؤنا وأعلمنا بالمنسوخ وإنما هي «فامضوا».

26384ـ حدثنا عبد الحميد بن بيان السكري, قال: أخبرنا سفيان, عن الزهريّ, عن سالم, عن أبيه, قال: ما سمعت عمر يقرؤها قطّ إلاّ فامضوا.

حدثنا أبو كُرَيب, قال: حدثنا ابن يمان, قال: حدثنا حنظلة, عن سالم بن عبد الله, قال: كان عمر رضي الله عنه يقرؤها: «فامْضُوا إلى ذِكْرِ اللّهِ».

حدثنا ابن حُمَيد, قال: حدثنا مهران, عن سفيان, عن حنظلة, عن سالم بن عبد الله أن عمر بن الخطاب قرأها: فامضوا.

حدثني يونس بن عبد الأعلى, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: حدثنا حنظلة بن أبي سفيان الجمحيّ, أنه سمع سالم بن عبد الله يحدّث عن أبيه, أنه سمع عمر بن الخطاب يقرأ: «إذَا نُودِيَ للصّلاةِ مِنْ يَوْمِ الجُمْعَةِ فامْضُوا إلى ذِكْرِ اللّهِ».

قال: أخبرنا ابن وهب, قال: أخبرني يونس, عن ابن شهاب, قال: أخبرني سالم بن عبد الله بن عمر, أن عبد الله قال: لقد توفى الله عمر رضي الله عنه, وما يقرأ هذه الآية التي ذكر الله فيها الجمعة: يا أيّها الّذِينَ آمَنُوا إذَا نُودِيَ للصّلاةِ مِنْ يَوْمِ الجُمْعَةِ إلا «فامضوا» إلى ذكر الله.

26385ـ حدثني أبو السائب, قال: حدثنا معاوية, عن الأعمش, عن إبراهيم, قال: كان عبد الله يقرؤها: «فامْضُوا إلى ذِكْرِ اللّهِ» ويقول: لو قرأتها فاسعوا, لسعيت حتى يسقط ردائي.

حدثنا ابن المثنى, قال: حدثنا ابن عدّي, عن شعبة, عن سليمان, عن إبراهيم, قال: قال عبد الله: لو كان السعي لسعيت حتى يسقط ردائي, قال: ولكنها: «فامْضُوا إلى ذِكْرِ اللّهِ» قال: هكذا كان يقرؤها.

26386ـ حدثني عليّ بن الحسين الأزدي, قال: حدثنا يحيى بن يمان الأزدي, عن أبي جعفر الرازي, عن الربيع عن أبي العالية أنه كان يقرؤها: «فامْضُوا إلى ذِكْرِ اللّهِ».

حدثنا أبو كُرَيب, قال: حدثنا ابن يمان, قال: حدثنا أبو جعفر, عن الربيع, عن أبي العالية, أنه قرأها: «فامْضُوا إلى ذِكْرِ اللّهِ».

26387ـ حدثنا أبو كُرَيب, قال: حدثنا ابن يمان, عن سفيان, عن ابن جُرَيج, عن عطاء, قال: هي للأحرار.

26388ـ حدثنا أبو كُرَيب, قال: حدثنا ابن يمان, عن سفيان, عن منصور عن رجل, عن مسروق, قال: عند الوقت.

26389ـ حدثنا ابن حُمَيد, قال: حدثنا مهران, عن سفيان, عن منصور, عن رجل, عن مسروق إذَا نُودِيَ للصّلاةِ قال: عند الوقت.

26390ـ حدثنا أبو كُرَيب, قال: حدثنا ابن يمان, عن سفيان, عن جابر, عن مجاهد, قال: هو عند العزمة عند الخطبة, عند الذكر.

حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء, جميعا عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, في قوله إذَا نُودِيَ للصّلاةِ مِنْ يَوْمِ الجُمُعَةِ قال: النداء عند الذكر عزيمة.

حدثنا ابن حُمَيد, قال: حدثنا مهران, عن سفيان, عن جابر, عن مجاهد إذَا نُودِيَ للصّلاةِ مِنْ يَوْمِ الجُمُعَةِ قال: العزمة عند الذكر عند الخطبة.

قال: ثنا مهران, عن سفيان عن المُغيرة والأعمش, عن إبراهيم, عن ابن مسعود, قال: لو قرأتها فاسْعَوْا لسعيت حتى يسقط ردائي, وكان يقرؤها: «فامْضُوا إلى ذِكْرِ اللّهِ».

قال: ثنا مهران, عن سفيان, عن عطاء بن السائب, عن الشعبيّ, عن ابن مسعود قال: قرأها فامْضُوا.

26391ـ حدثنا ابن حُمَيد, قال: حدثنا مهران, عن سفيان, عن أبي حيان, عن عكرمة فاسْعَوْا إلى ذِكْرِ اللّهِ قال: السعي: العمل.

26392ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد: وسألته عن قول الله: إذَا نُودِيَ للصّلاةِ مِنْ يَوْمِ الجُمُعَةِ فاسْعَوْا إلى ذِكْرِ اللّهِ قال: إذا سمعتم الداعي الأوّل, فأجيبوا إلى ذلك وأسرعوا ولا تبطئوا قال: ولم يكن في زمان النبيّ صلى الله عليه وسلم أذان إلا أذانان: أذان حين يجلس على المنبر, وأذان حين تُقام الصلاة قال: وهذا الآخر شيء أحدثه الناس بعد قال: لا يحلّ له البيع إذا سمع النداء الذي يكون بين يدي الإمام إذا قعد على

المنبر وقرأ فاسْعَوْا إلى ذِكْرِ اللّهِ وَذَرُوا البَيْعَ قال: ولم يـأمرهم يـذرون شـيئا غيره, حرّم البيع ثم أذن لهم فيه إذا فرغـوا مـن الصـلاة, قـال: والسـعي أن يُسرع إليها, أن يُقبِل إليها.

26393ـ حدثنا ابن عبد الأعلى, قال: حدثنا ابن ثور, عن معمر, عن قتادة: إن في حرف ابن مسعود «إذَا نُودِيَ للصّلاةِ مِـنْ يَـوْمِ الجُمُعَـةِ فامْضُـوا إلـى ذِكْرِ اللّهِ».

26394ـ حُدثت عن الحسين, قال: سمعت أبا معـاذ يقـول: حـدثنا عبيـد, قال: سمعت الضحاك يقول في قـوله فاسْـعَوْا إلـى ذِكْـرِ اللّـهِ السـعي: هـو العمل, قال الله: إنّ سَعْيَكُمْ لَشَتّى.

وقـوله: وَذَرُوا البَيْـعَ يقـول: ودعـوا الـبيع والشـراء إذا نـودي للصـلاة عنـد الخطبة. وكان الضحاك يقول في ذلك ما:

26395ـ حدثنا أبو كُرَيب, قال: حدثنا ابن يمان, عن سفيان, عـن جُوَيـبر, عن الضحاك, قال: إذا زالت الشمس حرم البيع والشراء.

حدثنا ابن حُميد, قال: حدثنا مهران, عن سفيان, عن جُوَيبر, عن الضحاك إذَا نُـودِيَ للصّـلاةِ مِـنْ يَـوْمِ الجُمُعَـةِ قـال: إذا زالـت الشـمس حـرم الـبيع والشراء.

26396ـ حدثنا مهران, عن سفيان, عن إسماعيل السديّ, عن أبي مالك, قال: كان قوم يجلسون في بقيع الزبير, فيشترون ويبيعون إذا نودي للصـلاة يوم الجمعة, ولا يقومون, فنزلت: إذَا نُودِيَ للصّلاةِ مِنْ يَوْمِ الجُمُعَةِ.

وأما الذكر الذي أمر الله تبارك وتعالى بالسعي إليه عبادَه المؤمنين, فإنه موعظة الإمام في خطبته فيما قيل. ذكر من قال ذلك:

26397ـ حدثنا ابن حُمَيد, قال: حدثنا مهران, عن سفيان, عن جابر, عـن مجاهـد إذَا نُـودِيَ للصّـلاةِ مِـنْ يَـوْمِ الجُمُعَـةِ قـال: العزمـة عنـد الـذكر عنـد الخطبة.

26398ـ حدثنا عبد الله بن محمد الحنفي, قال: حدثنا عبدان, قال: أخبرنا عبد الله, قال: أخبرنا منصور رجل مـن أهـل الكوفـة, عـن موسـى بـن أبـي كثير, أنه سمع سعيد بن المسيب يقول: إذَا نُودِيَ للصّـلاةِ مِـنْ يَـوْمِ الجُمُعَـةِ فاسْعَوْا إلى ذِكْرِ اللّهِ قال: فهي موعظة الإمام فإذا قضيت الصلاة بعد.

وقوله: ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ يقول: سعيكم إذا نودي للصلاة من يوم الجمعة إلى ذكر الله, وترك البيع خير لكم من الـبيع والشـراء فـي ذلـك الوقت, إن كنتم تعلمون مصالح أنفسكم ومضارّها.

واختلفت القرّاء في قراءة قوله: مِنْ يَوْم الجُمُعَةِ فقرأت ذلك عامة قـرّاء الأمصار: الجُمُعَةِ بضم الميم والجيم, خلا الأعمش فإنه قرأها بتخفيف الميم.

والصواب من القراءة في ذلك عندنا ما عليه قرّاء الأمصار لإجماع الحجـة من القرّاء عليه.

الآية : 10

القول فـي تأويـل قوله تعالى: {فَإِذَا قُضِيَتِ الصّلاَةُ فَانتَشِـرُواْ فِـي الأرْضِ وَابْتَغُواْ مِن فَضْلِ اللّهِ وَاذْكُرُواْ اللّهَ كَثِيراً لَّعَلّكُمْ تُفْلِحُونَ }.

يقول تعالى ذكره: فإذا قُضيت صلاة الجمعة يوم الجمعة, فانتشروا فـي الأرض إن شئتم, ذلك رخصة من الله لكم في ذلك. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

26399ـ حدثني يعقوب بن إبراهيم, قال: حدثنا هشيم, قال: أخبرنا حصين, عن مجاهد أنه قال: هي رخصة, يعني قوله: فإذَا قُضِيَتِ الصّلاةُ فانْتَشِرُوا فِي الأرْضِ.
26400ـ حُدثت عن الحسين, قال: سمعت أبا معاذ يقول: حدثنا عبيد, قال: سمعت الضحاك يقول في قوله: فإذَا قُضِيَتِ الصّلاةُ فانْتَشِرُوا فِي الأرْضِ قال: هذا إذن من الله, فمن شاء خرج, ومن شاء جلس.
26401ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد: أذن الله لهم إذا فرغوا من الصلاة, فإذَا قُضِيَتِ الصّلاةُ فانْتَشِرُوا فِي الأرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللّهِ فقد أحللته لكم.
وقوله: وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللّهِ. ذُكر عن النبيّ صلى الله عليه وسلم في تأويل ذلك ما:
26402ـ حدثني العباس بن أبي طالب, قال: حدثنا عليّ بن المعافى بن يعقوب الموصليّ, قال: حدثنا أبو عامر الصائغ من الموصل, عن أبي خلف, عن أنس, قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في قوله فإذَا قُضِيَتِ الصّلاةُ فانْتَشِرُوا فِي الأرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللّهِ قال: «لَيْسَ لِطَلَبِ دُنْيا, وَلَكِنْ عِيادَةُ مَرِيضٍ, وَحُضُورُ جَنازَةٍ, وَزِيارَةُ أخٍ فِي اللّهِ».
وقد يحتمل قوله: وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللّهِ أن يكون معنيا به: والتمسوا من فضل الله الذي بيده مفاتيح خزائنه لدنياكم وآخرتكم.
وقوله: وَاذْكُرُوا الله كَثِيرا لَعَلّكُمْ تُفْلِحُونَ يقول: واذكروا الله بالحمد له, والشكر على ما أنعم به عليكم من التوفيق لأداء فرائضه, لتفلحوا, فتدركوا طلباتكم عند ربكم, وتصلوا إلى الخلد في جناته.

الآية : 11

القول في تأويل قوله تعالى: {وَإِذَا رَأَوْاْ تِجَارَةً أَوْ لَهْواً انفَضّوَاْ إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَآئِماً قُلْ مَا عِندَ اللّهِ خَيْرٌ مّنَ اللّهْوِ وَمِنَ التّجَارَةِ وَاللّهُ خَيْرُ الرّازِقِينَ}.
يقول تعالى ذكره: وإذا رأى المؤمنون عير تجارة أو لهوا انْفَضّوا إلَيْها يعني أسرعوا إلى التجارة وَتَرَكُوكَ قائما يقول للنبيّ صلى الله عليه وسلم: وتركوك يا محمد قائما على المنبر وذلك أن التجارة التي رأوها فانفضّ القوم إليها, وتركوا النبيّ صلى الله عليه وسلم قائما كانت زيتا قدم به دحية بن خليفة من الشام. ذكر من قال ذلك:
26403ـ حدثنا ابن حُمَيد, قال: حدثنا مهران, عن سفيان, عن إسماعيل السديّ, عن أبي مالك, قال: قدم دحية بن خليفة بتجارة زيت من الشام, والنبيّ صلى الله عليه وسلم يخطب يوم الجمعة, فلما رأوه قاموا إليه بالبقيع خشوا أن يسبقوا إليه, قال: فنزلت وَإِذَا رَأَوْا تِجارَةً أَوْ لَهْوا انْفَضّوا إلَيْها وَتَرَكُوكَ قائما.
26404ـ حدثنا أبو كُرَيب, قال: حدثنا ابن يمان, قال: حدثنا سفيان, عن السديّ, عن قرة إذَا نُودِيَ للصّلاةِ مِنْ يَوْمِ الجُمُعَةِ قال: جاء دحية الكلبي بتجارة والنبيّ صلى الله عليه وسلم قائم في الصلاة يوم الجمعة, فتركوا النبيّ صلى الله عليه وسلم وخرجوا إليه, فنزلت وَإِذَا رَأَوْا تِجارَةً أَوْ لَهْوا انْفَضّوا إلَيْها وَتَرَكُوكَ قائما حتى ختم السورة.
26405ـ حدثني أبو حصين عبد الله بن أحمد بن يونس, قال: حدثنا عبثر, قال: حدثنا حصين, عن سالم بن أبي الجعد, عن جابر بن عبد الله, قال: كنا

مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في الجمعة, فمرّت عير تحمل الطعام, قال: فخرج الناس إلا اثني عشر رجلاً, فنزلت آية الجمعة.

26406ـ حدثنا ابن عبد الأعلى, قال: حدثنا محمد بن ثور, عن معمر, قال: قال الحسن: إن أهل المدينة أصابهم جوع وغلاء سعر, فقدمت عير والنبيّ صلى الله عليه وسلم يخطب يوم الجمعة, فسمعوا بها, فخرجوا والنبيّ صلى الله عليه وسلم قائم, كما قال الله عزّ وجلّ.

26407ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد في قوله وَإِذَا رَأَوْا تِجارَةً أَوْ لَهْوا انْفَضّوا إِلَيْها وَتَرَكُوكَ قائما قال: جاءت تجارة فانصرفوا إليها, وتركوا النبيّ صلى الله عليه وسلم قائما وإذا رأوا لهوا ولعبا قُلْ ما عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ مِنَ اللَّهْوِ وَمِنَ التِّجارَةِ وَاللَّهُ خَيْرُ الرازِقينَ.

26408ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء, جميعا عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد في قوله: وإِذَا رَأَوْا تجارَةً أَوْ لَهْوا انْفَضّوا إِلَيْها قال: رجال كانوا يقومون إلى نواضحهم وإلى السفر يبتغون التجارة.

26409ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة: بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم يخطب الناس يوم الجمعة, فجعلوا يتسللون ويقومون حتى بقيت منهم عصابة, فقال: كم أنتم؟ فعدّوا أنفسهم فإذا اثنا عشر رجلاً وامرأة ثم قام في الجمعة الثانية فجعل يخطبهم قال سفيان: ولا أعلم إلا أن في حديثه ويعظهم ويذكرهم, فجعلوا يتسللون ويقومون حتى بقيت عصابة, فقال: كم أنتم, فعدّوا أنفسهم, فإذا اثنا عشر رجلاً وامرأة ثم قام في الجمعة الثالثة فجعلوا يتسللون ويقومون حتى بقيت منهم عصابة, فقال كم أنتم؟ فعدّوا أنفسهم, فإذا اثنا عشر رجلاً وامرأة, فقال: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَو اتّبَعَ آخِرُكمْ أوّلكمْ لالْتَهَبَ عَلَيْكُمُ الوَادي نارا» وأنزل الله عزّ وجلّ: وَإِذَا رَأَوْا تِجارَةً أَوْ لَهْوا انْفَضّوا إِلَيْها وَتَرَكُوكَ قائما».

حدثنا ابن عبد الأعلى, قال: حدثنا ابن ثور, عن معمر, عن قتادة, في قوله انْفَضوا إِلَيْها وَتَرَكُوكَ قَائما قال: لو اتبع آخرهم أوّلهم لالتهب عليهم الوادي نارا.

قال: ثنا ابن ثور, قال معمر, قال قتادة: لم يبق مع النبيّ صلى الله عليه وسلم يومئذ إلا اثنا عشر رجلاً وامرأة معهم.

حدثنا محمد بن عمارة الرازي, قال: حدثنا محمد بن الصباح, قال: حدثنا هشيم, قال: أخبرنا حصين, عن سالم وأبي سفيان, عن جابر, في قوله وَتَرَكُوكَ قائما قال: قدمت عير فانفضّوا إليها, ولم يبق مع النبيّ صلى الله عليه وسلم إلا اثنا عشر رجلا.

حدثنا عمرو بن عبد الحميد الآمُلى, قال: حدثنا جرير, عن حصين, عن سالم, عن جابر أن النبيّ صلى الله عليه وسلم كان يخطب قائما يوم الجمعة, فجاءت عير من الشام, فانفتل الناس إليها حتى لم يبق إلا اثنا عشر رجلاً, قال: فنزلت هذه الآية في الجمعة وَإِذَا رَأَوْا تِجارَةً أَوْ لَهْوا انْفَضّوا إِلَيْها وَتَرَكُوكَ قائما.

وأما اللهو, فإنه اختُلف من أيّ أجناس اللهو كان, فقال بعضهم: كان كَبَرا ومزامير. ذكر من قال ذلك:

26410ـ حدثنا محمد بن سهل بن عسكر, قال: حدثنا يحيى بن صالح, قال: حدثنا سليمان بن بلال, عن جعفر بن محمد, عن أبيه, عن جابر بن عبد

الله, قال: كان الجواري إذا نكحوا كانوا يمـرّون بـالكبر والمزاميـر ويـتركون النبيّ صلى الله عليه وسلم قائما على المنبر, وينفضـون إليهـا, فـأنزل اللـه وَإِذَا رَأَوْا تِجارَةً أَوْ لَهْوا انْفَضّوا إِلَيْها.
وقال آخرون: كان طبلاً. ذكر من قال ذلك:
26411ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء, جميعا عن ابن أبـي نجيح, عن مجاهد قال: اللهو: الطبل.
حدثني الحارث, قال: حدثنا الأشيب, قال: حدثنا ورقاء, قال: ذكر عبد الله بن أبي نجيح, عن إبراهيم بن أبي بكير, عن مجاهد أن اللهو: هو الطبل.
والذي هو أولى بالصواب في ذلك الخبر الذي رويناه عـن جـابر, لأنـه قـد أدرك أمر القوم ومشاهدهم.
وقوله: قُلْ ما عِنْدَ اللّهِ خَيْرٌ مِنَ اللّهْوِ وَمِنَ التّجارَةِ يقـول جـلّ ثنـاؤه لنـبيه محمد صلى الله عليه وسلم: قل لهم يا محمد الـذي عنـد اللـه مـن الثـواب, لمن جلس مستمعا خطبة رسول الله صلى الله عليه وسـلم ومـوعظته يـوم الجمعة إلى أن يفرغ رسول الله صلى اللـه عليـه وسـلم منه ا, خيـر لـه م ن اللهو ومن التجارة التي ينفضون إليها وَاللّهُ خَيْرُ الرازِقِينَ يقـول: واللـه خيـر رازق, فإليه فارغبوا في طلب أرزاقكم, وإياه فأسألوا أن يوسع عليكـم مـن فضله دون غيره.

سورة المنافقون

سورة المنافقون مدنية
وآياتها إحدى عشرة
بسم الله الرحمَن الرحيـم

الآية : 1

القول فـي تأويـل قـوله تعـالى: {إِذَا جَـآءَكَ الْمُنَـافِقُونَ قَـالُواْ نَشْـهَدُ إِنّـكَ لَرَسُولُ اللّهِ وَاللّهُ يَعْلَمُ إِنّكَ لَرَسُولُهُ وَاللّهُ يَشْهَدُ إِنّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ }.
يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: إِذَا جاءَكَ المُنافِقُونَ يا محمد قالُوا بألسنتهم نَشْهَدُ إِنّكَ لَرَسُولُ اللّهِ وَاللّهُ يَعْلَمُ إِنّكَ لَرَسُـولُهُ قـال المنافقون ذلك أو لم يقولوا وَاللّهُ يَشْهَدُ إِنّ المُنافقينَ لَكَاذِبُونَ يقـول: واللـه يشهد إن المنافقين لكاذبون في إخبارهم عن أنفسهم أنها تشهد إنك لرسول الله, وذلك أنها لا تعتقد ذلك ولا تؤمن به, فهم كاذبون في خبرهم عنها بذلك.
وكان بعض أهل العربية يقول في قوله: وَاللّهُ يَشْهَدُ إِنّ المُنافقينَ لَكَاذِبُونَ إنما كـذب ضـميرهم لأنهـم أضـمروا النفـاق, فكمـا لـم يقبـل إيمـانهم, وقـد أظهروه, فكذلك جعلهم كاذبين, لأنهم أضمروا غير ما أظهروا.

الآية : 2

القول فـي تأويـل قوله تعالى: {اتّخَذُوَاْ أَيْمَانَهُمْ جُنّةً فَصَدّواْ عَن سَبِيلِ اللّهِ إِنّهُمْ سَآءَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ }.
يقول تعالى ذكره: اتخذ المنافقون أيمانهم جنة, وهي حلفهم, كما:
26412ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة اتخَذُوا أيمَانَهُمْ جُنّةً: أي حلفهم جنة.

26413ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء, جميعا عن ابن أبـي نجيح, عن مجاهد في قول الله: اتخَذُوا أيمَانَهُمْ جُنّةً قـال: يجيئـون بهـا, قـال ذلك بأنهم آمنوا ثم كفروا.

26414ـ حُدثت عن الحسين, قال: سمعت أبا معـاذ يقـول: حـدثنا عبيـد, قال: سمعت الضحاك يقول في قـوله: اتخَـذُوا أيمَـانَهُمْ جُنّـةً يقـول: حلفهـم بالله إنهم لمنكم جنة.

وقوله: جُنّةً: سترة يسترون بها كما يستر المستجنّ بجنته في حرب وقتال, فيمنعون بها أنفسهم وذراريهم وأموالهم, ويدفعون بها عنها. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

26415ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عـن قتـادة جُنّـةً ليعصموا بها دماءهم وأموالهم.

وقوله: فَصَدّوا عَنْ سَبِيلِ اللّهِ يقول: فأعرضوا عن دين الله الذي بَعَثَ بـه نبيه صلى الله عليه وسلم وشريعته التي شرعها لخلقه إنّهُـمْ سـاءَ مـا كـانُوا يَعْمَلُونَ يقول: إن هؤلاء المنافقين الذين اتخذوا أيمانهم جنـة سـاء مـا كـانوا يعملون في اتخاذهم أيمانهم جُنة, لكذبهم ونفاقهم, وغير ذلك من أمورهم.

الآية : 3

القول فـي تأويـل قوله تعالى: {ذَلِـكَ بِـأَنّهُمْ آمَنُـواْ ثُـمّ كَفَـرُوا فَطُبِـعَ عَلَـىَ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لاَ يَفْقَهُونَ }.

يقول تعالى ذكره: إنهم ساء مـا كـانوا يعملـون هـؤلاء المنـافقون الـذين اتخذوا أيمانهم جُنة من أجل أنهم صدّقوا الله ورسوله, ثم كفروا بشكهم في ذلك وتكذيبهم به.

وقوله: فَطُبِع عَلى قُلُوبِهِمْ يقول: فجعل الله على قلوبهم خَتما بالكفر عن الإيمان وقد بيّنا في موضـع غيـر هـذا صـفة الطبـع علـى القلـب بشـواهدها, وأقوال أهل العلم, فأغنى ذلك عن إعادته في هذا الموضع. وقـوله: فَهُـمْ لا يَفْقَهُونَ يقول تعالى ذكره: فهم لا يفقهون صوابا من خطأ, وحقا مـن باطـل لطبع الله على قلوبهم. وكان قتادة يقول في ذلك ما:

26416ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتـادة ذَلـكَ بأنّهُمْ آمَنُوا ثُمّ كَفَرُوا فَطُبِعَ على قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لا يَفْقَهُونَ أقرّوا بلا إلـه إلا اللـه وأن محمدا رسول الله صلى الله عليه وسلم, وقلوبهم منكِرة تأبى ذلك.

الآية : 4

القول فـي تأويـل قوله تعالى: {وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَـامُهُمْ وَإِن يَقُولُـواْ تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ كَأَنّهُمْ خُشُبٌ مّسَنّدَةٌ يَحْسَبُونَ كُلّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِـمْ هُـمُ الْعَـدُوّ فَاحْذَرْهُمْ قَاتَلَهُمُ اللّهُ أَنّى يُؤْفَكُونَ }.

يقول جلّ ذكره لنبيه محمـد صـلى اللـه عليـه وسـلم: وإذا رأيـت هـؤلاء المنافقين يا محمـد تعجبـك أجسـامهم لاسـتواء خلقهـا وحسـن صـورها وَإِنْ يَقُولُوا تَسْـمَعْ لِقَـوْلِهِمْ يقـول جـلّ ثنـاؤه: وإن يتكلمـوا تسـمع كلامهـم يشـبه منطقهم منطق الناس كـأنّهُمْ خُشُـبٌ مُسَـنّدَةٌ يقـول كـأن هـؤلاء المنـافقين خُشُب مسّندة لا خير عندهم ولا فقه لهم ولا علم, وإنمـا هـم صـور بلا أحلام, وأشباح بلا عقول.

وقوله: يَحْسَبُونَ كُلّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ يقول جلّ ثناؤه: يحسب هؤلاء المنافقون من خُبثهم وسوء ظنهم, وقلّة يقينهم كلّ صيحة عليهم, لأنهم على وَجَل أن يُنْزل الله فيهم أمرا يهتك به أستارهم ويفضحهم, ويبيح للمؤمنين قتلهم وسبي ذراريهم, وأخذ أموالهم, فهم من خوفهم من ذلك كلما نزل بهم من الله وحي على رسوله, ظنوا أنه نزل بهلاكهم وعَطَبهم. يقول الله جلّ ثناؤه لنبيه صلى الله عليه وسلم: هم العدوّ يا محمد فاحذرهم, فإن ألسنتهم إذا لَقُوكم معكم وقلوبهم عليكم مع أعدائكم, فهم عين لأعدائكم عليكم.

وقوله: قَاتَلَهُمُ اللّهُ أنّى يُوءْفَكُونَ يقول: أخزاهم الله إلى أيّ وجه يصرفون عن الحقّ.

26417ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, وسمعته يقول في قول الله: وإذَا رَأيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أجْسامُهُمْ... الآية, قال: هؤلاء المنافقون.

واختلفت القرّاء في قراءة قوله: كأنّهُمْ خُشُبٌ مُسَنّدَةٌ فقرأ ذلك عامة قرّاء المدينة والكوفة خلا الأعمش والكسائي: خُشُبٌ بضم الخاء والشين, كأنهم وجهوا ذلك إلى جمع الجمع, جمعوا الخشبة خِشَابا ثم جمعوا الخِشاب خُشُبا, كما جمعت الثّمَرةُ ثمارا, ثم ثُمُرا. وقد يجوز أن يكون الخُشُب بضم الخاء والشين إلى أنها جمع خَشَبة, فتضمّ الشين منها مرّة وتسكن أخرى, كما جمعوا الأكمة أكُما وأكْما بضم الألف والكاف مرّة, وتسكين الكاف منها مرّة, وكما قيل: البُدُن والبُدْن, بضم الدال وتسكينها لجمع البَدَنة, وقرأ ذلك الأعمش والكسائي: «خُشْبٌ» بضم الخاء وسكون الشين.

وللصواب من القول في ذلك أنهما قراءتان معروفتان, ولغتان فصيحتان, وبأيتهما قرأ القارىء فمصيب وتسكين الأوسط فيما جاء من جمع فُعُلة على فُعْل في الأسماء على ألسن العرب أكثرو ذلك كجمعهم البَدَنة بُدْنا, والأجمة أجما.

الآية : 5

القول في تأويل قوله تعالى: {وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْاْ يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللّهِ لَوّوْاْ رُءُوسَهُمْ وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدّونَ وَهُم مّسْتَكْبِرُونَ .

يقول تعالى ذكره: وإذا قيل لهؤلاء المنافقين: تعالوا إلى رسول الله يستغفر لكم لوّوا رؤوسهم, يقول: حرّكوها وهزّوها استهزاء برسول الله صلى الله عليه وسلم وباستغفاره وبتشديدها الواو من «لوّوا» قرأت القرّاء على وجه الخبر عنهم أنهم كرّروا هز رؤوسهم وتحريكها, وأكثروا, إلاّ نافعا فإنه قرأ ذلك بتخفيف الواو: «لوَوْا» على وجه أنهم فعلوا ذلك مرّة واحدة.

والصواب من القول في ذلك قراءة من شدّد الواو لإجماع الحجة من القرّاء عليه.

وقوله: ورأيْتَهُمْ يَصُدّونَ وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ يقول تعالى ذكره: ورأيتهم يُعْرضون عما دُعوا إليه وجوههم وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ يقول: وهم مستكبرون عن المصير إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليستغفر لهم وإنما عُنِي بهذه الآيات كلها فيما ذُكر عبدُ الله بن أبيّ ابن سَلُول, وذلك أنه قال لأصحابه: لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضّوا, وقال: لَئِنْ رَجَعْنا إلى المَدِينَةِ لَيُخْرِجَنّ الأعَزّ مِنْها الأذَلّ فسمع بذلك زيد بن أرقم, فأخبر به رسول الله صلى الله عليه وسلم, فدعاه رسول الله صلى الله عليه وسلم, فسأله عما أخبر به عنه, فحلف أنه ما قاله, وقيل له: لو أتيت رسول الله

صلى الله عليه وسلم, فسألته أن يستغفر لك, فجعل يلوي رأسه ويحرّكه استهزاء, ويعني ذلك أنه غير فاعل ما أشاروا به عليه, فأنزل الله عزّ وجلّ فيه هذه السورة من أوّلها إلى آخرها.
وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل وجاءت الأخبار. ذكر الرواية التي جاءت بذلك:
26418ـ حدثنا أبو كُرَيب, قال: حدثنا يحيى بن آدم, قال: حدثنا إسرائيل, عن أبي إسحاق, عن زيد بن أرقم, قال: خرجت مع عمي في غزاة, فسمعت عبد الله بن أبي ابن سلول يقول لأصحابه: لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضّوا, لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجنّ الأعزّ منها الأذلّ قال: فذكرت ذلك لعمي, فذكره عمي لرسول الله صلى الله عليه وسلم, فأرسل إليّ, فحدثته, فأرسل إلى عبد الله عليّا رضي الله عنه وأصحابه, فحلفوا ما قالوا, قال: فكذّبني رسول الله صلى الله عليه وسلم وصدّقه, فأصابني همّ لم يصبني مثله قطّ فدخلت البيت, فقال لي عمي: ما أردت إلى أن كذّبك رسول الله صلى الله عليه وسلم ومقتك, قال: حتى أنزل الله عزّ وجلّ إذَا جاءَكَ المُنافِقُونَ قال: فبعث إليّ رسول الله صلى الله عليه وسلم, فقرأها, ثم قال: «إن الله عَزّ وَجَلّ قَدْ صَدّقَكَ يا زيد».
26419ـ حدثنا أبو كُرَيب والقاسم بن بشر بن معروف, قال: حدثنا يحيى بن بكير, قال: حدثنا شعبة, قال الحكم: أخبرني, قال: سمعت محمد بن كعب القرظيّ قال: سمعت زيد بن أرقم قال: لما قال عبد الله بن أبي ابن سلول ما قال: لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا, وقال: لَئِنْ رَجَعْنا إلى المَدِينَةِ قال: سمعته فأتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم, فذكرت ذلك, فلامني ناس من الأنصار, قال: وجاء هو, فحلف ما قال ذلك, فرجعت إلى المنزل فنمت قال: فأتاني رسول الله صلى الله عليه وسلم أو بلغني, فأتيت النبيّ صلى الله عليه وسلم, فقال: «إنَ اللّهَ تَبَارَكَ وَتَعالى قَد صدّقَكَ وَعَذَرَكَ» قال: فنزلت الآية هُمُ الّذِينَ يَقُولُونَ لا تُنْفِقُوا عَلى مِنْ عِنْدْ رَسُولِ اللّهِ... الآية.
حدثنا أبو كُرَيب, قال: حدثنا هاشم أبو النضر, عن شعبة, عن الحكم, قال: سمعت محمد بن كعب القرظي, قال: سمعت زيد بن أرقم يحدّث بهذا الحديث.
حدثنا محمد بن المثنى, قال: حدثنا محمد بن جعفر, قال: حدثنا شعبة, عن الحكم, عن محمد بن كعب القرظي, عن زيد بن أرقم, قال: كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة, فقال عبد الله بن أبي بن سلول: لَئِنْ رَجَعْنا إلى المَدِينَةِ لَيُخْرِجَنّ الأعَزّ مِنْها الأذَلّ قال: فأتيت النبيّ صلى الله عليه وسلم فأخبرته, فحلف عبد الله بن أبي انه لم يكن شيء من ذلك, قال: فلامني قومي وقالوا: ما أردتَ إلى هذا, قال: فانطلقت فنمت كئيبا أو حزينا, قال: فأرسل إليّ نبيّ الله صلى الله عليه وسلم, أو أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم, فقال: «إنّ اللّهَ قَدْ أنْزَلَ عُذْرَكَ وَصَدّقَكَ», قال: ونزلت هذه الآية: هُمُ الّذِينَ يَقُولُونَ لا تُنْفِقُوا على مَنْ عِنْدَ رَسُولِ اللّهِ حتى يَنْفَضّوا... حتى بلغ لَئِنْ رَجَعْنا إلى المَدِينَةِ لَيُخْرِجَنّ الأعَزّ مِنْها الأذَلّ.

26420ـ حدثنا ابن المثنى, قال: حدثنا ابن أبي عديّ, قال: أخبرني ابن عون, عن محمد, قال: سمعها زيد بن أرقم فرفعها إلى وليه, قال: فرفعها وَلّيه إلى النبيّ صلى الله عليه وسلم, قال: فقيل لزيد: وَفَتْ أذنك.
26421ـ حدثنا أحمد بن منصور الرّمادّي, قال: حدثنا إبراهيم بن الحكم بن أبان, قال: ثني أبي, قال: ثني بشير بن مسلم أنه قيل لعبد الله بن أُبي ابن سلول: يا أبا حباب إنه قد أنزل فيك آي شداد, فأذهب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يستغفر لك, فلوى رأسه وقال: أمرتموني أن أومن فآمنت, وأمرتموني أن أعطي زكاة مالي فأعطيت, فما بقي إلا أن أسجد لمحمد.
26422ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللّهِ لَوّوْا... الآية كلها قرأها إلى الفاسِقِينَ أنزلت في عبد الله بن أُبي, وذلك أن غلاما من قرابته انطلق إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فحدّثه بحديث عنه وأمر شديد, فدعاه رسول الله صلى الله عليه وسلم, فإذا هو يحلف ويتبرأ من ذلك, وأقبلت الأنصار على ذلك الغلام, فلاموه وعَذَلوه وقيل لعبد الله: لو أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم, فجعل يلوي رأسه: أي لستُ فاعلاً, وكذب علىّ, فأنزل الله ما تسمعون.
26423ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء, جميعا عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, في قوله: وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللّهِ لَوّوْا رُءُوسَهُمْ قال: عبد الله بن أُبي, قيل له: تعالَ ليستغفر لك رسول الله صلى الله عليه وسلم, فلوى رأسه وقال: ماذا قلت؟.
حدثنا ابن عبد الأعلى, قال: حدثنا ابن ثور, عن معمر, عن قتادة, قال: قال له قومه: لو أتيت النبيّ صلى الله عليه وسلم فاستغفر لك, فجعل يلوي رأسه, فنزلت فيه وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللّهِ.

الآية : 6

القول في تأويل قوله تعالى: {سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَن يَغْفِرَ اللّهُ لَهُمْ إِنّ اللّهَ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَـسِقِينَ .
يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: سواء يا محمد على هؤلاء المنافقين الذين قيل لهم تعالوا يستغفر لكم رسول الله أسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ ذنوبهم أمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَنْ يَغْفِرَ اللّهُ لَهُمْ يقول: لن يصفح الله لهم عن ذنوبهم, بل يعاقبهم عليها إنّ اللّهِ لا يَهْدِي القَوْمَ الفاسِقِينَ يقول: إن الله لا يوفّق للإيمان القوم الكاذبين عليه, الكافرين به, الخارجين عن طاعته.
وقد:
26424ـ حدثني محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس قوله: سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ اسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أمْ لَمْ تَسَتَغْفِرْ لَهُمْ لَنْ يَغْفِرَ اللّهُ لَهُمْ قال: نزلت هذه الآية بعد الآية التي في سورة التوبة إنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرّةً فَلَنْ يَغْفِرَ الله لَهُمْ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «زيادة على سبعين مرّة», فأنزل الله: سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ اسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أمْ لَمْ تَسَتَغْفِرْ لَهُمْ لَنْ يَغْفِرَ اللّهُ لَهُمْ.

الآية : 7

القول في تأويل قوله تعالى: {هُمُ الّذِينَ يَقُولُونَ لاَ تُنفِقُواْ عَلَىَ مَنْ عِندَ رَسُولِ اللّهِ حَتّىَ يَنفَضّواْ وَلِلّهِ خَزَآئِنُ السّمَاوَاتِ وَالأرْضِ وَلَـَكِنّ الْمُنَافِقِينَ لاَ يَفْقَهُونَ }.

يقول تعالى ذكره هُمُ الّذِينَ يَقُولُونَ يعني الذين يقولون لأصحابهم لا تُنْفِقُوا عَلى مَنْ عِنْد رَسُولِ اللّهِ من أصحابه المهاجرين حتى يَنْفَضّوا يقول: حتى يتفرّقوا عنه.

وقوله: وللّهِ خَزَائِنُ السّمَوَاتِ والأرْضِ يقول: ولله جميع ما في السموات والأرض من شيء وبيده مفاتيح خزائن ذَلك, لا يقدر أحد أن يعطي أحدا شيئا إلا بمشيته وَلَكِنّ المُنافِقِينَ لا يَفْقَهُونَ أن ذلك كذلك, فلذلك يقولون: لا تنفقوا على من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى ينفضّوا. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

26425ـ حدثني محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس, قوله: هُمُ الّذِينَ يَقُولُونَ لا تُنْفِقُوا على مَنْ عِنْدَ رَسُولِ اللّهِ حتى يَنْفَضّوا قال: لا تطعموا محمد وأصحابه حتى تصيبهم مجاعة, فيتركوا نبيهم.

26426ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة هُمُ الّذِينَ يَقُولُونَ لا تُنْفِقُوا على مَنْ عِنْدَ رَسُولِ اللّهِ حتى يَنْفَضّوا قرأها إلى آخر الآية, وهذا قول عبد الله بن أبي لأصحابه المنافقين لا تنفقوا على محمد وأصحابه حتى يَدَعوه, فإنكم لولا أنكم تنفقون عليهم لتركوه وَأجلوا عنه.

حدثنا ابن عبد الأعلى, قال: حدثنا ابن ثور, عن معمر, عن قتادة هُمُ الّذِينَ يَقُولُونَ لا تُنْفِقُوا على مَنْ عِنْدَ رَسُولِ اللّهِ حتى يَنْفَضّوا إن عبد الله بن أبي ابن سلول قال لأصحابه, لا تنفقوا على من عند رسول الله, فأنكم لو لم تنفقوا عليهم قد انفضوا.

26427ـ حُدثت عن الحسين, قال: سمعت أبا معاذ يقول: حدثنا عبيد, قال: سمعت الضحاك يقول في قوله لا تُنْفِقُوا عَلى مَنْ عِنْدَ رَسُولِ اللّهِ حتى يَنْفَضّوا يعني الرّفد والمعونة, وليس يعني الزكاة المفروضة والذين قالوا هذا هم المنافقون.

26428ـ حدثنا الربيع بن سليمان, قال: حدثنا أسد بن موسى, قال: حدثنا يحيى بن أبي زائدة, قال: حدثنا الأعمش عن عمرو بن مُرّة, عن عبد الرحمن بن أبي لَيلى, عن زيد بن أرقم, قال: لما قال ابن أبي ما قال, أخبرت النبيّ صلى الله عليه وسلم, فجاء فحلف, فجعل الناس يقولون لي تأتي رسول الله صلى الله عليه وسلم بالكذب؟ حتى جلستُ في البيت مخافة إذا رأوني قالوا: هذا الذي يكذب, حتى أنزل: هُمُ الّذِينَ يَقُولُونَ.

الآية : 8

القول في تأويل قوله تعالى: {يَقُولُونَ لَئِن رّجَعْنَآ إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنّ الأعَزّ مِنْهَا الأذَلّ وَلِلّهِ الْعِزّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَـَكِنّ الْمُنَافِقِينَ لاَ يَعْلَمُونَ }.

يقول تعالى ذكره: يقول هؤلاء المنافقون الذين وصف صفتهم قبل لَئِنْ رَجَعْنا إلى المَدِينَةِ لَيُخْرِجَنّ الأعَزّ مِنْها الأذَلّ فيها, ويعني بالأعزّ: الأشدّ والأقوى, قال الله جلّ ثناؤه: وللّهِ العِزّةُ يعني: الشدّة والقوّة وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ بالله وَلَكِنّ المُنافِقِينَ لا يَعْلَمُونَ ذلك.

وذُكر أن سبب قيل ذلك عبدُ الله بن أُبي كان من أجل أن رجلاً من المهاجرين كَسَعَ رجلا من الأنصار. ذكر من قال ذلك:

26429ـ حدثني محمد بن معمر, قال: حدثنا أبو عامر, قال: حدثنا زَمْعة, عن عمرو, قال: سمعت جابر بن عبد الله, قال: إن الأنصار كانوا أكثر من المهاجرين, ثم إن المهاجرين كثروا فخرجوا في غزوة لهم, فكسع رجل من المهاجرين رجلاً من الأنصار, قال: فكان بينهما قتال إلى أن صرخ: يا معشر الأنصار, وصرخ المهاجر: يا معشر المهاجرين قال: فبلغ ذلك النبيّ صلى الله عليه وسلم, فقال: «ما لَكُمْ وَلِدعْوَةِ الجاهِلِيّةِ»؟ فقالوا: كسع رجل من المهاجرين رجلاً من الأنصار, قال: فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «دَعُوها فإنّها مُنْتِنَةٌ», قال: فقال عبد الله بن أبي ابن سلول: لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجنّ الأعزّ منها الأذلّ, فقال عمر: يا رسول الله دعني فأقتله, قال: فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لا يَتَحَدّثُ النّاسُ أنّ رَسُولَ اللّهِ يَقْتُلُ أصْحَابَهُ».

26430ـ حدثني محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس, قوله: يَقُولُونَ لَئِنْ رَجَعْنا إلى المَدِينَةِ... إلى وللّهِ العِزّةُ ولِرَسُولِهِ قال: قال ذلك عبد الله بن أُبي ابن سلول الأنصاري رأس المنافقين, وناس معه من المنافقين.

26431ـ حدثني أحمد بن منصور الرمادي قال: حدثنا إبراهيم بن الحكم قال: ثني أبي عن عكرمة أن عبد الله بن عبد الله بن أبي ابن سلول كان يقال له حباب, فسماه رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الله, فقال: يا رسول الله إن والدي يؤذي الله ورسوله, فذرني حتى أقتله, فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لا تَقْتُلْ أباكَ عَبْدَ اللّهِ», ثم جاء أيضا فقال: يا رسول الله إن والدي يؤذي الله ورسوله, فذرني حتى أقتله, فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: لا تَقْتُلْ أباكَ», فقال: يا رسول الله فتوضأ حتى أسقيه من وضوئك لعلّ قلبه أن يلين, فتوضأ رسول الله صلى الله عليه وسلم فأعطاه, فذهب به إلى أبيه فسقاه, ثم قال له: هل تدري ما سقيتك؟ فقال له والده نعم, سقيتني بول أمك, فقال له ابنه: لا والله, ولكن سقيتك وضوء رسول الله صلى الله عليه وسلم قال عكرمة: وكان عبد الله بن أبي عظيم الشأن فيهم. وفيهم أنزلت هذه الآية في المنافقين: هُمُ الّذِينَ يَقُولُونَ لا تُنْفِقُوا عَلى مَنْ عِنْدَ رَسُولِ اللّهِ حتى يَنْفَضّوا وهو الذي قال: لَئِنْ رَجَعْنا إلى المَدِينَةِ لَيُخْرِجَنّ الأعَزّ مِنْها الأذَلّ قال: فلما بلغوا المدينة, مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم ومن معه, أخذ ابنه السيف, ثم قال لوالده: أنت تزعم «لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجنّ الأعزّ منها الأذلّ», فوالله لا تدخلها حتى يأذن لك رسول الله صلى الله عليه وسلم.

حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا يحيى بن واضح, قال: حدثنا الحسين, عن عمرو بن دينار, عن جابر بن عبد الله أن رجلاً من المهاجرين كسع رجلاً من الأنصار برجله وذلك في أهل اليمن شديد فنادى المهاجري يا للمهاجرين, ونادى الأنصاري يا للأنصار قال: والمهاجرون يومئذ أكثر من الأنصار, فقال النبيّ صلى الله عليه وسلم: «دَعُوها فإنّها مُنْتِنَةٌ», فقال عبد الله بن أبي ابن سلول, لَئِنْ رَجَعْنا إلى المَدِينَةِ لَيُخْرِجَنّ الأعَزّ مِنْها الأذَلّ».

26432ـ حدثني عمران بن بكار الكلاعيّ, قال: حدثنا يحيى بن واضح, قال: حدثنا عليّ بن سليمان, قال: حدثنا أبو إسحاق, أن زيد بن أرقم, أخبره

أن عبد الله بن أُبي ابن سلول قال لا تُنْفِقُوا عَلى مَنْ عِنْدَ رَسُولِ اللّهِ حتى يَنْفَضّوا وقال لَئِنْ رَجَعْنا إلى المَدِينَةِ لَيُخْرِجَنّ الأعَزّ مِنْها الأذَلّ قال: فحدثني زيد أنه أخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم بقول عبد الله بن أبي, قال: فجاء فحلف عبد الله بن أبي لرسول الله صلى الله عليه وسلم ما قال ذلك قال أبو إسحاق: فقال لي زيد, فجلست في بيتي, حتى أنزله الله تصديق زيد, وتكذيب عبد الله في إذا جاءك المنافقون.

26433ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله لَئِنْ رَجَعْنا إلى المَدِينَة لَيُخْرِجَنّ الأعَزّ مِنْها الأذَلّ قرأ الآية كلها إلى لا يَعْلَمُونَ قال: قد قالها منافق عظيم النفاق في رجلين اقتتلا, أحدهما غفاريّ, والآخر جُهَنِيّ, فظهر الغفاريّ على الجُهنيّ, وكان بين جُهينة والأنصار حلف, فقال رجل من المنافقين وهو ابن أبي: يا بني الأوس, يا بني الخزرج, عليكم صاحبكم وحليفكم, ثم قال: والله ما مثلنا ومَثَل محمد إلا كما قال القائل: «سَمّن كلبك يأكلك», والله لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجنّ الأعزّ منها الأذلّ, فسعى بها بعضهم إلى نبيّ الله صلى الله عليه وسلم, فقال عمر: يا نبيّ الله مُر معاذ بن جبل أن يضرب عنق هذا المنافق, فقال: «لا يتحدّثُ النّاسُ أنّ مُحَمّدا يَقْتُلُ أصحَابَهُ». ذُكر لنا أنه كان أكْثِر على رجل من المنافقين عنده, فقال: هل يصلي؟ فقال: نعم ولا خير في صلاته, فقال: نُهيت عن المصلين, نُهيت عن المصلين.

حدثنا ابن عبد الأعلى, قال: حدثنا ابن ثور, عن معمر, عن قتادة, قال: اقتتل رجلان, أحدهما من جُهينة, والآخر من غفار, وكانت جهينة حليف الأنصار, فظهر عليه الغفاريّ, فقال رجل منهم عظيم النفاق: عليكم صاحبكم, عليكم صاحبكم, فوالله ما مَثُلنا ومَثَل محمد إلا كما قال القائل: «سمّن كلبك يأكلك», أما والله لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجنّ الأعزّ منها الأذلّ وهم في سفر, فجاء رجل مم ن سمعه إلى النبيّ صلى الله عليه وسلم, فأخبره ذلك, فقال عمر: مُر معاذا يضرب عنقه, فقال: «وَاللّه لا يَتَحَدّثُ النّاسُ أنّ مُحَمّدا يَقْتُلُ أصحَابَهُ», فنزلت فيهم: هُمُ الّذِينَ يَقُولُونَ لا تُنْفِقُوا على مَنْ عِنْدَ رَسُولِ اللّهِ.

وقوله: لَئِنْ رَجَعْنا إلى المَدِينَةِ لَيُخْرِجَنّ الأعَزّ مِنْها الأذَلّ:

26434ـ حدثنا ابن عبد الأعلى, قال: حدثنا ابن ثور, عن معمر, عن الحسن أن غلاما جاء إلى النبيّ صلى الله عليه وسلم, فقال: يا رسول الله إني سمعت عبد الله بن أبي يقول كذا وكذا قال: «فَلَعَلّكَ غَضِبْتَ عَلَيْهِ؟» قال: لا والله لقد سمعته يقوله قال: «فَلَعَلّكَ أخْطأ سَمْعُكَ؟» قال: لا والله يا نبيّ الله لقد سمعته يقوله قال: فَلَعَلّهُ شُبّهَ عَلَيْكَ», قال: لا والله, قال: فأنزل الله تصديقا للغلام: لَئِنْ رَجَعْنا إلى المَدِينَةِ لَيُخْرِجَنّ الأعَزّ مِنْها الأذَلّ, فأخذ النبيّ صلى الله عليه وسلم بأذن الغلام, فقال: «وَفَتْ أُذُنُكَ, وَفَتْ أُذُنُكَ يا غُلامُ».

26435ـ حدثنا يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قول الله لَيُخْرِجَن الأعَزّ مِنْها الأذَل قال: كان المنافقون يسمون المهاجرين: الجلابيب وقال: قال ابن أبي: قد أمرتكم في هؤلاء الجلابيب أمري, قال: هذا بين أمَج وعُسْفان على الكديد تنازعوا على الماء, وكان المه اجرون قد غلبوا على الماء قال: وقال ابن أبي أيضا: أما والله لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجنّ الأعزّ منها الأذلّ لقد قلت لكم: لا تنفقوا عليهم, لو تركتموهم ما

وجدوا ما يأكلون, ويخرجوا ويهربوا فأتى عمر بن الخطاب إلى النبيّ صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله ألا تسمع ما يقول ابن أُبي؟ قال: «وما ذاك؟» فأخبره وقال: دعني أضرب عنقه يا رسول الله, قال: «إذا تَرْعَدُ لَهُ آنُفٌ كَثِيرَةٌ بِيَثْرِب» قال عمر: فإن كرهت يا رسول الله أن يقتله رجل من المهاجرين, فمرّ به سعد بن معاذ, ومحمد بن مسلمة فيقتلانه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إنّي أكْرَهُ أنْ يَتَحَدّثَ النّاسُ أنّ مُحَمّدا يَقْتُلُ أصحَابَهُ, ادْعُوا لي عَبْدَ اللّهِ بْنَ عَبْدِ اللّهِ بْن أُبي», فدعاه, فقال: «ألا تَرَى ما يَقُولُ أبُوكَ؟» قال: وما يقول بأبي أنت وأمي؟ قال: «يَقُولُ لَئِنْ رَجَعْنا إلى المَدِينَةِ لَيُخْرِجَنّ الأعَزّ مِنْها الأذَلّ» فقال: فقد صدق والله يا رسول الله, أنت والله الأعزّ وهو الأذلّ, أما والله لقد قَدِمت المدينة يا رسول الله, وإن أهل يثرب ليعلمون ما بها أحد أبرّ مني, ولئن كان يرضى الله ورسوله أن آتيهما برأسه لآتِيَنّها به, فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لا» فلما قَدِموا المدينة, قام عبد الله بن عبد الله بن أُبي على بابها بالسيف لأبيه ثم قال: أنت القائل: لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعزّ منها الأذلّ, أما والله لتعرفنّ العزّة لك أو لرسول الله, والله لا يأويك ظله, ولا تأويه أبدا إلا بإذن من الله ورسوله فقال: يا للخزرج ابني يمنعني بيتي يا للخزرج ابني يمنعني بيتي فقال: والله لا تأويه أبدا إلا بإذن منه فاجتمع إليه رجال فكلموه, فقال: والله لا يدخله إلا بإذن من الله ورسوله, فأتوا النبيّ صلى الله عليه وسلم فأخبروه, فقال: «اذْهَبُوا إلَيْهِ, فَقُولُوا له خَلّهِ ومَسْكَنَه» فأتوه, فقال: أما إذا جاء إمر النبيّ صلى الله عليه وسلم فنعم.

26436ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا سَلَمة وعليّ بن مجاهد, عن محمد بن إسحاق, عن عاصم بن عمر بن قتادة, عن عبد الله بن أبي بكر, وعن محمد بن يحيى بن حبان, قال: كلّ قد حدثني بعض حديث بني المصطلق, قالوا: بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم أن بني المصطلق يجمعون له, وقائدهم الحارث بن أبي ضرار أبو جويرية بنت الحارث زوج النبيّ صلى الله عليه وسلم فلما سمع بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم, خرج إليهم حتى لقيهم على ماء من مياههم يقال له المريسيع من ناحية قديد إلى الساحل, فتزاحف الناس فاقتتلوا, فهزم الله بني المصطلق, وقُتل من قتل منهم, ونفل رسول الله صلى الله عليه وسلم أبناءهم ونساءهم وأموالهم, فأفاءهم الله عليه, وقد أصيب رجل من بني كلب بن عوف بن عامر بن ليث بن بكر, يقال له هشام بن صبابة أصابه رجل من الأنصار من رهط عبادة بن الصامت, وهو يرى أنه من العدوّ, فقتله خطأ, فبينا الناس على ذلك الماء وردت واردة الناس ومع عمر بن الخطاب أجير له من بني غفار يقال له جَهْجاه بن سعيد, يقود له فرسه, فازدحم جَهْجاه وسنان الجُهْنِيّ حليف بني عوف بن الخزرج على الماء فاقتتلا, فصرخ الجهنيّ: يا معشر الأنصار. وصرخ جهجاه: يا معشر المهاجرين, فغضب عبد الله بن أبي ابن سلول, وعنده رهط من قومه فيهم زيد بن أرقم, غلام حديث السنّ, فقال: قد فعلوها؟ قد نافرونا وكاثرونا في بلادنا والله ما أعُدّنا وجلابيب قريش هذه إلا كما قال القائل: «سمّن كلبك يأكلك», أما والله لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجنّ الأعزّ منها الأذلّ ثم أقبل على من حضر من قومه, فقال: هذا ما فعلتم بأنفسكم أحللتموهم بلادكم, وقاسمتموهم أموالكم, أما والله لو أمسكتم عنهم ما بأيديكم لتحوّلوا إلى غير بلادكم فسمع ذلك زيد بن أرقم

فمشى به إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم, وذلك عند فراغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من غـزوه, فـأخبره الخـبر وعنـده عمـر بـن الخطـاب فقال: يا رسول الله مُر به عباد بن بشر بن وقش فليقتله, فقال رسول اللـه صلى الله عليه وسلم: «فَكَيْـفَ يـا عُمَـرُ إذَا تَحَـدّثَ النّـاس أن مُحَمّـدا يَقْتُـلُ أصحَابَهُ, لا, وَلَكِنْ أَذّنْ بالرّحِيلِ», وذلك في ساعة لم يكن رسول الله صـلى الله عليه وسلم يرتحل فيها, فارتحل الناس, وقد مشى عبد الله بن أبيّ إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم حين بلغه أن زيد بن أرقم قد بلغه ما سـمع منه, فحلف بالله ما قلت ما قال, ولا تكلمت به وكان عبد اللـه بـن أُبـي فـي قومه شريفا عظيما, فقال من حضر رسول الله صلى الله عليـه وسـلم مـن أصحابه من الأنصار: يا رسول الله عسى أن يكون الغلام أوهـم فـي حـديثه, ولم يحفظ ما قال الرجل, حـدبا علـى عبـد اللـه بـن أُبـي, ودفعـا عنـه فلمـا استقلّ رسول الله صلى الله عليه وسلم, لقيه أسيد بن حضير, فحياه بتحيـة النبوّة وسلم عليه ثم قال: يا رسول الله لقد رُحتَ في ساعة منكرة ما كنـت تروح فيها, فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم «أو مـا بَلَغَـكَ مـا قـالَ صَاحِبُكُمْ؟» قال: فأيّ صاحب يا رسول الله؟ قال: «عَبْدُ اللّهِ بْنُ أُبيّ», قال: وما قال؟ قال: «زَعمَ أنّهُ إنْ رَجَعَ إلى المَدِينَةِ أخْرَجَ الأعَـزّ مِنْهـا الأذَل» قـال أسيد: فأنت والله يا رسول اللـه تخرجـه إن شـئت, هـو واللـه الـذليل وأنـت العزيز ثم قال: يا رسول الله ارفق به, فوالله لقـد جـاء اللـه بـك وإن قـومه لينظمون له الخرز ليتوّجـوه, فإنه ليـرى أنـك قـد اسـتلبته مُلكـا. ثـم مشى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالناس يومهم ذلك حـتى أمسـى, وليلتهـم حتى أصبح, وصدر يومهم ذلك حتى آذتهم الشـمس, ثـم نـزل بالنـاس, فلـم يكن إلا أن وجدوا مسّ الأرض وقعوا نياما, وإنما فعل ذلك ليشغل الناس عن الحديث الذي كان بالأمس من حديث عبد الله بن أُبي. ثم راح بالناس وسلك الحجاز حتى نزل على ماء بالحجـاز فُويـق النقيـع, يقـال لـه نقعـاء فلمـا راح رسول الله صـلى اللـه عليـه وسـلم هبّـت علـى النـاس ريـح شـديدة آذتهـم وتخوّفوها, فقال رسول الله صلى الله عليه وسـلم: «لاَ تَخـافُوا فإنّمـا هَبّـتْ لمَوْتِ عَظِيم مِنْ عُظَماءِ الكُفّارِ» فلما قَدِموا المدينة وجدوا رفاعـة بـن زيـد بن التابوت أحد بني قينقاع وكان من عظماء يهود, وكهفا للمنافقين قد مـات ذلك اليوم, فنزلت السورة التي ذكر الله فيها المنافقين في عبد الله بن أُبي ابن سلول, ومن كان معه على مثل أمره, فقال: إذَا جاءَكَ المُنـافِقُونَ فلمـا نزلت هذه السورة أخذ رسول الله صلى الله عليـه وسـلم بـأذن زيـد فقـال: «هَذَا الّذِي أوْفى اللّهَ بأُذُنه», وبلغ عبد الله بن عبد الله بن أُبي الذي كان من أبيه.

26437ـ حدثنا ابن حُمَيد, قال: حدثنا سلمة, قال: ثني محمد بن إسحاق, عن عاصم بن عمر بن قتادة أن عبد الله بن عبد الله بن أبي أتى رسول اللـه صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله إنه بلغني أنك تريد قتل عبـد اللـه بن أبي فيما بلغك عنه, فإن كنت فاعلاً, فمرني بـه فأنـا أحمـل إليـك رأسـه, فوالله لقد علمت الخزرج ما كان فيها رجل أبرّ بوالده مني, وإني أخشـى أن تأمر به غيره فيقتله, فلا تدعني نفسي أن أنظر إلى قاتل عبـد اللـه بـن أُبـي يمشي في الناس فأقتلَه, فأقتل مؤمنا بكافر, فأدخلَ النارَ فقال رسول اللـه صلى الله عليه وسلم: «بَلْ نَرْفُقْ بِهِ ونُحسِنْ صُحْبَتَهُ ما بَقِـيَ مَعَنـا», وجعـل بعد ذلك اليوم إذا أحدث الحـدث كـان قـومه هـم الـذين يعـاتبونه, ويأخـذونه

ويعنفونه ويتوعدونه, فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعمر بن الخطاب حين بلغه ذلك عنهم من شأنهم «كَيْفَ تَرَى يا عُمَرُ أما وَاللّهِ لَوْ قَتَلْتُهُ يَوْمَ أَمَرْتَنِي بقَتْلِهِ لأَرْعَدَتْ لَهُ آنَفٌ, لَوْ أَمَرْتَها اليَوْمَ بقَتْلِهِ لَقَتَلَتْهُ» قال: فقال عمر: قد والله علمت لأمرُ رسول الله صلى الله عليه وسلم أعظم بركة من أمري.

الآية : 9

القول في تأويل قوله تعالى: {يَأَيّهَا الّذِينَ آمَنُواْ لاَ تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلاَ أَوْلاَدُكُمْ عَن ذِكْرِ اللّهِ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ }.

يقول تعالى ذكره: يا أيها الذين صدّقوا الله ورسوله لا تُلْهِكُمْ أمْوَالكُمْ يقول: لا توجب لكم أموالكم وَلا أوْلادُكُمْ اللهو عَنْ ذِكْرِ اللّهِ وهو من ألهيته عن كذا وكذا, فلها هو يلهو لهوا ومنه قول امرىء القيس:

وَمِثْلِكِ حُبْلَى قد طرَقْتُ وَمُرْضِعٍفألْهَيْتُها عَنْ ذِي تَمائمَ مُحْوِلِ

وقيل: عُنِي بذكر الله جلّ ثناؤه في هذا الموضع: الصلوات الخمس. ذكر من قال ذلك:

26438ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا مهران, عن أبي سنان, عن ثابت, عن الضحاك يا آيّها الّذِينَ آمَنُوا لا تُلْهِكُمْ أمْوَالُكُمْ وَلا أوْلادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللّهِ قال: الصلوات الخمس.

وقوله: وَمَنْ يَفْعَلْ ذلكَ يقول: ومن يلهه ماله وأولاده عن ذكر الله فأُولَئِكَ هُمُ الخاسِرُونَ يقول: هم المغبونون حظوظهم من كرامة الله ورحمته تبارك وتعالى.

الآية : 10-11

القول في تأويل قوله تعالى: {وَأَنفِقُواْ مِن مّا رَزَقْنَاكُمْ مّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولُ رَبّ لَوْلاَ أَخّرْتَنِيَ إِلَىَ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصّدّقَ وَأَكُن مّنَ الصّالِحِينَ * وَلَن يُؤَخّرَ اللّهُ نَفْساً إِذَا جَآءَ أَجَلُهَآ وَاللّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ }.

يقول تعالى ذكره: وأنفقوا أيها المؤمنون بالله ورسوله من الأموال التي رزقناكم من قبل أن يأتي أحدكم الموت فيقول إذا نزل به الموت: يا ربّ هلا أخرتني فتُمْهِلَ لي في الأجل إلى أجل قريب. فأصدّق يقول: فأزكي مالي وأكُنْ مِنَ الصّالِحِينَ يقول: وأعمل بطاعتك, وأؤدّي فرائضك.

وقيل: عنى بقوله وَأكُنْ مِنَ الصالِحِينَ وأحجّ بيتك الحرام. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

26439ـ حدثني يونس وسعيد بن الربيع, قال سعيد, حدثنا سفيان, وقال يونس: أخبرنا سفيان, عن أبي جناب عن الضحاك بن مزاحم, عن ابن عباس, قال: ما من أحد يموت ولم يؤدّ زكاة ماله ولم يحجّ إلا سأل الكرّة, فقالوا: يا أبا عباس لا تزال تأتينا بالشيء لا نعرفه قال: فأنا أقرأ عليكم في كتاب الله: وأنْفِقُوا مِمّا رَزَقْناكُمْ مِنْ قَبْلِ أنْ يأْتِيَ أحَدَكُمْ المَوْتُ فَيَقُولَ رَبّ لَوْلا أخّرْتَنِي إلى أجَلٍ قَرِيبٍ فأصّدّقَ قال: أؤدي زكاة مالي وأكُنْ مِنَ الصّالِحِينَ قال: أحجّ.

26440ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا مهران, عن سفيان, عن أبي سنان, عن رجل, عن الضحاك, عن ابن عباس, قال: ما يمنع أحدكم إذا كان له مال يجب عليه فيه الزكاة أن يزكي, وإذا أطاق الحجّ أن يحجّ من قبل أن يأتيه الموت, فيسأل ربه الكرّة فلا يُعطاها, فقال رجل: أما تتقي الله, يسأل المؤمن الكرّة؟ قال: نعم, أقرأ عليكم قرآنا, فقرأ: يا أيّها الّذِينَ آمَنُوا لا

تُلْهِكُمْ أمْوَالُكُمْ وَلا أوْلادُكُم عَن ذِكْرِ اللّهِ فقال الرجل: فما الذي يـوجب علـيّ الحجّ, قال: راحلة تحمله, ونفقة تبلغه.
26441ـ حدثنا عباد بن يعقوب الأسديّ وفضـالة بـن الفضـل, قـال عبـاد: أخبرنا يزيد أبو حازم مولى الضحاك.
وقال فضالة: حدثنا بزيع عن الضحاك بن مزاحم في قوله: لَوْلا أخّرْتَنِي إلى أجَلٍ قَرِيبٍ فأصّدّقَ قال: فأتصـدّق بزكـاة مـالي وأكُـنْ مِـنَ الصّـالِحِينَ قـال: الحجّ.
26442ـ حُدثت عن الحسين, قال: سمعت أبا معـاذ يقـول: حـدثنا عبيـد, قال: سمعت الضحاك يقول في قوله: لا تُلْهِكُمْ أمْوَالُكُمْ وَلا أوْلاَدُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللّهِ إلى آخر السورة: هو الرجل المؤمن نزل به المـوت ولـه مـال كـثير لـم يزكه, ولم يحجّ منه, ولم يعط منه حق الله يسأل الرجعة عند الموت فيزكـي ماله, قال الله: وَلَنْ يُؤءَخّرَ اللّهُ نَفْسا إذَا جاءَ أجَلُها.
حدثني محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس, قوله لا تُلْهِكُمْ أمْوَالُكُمْ وَلا أوْلادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللّـهِ... إلـى قوله وأنْفِقُوا مِمّا رَزَقْناكُمْ مِنْ قَبْلِ أنْ يَأتي أحَدُكُمْ المَـوْتَ قـالَ: هـو الرجـل المؤمن إذا نزل به الموت وله مال لم يزكه ولم يحجّ منه, ولم يعط حقّ اللـه فيه, فيسأل الرجعة عند الموت ليتصـدّق مـن مـاله ويزكـي, قـال اللـه وَلَـنْ يُؤءَخّرَ اللّهُ نَفْسا إذَا جاءَ أجَلُها.
26443ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا مهران, عن سفيان فَأصّدّقَ وأكُنْ مِنَ الصّالِحِينَ قال: الزكاة والحج.
واختلفت القرّاء في قراءة قوله: وأكُنْ مِنَ الصّالِحِينَ فقرأ ذلك عامة قرّاء أهل الأمصار غير ابن محيصن وأبي عمرو: وأكن, جزما عطفا بها على تأويل قوله فأصّدّقَ لو لم تكن فيه الفاء, وذلك أن قوله: فأصّـدّقَ لـو لـم تكـن فيـه الفاء كان جزما. وقرأ ذلك ابن محيصن وأبو عمرو: «وأكُـونَ» بإثبـات الـواو ونصب «وأكونَ» عطفا به على قوله فأصّدّق فنصب قوله «وأكُونَ» إذ كـان قوله فأصّدّقَ نصبا.
والصواب من القول فـي ذلـك: أنهمـا قراءتـان معروفتـان, فبأيتهمـا قـرأ القارىء فمصيب.
وقوله: وَلَنْ يُؤءَخّرَ اللّهُ نَفْسا إذَا جاءَ أجَلُها يقول: لن يؤخر اللـه فـي أجـل أحد فيمدّ له فيه إذا حضر أجله, ولكنه يخترمه وَاللّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ يقـول: والله ذو خبرة وعلم بأعمال عبيده هو بجميعها محيط, لا يخفى عليـه شـيء, وهو مجازيهم بها, المحسنَ بإحسانه, والمسيىء بإساءته.

سورة التغابن

سورة التغابن مدنية
وآياتها ثماني عشرة
بسم الله الرحمَن الرحيـم

الآية : 1

القول فـي تأويـل قـوله تعـالى: {يُسَـبّحُ لِلّـهِ مَـا فِـي السّـمَاوَاتِ وَمَـا فِـي الأرْضِ لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَىَ كُلّ شَيْءٍ قَدِيرٌ }.

يقول تعالى ذكره: يسجد له ما في السموات السبع وما في الأرض من خلقه ويعظمه.

وقوله: لَهُ المُلْكُ يقول تعالى ذكره: له ملك السموات والأرض وسلطانه ماض قضاؤه في ذلك نافذ فيه أمره.

وقوله: وَلَهُ الحَمْدُ يقول: وله حمد كلّ ما فيها من خلق, لأن جميع من في ذلك من الخلق لا يعرفون الخير إلا منه, وليس لهم رازق سواه فله حمد جميعهم وَهُوَ على كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ يقول: وهو على كلّ شيء ذو قدرة, يقول: يخلق ما يشاء, ويميت من يشاء, ويغني من أراد, ويفقر من يشاء ويعزّ من يشاء, ويذلّ من يشاء, لا يتعذرّ عليه شيء أراده, لأنه ذو القدرة التامة التي لا يعجزه معها شيء.

الآية : 2

القول في تأويل قوله تعالى: {هُوَ الّذِي خَلَقَكُمْ فَمِنكُمْ كَافِرٌ وَمِنكُمْ مّؤْمِنٌ وَاللّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ }.

يقول تعالى ذكره: الله الّذِي خَلَقَكُمْ أيها الناس, وهو من ذكر اسم الله فَمِنكُمْ كافِرٌ وَمِنْكُمْ مِوءْمِنٌ يقول: فمنكم كافر بخالقه وأنه خلقه ومنكم مؤمن يقول: ومنكم مصدّق به موقن أنه خالقه أو بارئه وَاللّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ يقول: والله الذي خلقكم بصير بأعمالكم عالم بها, لا يخفى عليه منها شيء, وهو مجازيكم بها, فاتقوه أن تخالفوه في أمره أو نهيه, فيسطو بكم.

26444ـ حدثنا محمد بن منصور الطوسي, قال: حدثنا حسن بن موسى الأشيب, قال: حدثنا ابن لهيعة, قال: حدثنا بكر بن سوادة, عن أبي تميم الجيشاني, عن أبي ذرّ: «إن المَنِيّ إذ مكث في الرحم أربعين ليلة, أتى ملك النفوس, فعرج به إلى الجبار في راحته, فقال: أي ربّ عبدك هذا ذكر أم أنثى؟ فيقضي الله إليه ما هو قاض, ثم يقول: أي ربّ أشقيّ أم سعيد؟ فيكتب ما هو لاق». قال: وقرأ أبو ذرّ فاتحة التغابن خمس آيات.

الآية : 3

القول في تأويل قوله تعالى: {خَلَقَ السّمَاوَاتِ وَالأرْضَ بِالْحَقّ وَصَوّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ }.

يقول تعالى ذكره: خلق السموات السبع والأرض بالعدل والإنصاف, وصوّركم: يقول: ومثلكم فأحسن مثَلكم, وقيل: إنه عُنِي بذلك تصويره آدم, وخلقه إياه بيده. ذكر من قال ذلك:

26445ـ حدثني محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس خَلَقَ السّمَوَاتِ والأرْضَ بالحَقّ وَصَوّرَكُمْ فأحْسَنَ صُوَرَكُمْ يعني آدم خلقه بيده.

وقوله: وَإِلَيْهِ المَصِيرُ يقول: وإلى الله مرجع جميعكم أيها الناس.

الآية : 4

القول في تأويل قوله تعالى: {يَعْلَمُ مَا فِي السّمَاوَاتِ وَالأرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُسِرّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ وَاللّهُ عَلِيمُ بِذَاتِ الصّدُورِ }.

يقول تعالى ذكره: يعلم ربكم أيها الناس ما في السموات السبع والأرض من شيء, لا يخفى عليه من ذلك خافية وَيَعْلَمُ ما تُسِرّون أيها الناس بينكم من قول وعمل وَما تُعْلِنُونَ من ذلك فتظهرونه وَاللّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصّدُورِ يقول جلّ ثناؤه: والله ذو علم بضمائر صدور عباده, وما تنطوي عليه

نفوسهم, الذي هو أخفى من السرّ, لا يعزب عنه شيء من ذلك. يقول تعالى ذكره لعباده: احذَروا أن تسرّوا غير الذي تعلنون, أو تضمروا في أنفسكم غير ما تُبدونه, فإن ربكم لا يخفى عليه من ذلك شيء, وهو محص جميعه, وحافظ عليكم كله.

الآية : 5-6

القول في تأويل قوله تعالى: {أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَأُ الّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَبْلُ فَذَاقُواْ وَبَالَ أَمْرِهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ * ذَلِكَ بِأَنّهُ كَانَت تّأْتِيهِمْ رُسُلُهُم بِالْبَيّنَاتِ فَقَالُوَاْ أَبَشَرٌ يَهْدُونَنَا فَكَفَرُواْ وَتَوَلّواْ وّاسْتَغْنَىَ اللّهُ وَاللّهُ غَنِيّ حَمِيدٌ }.

يقول تعالى ذكره لمشركي قريش: ألم يأتكم أيها الناس خبر الذين كفروا من قبلكم, وذلك كقوم نوح وعاد وثمود وقوم إبراهيم وقوم لوط فَذَاقُوا وَبالَ أَمْرِهِمْ فمسّهم عذاب الله إياهم على كفرهم وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ يقول: ولهم عذاب مؤلم موجع يوم القيامة في نار جهنم, مع الذي أذاقهم الله في الدنيا وبال كفرهم.

وقوله: ذلكَ بأنّهُ كانَتْ تأْتِيهِمْ رُسُلُهُمْ بالبَيّناتِ يقول: جلّ ثناؤه: هذا الذي نال الذين كفروا من قبل هؤلاء المشركين من وبال كفرهم, والذي أعدّ لهم ربهم يوم القيامة من العذاب, من أجل أنه كانت تأتيهم رسلهم بالبينات الذي أرسلهم إليهم ربهم بالواضحات من الأدلة والإعلام على حقيقة ما يدعونهم إليه, فقالوا لهم: أَبَشَرٌ يهدوننا؟ استكبارا منهم أن تكون رسل الله إليهم بشرا مثلهم واستكبارا عن اتباع الحقّ من أجل أن بشرا مثلهم دعاهم إليه وجمع الخبر عن البشر, فقيل: يهدوننا, ولم يقل: يهدينا, لأن البشر, وإن كان في لفظ الواحد, فإنه بمعنى الجميع.

وقوله: فَكَفَرُوا وَتَوَلّوْا يقول: فكفروا بالله, وجحدوا رسالة رسله الذين بعثهم الله إليهم استكبارا وَتَوَلّوا يقول: وأدبروا عن الحقّ فلم يقبلوه, وأعرضوا عما دعاهم إليه رسلهم واسْتَغْنَى اللّهُ يقول: واستغنى الله عنهم, وعن إيمانهم به وبرسله, ولم تكن به إلى ذلك منهم حاجة وَاللّهُ غَنِيّ حَمِيدٌ يقول: والله غنيّ عن جميع خلقه, محمود عند جميعهم بجميل أياديه عندهم, وكريم فعاله فيهم.

الآية : 7

القول في تأويل قوله تعالى: {زَعَمَ الّذِينَ كَفَرُوَاْ أَن لّن يُبْعَثُواْ قُلْ بَلَىَ وَرَبّي لَتُبْعَثُنّ ثُمّ لَتُنَبّؤُنّ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَلِكَ عَلَى اللّهِ يَسِيرٌ }.

يقول تعالى ذكره: زعم الذين كفروا بالله أن لن يبعثهم الله إليه من قبورهم بعد مماتهم. وكان ابن عمر يقول: زعم كنية الكذب.

26446ـ حدثني بذلك محمد بن نافع البصريّ, قال: حدثنا عبد الرحمن بن مهدي, عن سفيان, عن بعض أصحابه عن ابن عمر.

وقوله: قُلْ بَلى ورَبّي لَتُبْعَثُنّ يقول لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: قل لهم يا محمد: بلى وربي لتبعثن من قبوركم ثُمّ لَتُنَبّؤنّ بِمَا عَمِلْتُمْ يقول: ثم لتخبرنّ بأعمالكم التي عملتموها في الدنيا, وذَلكَ علَى اللّهِ يَسِيرٌ يقول: وبعثكم من قبوركم بعد مماتكم على الله سهل هين.

الآية : 8

القول في تأويل قوله تعالى: {فَآمِنُواْ بِاللّهِ وَرَسُولِهِ وَالنّورِ الّذِيَ أَنزَلْنَا وَاللّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ }.

يقول تعالى ذكره: فصدّقوا بالله ورسوله أيها المشركون المكذّبون بالبعث, وبإخباره إياكم أنكم مبعوثون من بعد مماتكم, وأنكم من بعد بلائكم تنشرون من قبوركم, والنور الذي أنزلنا يقول: وآمنوا بالنور الذي أنزلنا, وهو هذا القرآن الذي أنزله الله على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم وَاللّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ يقول تعالى ذكره: والله بأعمالكم أيها الناس ذو خبرة محيط بها, محصٍ جميعها, لا يخفى عليه منها شيء, وهو مجازيكم على جميعها.

الآية : 9

القول في تأويل قوله تعالى: {يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ الْجَمْعِ ذَلِكَ يَوْمُ التَّغَابُنِ وَمَن يُؤْمِن بِاللّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحاً يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَآ أَبَداً ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ }.

يقول تعالى ذكره: والله بما تعملون خبير يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ الجَمْعِ الخلائق للعرض ذلكَ يَوْمَ التّغابُنِ يقول: الجمع يوم غَبْن أهلِ الجنة أهلَ النار. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

26447ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء, جميعا عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, في قول الله: ذَلك يَوْمُ التّغابُنِ قال: هو غبن أهل الجنة أهلَ النار.

26448ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ الجَمْعِ هو يوم القيامة, وهو يوم التغابن: يوم غَبن أهلِ الجنة أهلَ النار.

26449ـ حدثني عليّ, قال: حدثنا أبو صالح, قال: ثني معاوية, عن عليّ, عن ابن عباس, في قوله: ذلك يَوْمُ التّغابُنِ من أسماء يوم القيامة, عظّمه وحذّره عبادَه.

وقوله: وَمَنْ يُوءْمِنْ باللّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحا يقول تعالى ذكره: ومن يصدّق بالله ويعمل بطاعته, وينته إلى أمره ونهيه يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيّئاتِهِ يقول: يمح عنه ذنوبه وَيُدْخِلْهُ جَنّاتٍ تَجْري مِنْ تَحْتِها الأنهارُ يقول: ويُدخله بساتين تجري من تحت أشجارها الأنهار.

وقوله: خالِدينَ فِيها أبَدا يقول: لابثين فيها أبدا, لا يموتون, ولا يخرجون منها.

وقوله: ذلكَ الفَوْزُ العَظِيمُ يقول: خلودهم في الجنات التي وصفنا النجاء العظيم.

الآية : 10

القول في تأويل قوله تعالى: {وَالّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذّبُواْ بِآيَاتِنَآ أُوْلَـئِكَ أَصْحَابُ النّارِ خَالِدِينَ فِيهَا وَبِئْسَ الْمَصِيرُ }.

يقول تعالى ذكره: والذين جحدوا وحدانية الله, وكذّبوا بأدلته وحججه وآي كتابه الذي أنزله على عبده محمد صلى الله عليه وسلم أولَئِكَ أصحَابُ النّارِ هُمْ فِيها خالِدُونَ يقول: ماكثين فيها أبدا لا يموتون فيها, ولا يخرجون منها وَبِئْسَ المَصِيرْ يقول: وبئس الشيء الذي يُصَار إليه جهنم.

الآية : 11

القول في تأويل قوله تعالى: {مَآ أَصَابَ مِن مّصِيبَةٍ إِلاّ بِإِذْنِ اللّهِ وَمَن يُؤْمِن بِاللّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ وَاللّهُ بِكُلّ شَيْءٍ عَلِيمٌ }.

يقول تعالى ذكره: لم يصب أحدا من الخلق مصيبة إلا بإذن الله, يقول: إلا بقضاء الله وتقديره ذلك عليه وَمَنْ يُوءْمِنْ باللّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ يقول: ومن يصدّق بالله فيعلم أنه لا أحد تصيبه مصيبة إلا بإذن الله بذلك يهد قلبه: يقول: يوفّق الله قلبه بالتسليم لأمره والرضا بقضائه. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

26450ـ حدثني عليّ, قال: حدثنا أبو صالح, قال: ثني معاوية, عن عليّ, عن ابن عباس قوله: وَمَنْ يُوءْمِنْ باللّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ يعني: يهد قلبه لليقين, فيعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه, وما أخطأه لم يكن ليصيبه.

26451ـ حدثني نصر بن عبد الرحمن الوشاء الأوديّ, قال: حدثنا أحمد بن بشير, عن الأعمش, عن أبي ظبيان قال: كنا عند علقمة, فقرىء عنده هذه الآية: وَمَنْ يُوءْمِنْ باللّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ فسُئل عن ذلك فقال: هو الرجل تصيبه المصيبة, فيعلم أنها من عند الله, فيسلم ذلك ويرضى.

حدثني عيسى بن عثمان الرملي, قال: حدثنا يحيى بن عيسى, عن الأعمش, عن أبي ظبيان, قال: كنت عند علقمة وهو يعرض المصاحف, فمرّ بهذه الآية: ما أصَابَ مِنْ مُصَيبَةٍ إلا بإذْنِ اللّهِ وَمَنْ يُوءْمِنْ باللّهِ يَهْدِ قَلبَهُ قال: هو الرجل... ثم ذكر نحوه.

حدثنا ابن بشار, قال: حدثنا أبو عامر, قال: حدثنا سفيان, عن الأعمش, عن أبي ظبيان, عن علقمة, في قوله: ما أصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ إلا بإذْنِ اللّهِ, وَمَنْ يُوءْمِنْ باللّهِ يَهْدِ قَلْبُهْ قال: هو الرجل تصيبه المصيبة, فيعلم أنها من عند الله فيسلم لها ويرضَى.

حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: ثني ابن مهدي, عن الثوري, عن الأعمش, عن أبي ظبيان, عن علقمة مثله غير أنه قال في حديثه: فيعلم أنها من قضاء الله, فيرضى بها ويسلم.

وقوله: وَاللّهُ بِكُلّ شَيْءٍ عَلِيمٌ يقول: والله بكلّ شيء ذو علم بما كان ويكون وما هو كائن من قبل أن يكون.

الآية : 12-13

القول في تأويل قوله تعالى: {وَأَطِيعُواْ اللّهَ وَأَطِيعُواْ الرّسُولَ فَإِن تَوَلّيْتُمْ فَإِنّمَا عَلَىَ رَسُولِنَا الْبَلاَغُ الْمُبِينُ * اللّهُ لاَ إِلَـهَ إِلاّ هُوَ وَعَلَى اللّهِ فَلْيَتَوَكّلِ الْمُؤْمِنُونَ }.

يقول تعالى ذكره: وأطيعُوا اللّهَ أيها الناس في أمره ونهيه وأطيعُوا الرّسُولَ صلى الله عليه وسلم فإن توليتم فإن أدبرتم عن طاعة الله وطاعة رسوله مستكبرين عنها, فلم تطيعوا الله ولا رسوله فإنما فليسَ على رسولنا محمد إلاّ البلاغُ المبينُ أنه بلاغ إليكم لما أرسلته به يقول جلّ ثناؤه: فقد أعذر إليكم بالإبلاغ والله وليّ الانتقام ممن عصاه, وخالف أمره, وتولى عنه اللّهُ لا إلَهَ إلا هو يقول جلّ ثناؤه: معبودكم أيها الناس معبود واحد لا تصلح العبادة لغيره ولا معبود لكم سواه.

وَعَلى الله فَلْيَتَوَكّل المُوءْمِنُون يقول تعالى ذكره: وعلى الله أيها الناس فليتوكل المصدّقون بوحدانيته.

الآية : 14

القول في تأويل قوله تعالى: {يَأَيّهَا الّذِينَ آمَنُوَاْ إِنّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلاَدِكُمْ عَدُوّاً لّكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ وَإِن تَعْفُواْ وَتَصْفَحُواْ وَتَغْفِرُواْ فَإِنّ اللّهَ غَفُورٌ رّحِيمٌ }.

يقول تعالى ذكره: يا أيها الذين صدّقوا الله ورسوله إن مِنْ أزْوَاجِكُمْ وأوْلادِكُمْ عَدُوّا لكُمْ يَصدّونكم عن سبيل الله, ويثبطونكم عن طاعة الله فاحْذَرُوهُمْ أن تقبلوا منهم ما يأمرونكم به من ترك طاعة الله.

وذُكر أن هذه الآية نزلت في قوم كانوا أرادوا الإسلام والهجرة, فثّبطهم عن ذلك أزواجهم وأولادهم. ذكر من قال ذلك:

26452ـ حدثنا أبو كُرَيب, قال: حدثنا يحيى بن آدم وعبيد الله بن موسى, عن إسرائيل, عن سماك, عن عكرمة, عن ابن عباس, قال: سأله رجل عن هذه الآية يا أيّها الّذِينَ آمَنُوا إنّ مِنْ أزْوَاجِكُمْ وأوْلادِكُم عَدُوّا لَكُمْ فاحْذَرُوهُمْ قال: هؤلاء رجال أسلموا, فأرادوا أن يأتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم, فأبى أزواجهم وأولادهم أن يدعوهم يأتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما أتَوا رسول الله صلى الله عليه وسلم, فرأوا الناس قد فقهوا في الدين, هموا أن يعاقبوهم, فأنزل الله جلّ ثناؤه يا أيّها الّذِينَ آمَنُوا إنّ مِنْ أزْوَاجِكُمْ وأوْلادِكُم... الآية.

26453ـ حدثنا هناد بن السريّ, قال: حدثنا أبو الأحوص, عن سماك, عن عكرمة, في قوله يا أيّها الّذِينَ آمَنُوا إنّ مِنْ أزْوَاجِكُمْ وأوْلادِكُم عَدُوّا لَكُمْ فاحْذَرُوهُمْ قال: كان الرجل يريد أن يأتي النبيّ صلى الله عليه وسلم, فيقول له أهله: أين تذهب وتدعنا؟ قال: وإذا أسلم وفَقِه, قال: لأرجعنّ إلى الذين كانوا ينهون عن هذا الأمر فلأفعلنّ ولأفعلنّ, فأنزل الله جلّ ثناؤه: وَإنْ تَعْفُوا وتَصْفَحُوا وتَغْفِرُوا فإن اللّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ.

حدثني محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس, قوله يا أيّها الّذِينَ آمَنُوا إنّ مِنْ أزْوَاجِكُمْ وأوْلادِكُم عَدُوّا لَكُمْ فاحْذَرُوهُمْ كان الرجل إذا أراد أن يهاجر من مكة إلى المدينة تمنعه زوجته وولده, ولم يألُوا يثبطوه عن ذلك, فقال الله: إنهم عدوّ لكم فاحذروهم واسمعوا وأطيعوا, وامضُوا لشأنكم, فكان الرجل بعد ذلك إذا مُنِع وثُبط مرّ بأهله وأقسم, والقسم يمين ليفعلنّ وليعاقبنّ أهله في ذلك, فقال الله جلّ ثناؤه وَإنْ تَعْفُوا وَتَصْفَحُوا وتَغْفِرُوا فإن اللّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ.

26454ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا سلمة, قال: ثني محمد بن إسحاق, عن بعض أصحابه, عن عطاء بن يسار قال: نزلت سورة التغابن كلها بمكة, إلا هؤلاء الآيات يا أيّها الّذِينَ آمَنُوا إنّ مِنْ أزْوَاجِكُمْ وأوْلادِكُم عَدُوّا لَكُمْ فاحْذَرُوهُمْ نزلت في عوف بن مالك الأشجعيّ, كان ذا أهل وولد, فكان إذا أراد الغزو بكوا إليه ورقّقوه, فقالوا: إلى من تَدعنا؟ فيرقّ ويقيم, فنزلت: يا أيّها الّذِينَ آمَنُوا إنّ مِنْ أزْوَاجِكُمْ وأوْلادِكُم عَدُوّا لَكُمْ فاحْذَرُوهُمْ. الآية كلها بالمدينة في عوف بن مالك وبقية الآيات إلى آخر السورة بالمدينة.

26455ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء, جميعا عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, في قوله إنّ مِنْ أزْوَاجِكُمْ وأوْلادِكُم عَدُوّا لَكُمْ فاحْذَرُوهُمْ قال: إنهما يحملانه على قطيعة رحمه, وعلى معصية ربه, فلا يستطيع مع حبه إلا أن يقطعه.

حدثني الحارث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء, جميعا عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد مثله, إلا أنه قال: فلا يستطيع مع حبه إلا أن يطيعه.

26456ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: يا أيّها الّذِينَ آمَنُوا إنّ مِنْ أزْوَاجِكُمْ وأوْلادِكُم عَـدُوّا لَكُـمْ فاحْـذَرُوهُمْ... الآيـة, قال: منهم من لا يأمر بطاعة الله, ولا ينهى عن معصيته, وكانوا يبطّئون عن الهجرة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن الجهاد.

حدثنا ابن عبد الأعلى, قال: حدثنا ابن ثور, عن معمر, عن قتادة, في قوله إنّ مِنْ أزْوَاجِكُمْ وأوْلادِكُم عَدُوّا لَكُـمْ فاحْـذَرُوهُمْ قـال: ينهـون عـن الإسـلام, ويُبَطّئُون عنه, وهم من الكفار فاحذروهم.

26457ـ حُدثت عن الحسين, قال: سمعت أبا معـاذ يقـول: حـدثنا عبيـد, قال: سمعت الضحاك يقول في قوله يـا أيّهـا الّـذِينَ آمَنُـوا إنّ مِـنْ أزْوَاجِكُـمْ وأوْلادِكُم عَدُوّا لَكُمْ فاحْذَرُوهُمْ... الآية, قال: هذا في أناس من قبائل العـرب كان يسلم الرجـل أو النفـر مـن الحـيّ, فيخرجـون مـن عشـائرهم ويـدعون أزواجهم وأولادهم وآباءهم عامدين إلى النبيّ صلى الله عليـه وسـلم فتقـوم عشائرهم وأزواجهم وأولادهم وآباؤهم, فيناشدونهم الله أن لا يفارقوهم, ولا يؤثروا عليهم غيرهم, فمنهم من يَرِقّ ويرجع إليهم, ومنهم مـن يمضـي حـتى يلحق بنبيّ الله صلى الله عليه وسلم.

26458ـ حدثنا أبو كريب, قال: حدثنا عثمان بن ناجية وزيد بن حباب, قالا: حدثنا يحيى بن واضح, جميعا عن الحسين بن واقد, قال: ثنـي عبـد اللـه بـن بريدة, عن أبيه, قال: رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يخطب, فجـاء الحسـن والحسـين رضـي اللـه عنهمـا عليهمـا قميصـان أحمـران يعـثران ويقومـان, فنـزل رسـول اللـه صـلى اللـه عليـه وسـلم, فأخـذهما فرفعهمـا فوضعهما في حِجْرِه ثم قال: «صَدَقَ اللّهُ وَرَسُـولُهُ: إنّمـا أمْـوَالُكُمْ وأوْلادُكُـمْ فِتْنَةً رأيْتُ هَذَيْنِ فَلَمْ أصْبِرْ» ثم أخذ في خطبته اللفظ لأبي كريب عن زيد.

26459ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قـال ابـن زيـد, فـي قوله: إنّ مِنْ أزْوَاجِكُمْ وأوْلادِكُمْ عَدُوّا لَكُمْ قال: يقول: عدوّا لكم في دينكـم, فاحذروهم على دينكم.

26460ـ حدثني محمد بن عمرو بن عليّ المقدميّ, قال: حدثنا أشعث بن عبد الله, قال: حدثنا شعبة, عن إسماعيل بن أبي خالـد, فـي قـوله: إنّ مِـنْ أزْوَاجِكُمْ وأوْلادِكُمْ عَدُوّا لَكُمْ فاحْذَرُوهُمْ قال: كان الرجل يسلم, فيلومه أهله وبنوه, فنزلت: إنّ مِنْ أزْوَاجِكُمْ وأوْلادِكُمْ عَدُوّا لَكُمْ.

وقوله: وَإنْ تَعْفُوا وَتَصْفَحُوا يقول: وإن تعفـوا أيهـا المؤمنـون عم ا سـلف منهم من صدّهم إياكم عن الإسـلام والهجـرة وتصـفحوا لهـم عـن عقـوبتكم إياهم على ذلك, وتغفروا لهم غير ذلك من الذنوب فإنّ اللّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ لكـم لمن تاب من عباده, من ذنوبكم رحيمٌ بكم أن يعاقبكم عليها من بعد تـوبتكم منها.

الآية : 15-16

القول فـي تأويـل قوله تعالى: {إِنّمَآ أَمْـوَالُكُمْ وَأَوْلاَدُكُـمْ فِتْنَـةٌ وَاللّـهُ عِنْـدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ * فَاتّقُواْ اللّـهَ مَـا اسْـتَطَعْتُمْ وَاسْـمَعُواْ وَأَطِيعُـواْ وَأَنْفِقُـواْ خَيْـراً لأنفُسِكُمْ وَمَن يُوقَ شُحّ نَفْسِهِ فَأُوْلَـئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ }.

يقول تعالى ذكره: ما أموالكم أيها النـاس وأولادكـم إلا فتنـة, يعنـي بلاء عليكم في الدنيا. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويـل. ذكـر مـن قـال ذلك:

26461ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: إنّما أمْوالُكُمْ وأوْلادُكُمْ فِتْنَةٌ يقول: بلاء.

وقوله: وَاللّهُ عِنْدَهُ أجْرٌ عَظِيمٌ يقول: والله عند ثواب لكم عظيم, إذا أنتم خالفتم أولادكم وأزواجكم في طاعة الله ربكم, وأطعتم الله عزّ وجلّ, وأدّيتم حقّ الله في أموالكم, والأجر العظيم الذي عند الله الجنة, كما:

26462ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة وَاللّهُ عِنْدَهُ أجْرٌ عَظِيمٌ وهي الجنة.

وقوله: فاتّقُوا اللّهَ ما اسْتَطَعْتُمْ يقول تعالى ذكره: واحذروا الله أيها المؤمنون وخافوا عقابه, وتجنبوا عذابه بأداء فرائضه واجتناب معاصيه, والعمل بما يقرّب إليه ما أطقتم وبلَغه وسعكم.

وذُكر أن قوله: فاتّقُوا اللّهَ ما اسْتَطَعْتُمْ نزل بعد قوله: اتّقُوا اللّهَ حَقّ تُقاتِهِ تخفيفا عن المسلمين, وأن قول فاتّقُوا اللّهَ ما اسْتَطَعْتُمْ ناسخ قوله: اتّقُوا اللّهَ حَقّ تُقاتِهِ. ذكر من قال ذلك:

26463ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: فاتّقُوا اللّهَ ما اسْتَطَعْتُمْ واسمَعُوا وأطيعُوا هذه رخصة من الله, والله رحيم بعباده, وكان الله جلّ ثناؤه أنزل قبل ذلك: اتّقُوا اللّهَ حَقّ تُقاتِهِ وحقّ تقاته أن يُطاع فلا يعصى, ثم خفّف الله تعالى ذكره عن عباده, فأنزل الرخصة بعد ذلك فقال: فاتقوا الله ما استطعتم واسمعوا وأطيعوا فبما استطعت يا ابن آدم, عليها بايع رسول الله صلى الله عليه وسلم على السمع والطاعة فيما استطعتم.

حدثنا ابن عبد الأعلى, قال: حدثنا ابن ثور, عن معمر, عن قتادة, في قوله: اتّقُوا اللّهَ حَقّ تُقاتِهِ قال: نسختها: اتّقُوا اللّهَ ما اسْتَطَعْتُمْ.

وقد تقدم بياننا عن معنى الناسخ والمنسوخ بما أغنى عن إعادته في هذا الموضع وليس في قوله: فاتّقُوا اللّهَ ما اسْتَطَعْتُمْ دلالة واضحة على أنه لقوله: اتّقُوا اللّهَ حَقّ تُقاتِهِ ناسخ, إذ كان محتملاً قوله: اتقوا الله حقّ تقاته فيما استطعتم, ولم يكن بأنه له ناسخ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم, فإذا كان ذلك كذلك, فالواجب استعمالهما جميعا على ما يحتملان من وجوه الصحة.

وقوله: واسمَعُوا وأطِيعُوا يقول: واسمعوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم, وأطيعوه فيما أمركم به ونهاكم عنه وَأنْفِقُوا خَيْرا لأنْفُسِكُمْ يقول: وأنفقوا مالاً من أموالكم لأنفسكم تستنقذوها من عذاب الله, والخير في هذا الموضع المال.

وقوله: وَمَنْ يُوقَ شُحّ نَفْسِهِ فأُولَئِكَ هُمُ المُفْلحُونَ يقول تعالى ذكره: ومن يَقِه الله شحّ نفسه, وذلك اتباع هواها فيما نهى الله عنه. ذكر من قال ذلك:

26464ـ حدثني عليّ, قال: حدثنا أبو صالح, قال: ثني أبو معاوية, عن عليّ, عن ابن عباس, قوله: وَمَنْ يُوقَ شُحّ نَفْسِهِ يقول: هوى نفسه حيث يتبع هواه ولم يقبل الإيمان.

26465ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا مهران, عن سفيان, عن جامع بن شدّاد, عن الأسود بن هلال, عن ابن مسعود وَمَنْ يُوقَ شُحّ نَفْسِهِ قال: أن يعمد إلى مال غيره فيأكله.

وقوله: فأُولَئِكَ هُمُ المُفْلحُونَ يقول: فهؤلاء الذين وُقُوا شح أنفسهم, المُنجحون الذين أدركوا طلباتهم عند ربهم.

الآية : 17-18

القول في تأويل قوله تعالى: {إِن تُقْرِضُواْ اللّهَ قَرْضاً حَسَناً يُضَاعِفْهُ لَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ * عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشّهَادَةِ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ }.

يقول تعالى ذكره: وإن تنفقوا في سبيل الله, فتحسنوا فيها النفقة, وتحتسبوا بإنفاقكم الأجر والثواب يضاعف ذلك لكم ربكم, فيجعل لكم مكان الواحد سبع مئة ضعف إلى أكثر من ذلك مما يشاء من التضعيف يَغفرْ لكُم ذُنوبَكُم فيصفح لكم عن عقوبتكم عليها مع تضعيفه نفقتكم التي تنفقون في سبيله وَاللّهُ شَكُورٌ يقول: والله ذو شكر لأهل الإنفاق في سبيله, بحسن الجزاء لهم على ماأنفقوا في الدنيا في سبيله حَلِيمٌ يقول: حليم عن أهل معاصيه بترك معاجلتهم بعقوبته عالِمُ الغَيْبِ والشّهادَةِ يقول: عالم ما لا تراه أعين عباده ويغيب عن أبصارهم وما يشاهدونه فيرونه بأبصارهم العَزِيزُ يعني الشديد في انتقامه ممن عصاه وخالف أمره ونهيه الْحَكِيمُ في تدبيره خلقه, وصرفه إياهم فيما يصلحهم.

سورة الطلاق

سورة الطلاق مدنية
وآياتها اثنتا عشرة
بسم الله الرحمَن الرحيم

الآية : 1-3

القول في تأويل قوله تعالى:{يَأيّهَا النّبِيّ إِذَا طَلّقْتُمُ النّسَآءَ فَطَلّقُوهُنّ لِعِدّتِهِنّ وَأَحْصُواْ الْعِدّةَ وَاتّقُواْ اللّهَ رَبّكُمْ لاَ تُخْرِجُوهُنّ مِن بُيُوتِهِنّ وَلاَ يَخْرُجْنَ إِلاّ أَن يَأتِينَ بِفَاحِشَةٍ مّبَيّنَةٍ وَتِلْكَ حُدُودُ اللّهِ وَمَن يَتَعَدّ حُدُودَ اللّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ لاَ تَدْرِى لَعَلّ اللّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْراً * فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنّ فَأَمْسِكُوهُنّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنّ بِمَعْرُوفٍ وَأَشْهِدُواْ ذَوَي عَدْلٍ مّنكُمْ وَأَقِيمُواْ الشّهَادَةَ لِلّهِ ذَلِكُمْ يُوعَظُ بِهِ مَن كَانَ يُؤْمِنُ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَمَن يَتّقِ اللّهَ يَجْعَل لّهُ مَخْرَجاً * وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لاَ يَحْتَسِبُ وَمَن يَتَوَكّلْ عَلَى اللّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنّ اللّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللّهُ لِكُلّ شَيْءٍ قَدْراً }.

يعني تعالى ذكره بقوله: يا أيّها النّبِيّ إِذَا طَلّقْتُمُ النّساءَ فَطَلّقُوهُنّ لِعِدتِهِنّ يقول: إذا طلقتم نساءكم فطلقوهنّ لطهرهنّ الذي يحصينه من عدّتهن, طاهرا من غير جماع, ولا تطلقوهنّ بحيضهنّ الذي لا يعتددن به من قُرْئهنّ. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

26466ـ حدثنا أبو كريب, قال: حدثنا ابن إدريس, قال: سمعت الأعمش, عن مالك بن الحارث, عن عبد الرحمن بن يزيد, عن عبد الله, قال: الطلاق للعدّة طاهرا من غير جماع.

حدثنا ابن بشار, قال: حدثنا عبد الرحمن, قال: حدثنا سفيان, عن الأعمش, عن مالك بن الحارث, عن عبد الرحمن بن يزيد, عن عبد الله فَطَلّقُوهُن لِعِدّتِهِنّ قال: بالطهر في غير جماع.

حدثنا ابن بشار, قال: حدثنا عبد الرحمن, قال: حدثنا سفيان, عن منصور, عن إبراهيم, عن عبد الله إِذَا طَلّقْتُمُ النّساءَ فَطَلّقُوهُنّ لِعِدتِهِنّ يقول: إذا طلقتم قال: الطهر في غير جماع.

حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا جرير, عن منصور, عن إبراهيم, عن عبد الله فَطَلِّقُوهُنّ لِعِدّتِهِنّ قال: طاهرا من غير جماع.
26467ـ حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا يونس بن بكير, عن محمد بن إسحاق, عن داود بن حصين, عن عكرمة, عن ابن عباس, أنه كان يرى طلاق السنة طاهرا من غير جماع, وفي كلّ طهر, وهي العدّة التي أمر الله بها.
26468ـ حدثنا ابن المثنى, قال: حدثنا محمد بن جعفر, قال: حدثنا شعبة, عن عبد الله بن أبي نجيح, عن حميد الأعرج, عن مجاهد, أن رجلاً سأل ابن عباس فقال: إنه طلق امرأته مئة, فقال: عصيت ربك, وبانت منك امرأتك, ولم تتق الله فيجعل لك مخرجا, وقرأ هذه الآية: وَمَنْ يَتّقِ اللّه يَجْعَل لَهُ مَخْرَجا, وقال: «يا أيّها النّبِيّ إذَا طَلّقْتُمُ النّساءَ فَطَلّقُوهُنّ لِعِدتِهِنّ».
حدثنا ابن المثنى, قال: حدثنا عبد الصمد بن عبد الوارث, قال: حدثنا شعبة, عن حميد الأعرج, عن مجاهد, عن ابن عباس بنحوه.
26469ـ حدثني يعقوب بن إبراهيم, قال: حدثنا ابن علية, قال: حدثنا أيوب, عن عبد الله بن كثير, عن مجاهد, قال: كنت عند ابن عباس, فجاءه رجل فقال: إنه طلق امرأته ثلاثا, فسكت حتى ظننا أنه رادّها عليه, ثم قال: ينطلق أحدكم فيركب الحموقة, ثم يقول: يا ابن عباس يا ابن عباس, وإن الله عزّ وجلّ قال: وَمَنْ يَتّقِ اللّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجا وإنك لم تتق الله فلا أجد لكِ مخرجا, عصيت ربك, وبانت منك امرأتك, قال الله: «يا أيّها النّبِيّ إذَا طَلّقْتُمُ النّساءَ فَطَلّقُوهُنّ فِي قُبُلِ عِدتِهِنّ».
حدثنا محمد بن المثنى, قال: حدثنا محمد بن جعفر, قال: حدثنا شعبة, عن الحكم, قال: سمعت مجاهدا يحدّث عن ابن عباس في هذه الآية: يا أيّها النّبِيّ إذَا طَلّقْتُمْ النّساءَ فَطَلّقُوهُنّ لِعِدّتِهِنّ قال ابن عباس: في قبل عدتهنّ.
26470ـ حدثنا ابن بشار, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا سفيان, عن إسماعيل بن أمية, عن عبد الله بن كثير, عن مجاهد, أنه قرأ: «فَطَلّقُوهُنّ فِي قُبُلِ عِدّتِهِنّ».
26471ـ حدثنا العباس بن عبد العظيم, قال: حدثنا جعفر بن عون, قال: أخبرنا سفيان, عن منصور, عن مجاهد فَطَلّقُوهُنّ لِعِدّتِهِنّ قال: طاهرا في غير جماع.
26472ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا هارون بن المغيرة, عن إسماعيل بن مسلم, عن الحسن, في قوله: فَطَلّقُوهنّ لِعِدّتِهِنّ قال: طاهرا من غير حيض, أو حاملاً قد استبان حملها.
26473ـ قال: ثنا هارون, عن عيسى بن يزيد بن دأب, عن عمرو, عن الحسن وابن سيرين, فيمن أراد أن يطلق ثلاث تطليقات جميعا في كلمة واحدة, أنه لا بأس به بعد أن يطلقها في قبل عدتها, كما أمره الله وكانا يكرهان أن يطلق الرجل امرأته تطليقة, أو تطليقتين, أو ثلاثا, إذا كان بغير العدّة التي ذكرها الله.
26474ـ حدثني يعقوب بن إبراهيم, قال: حدثنا هشيم, قال: أخبرنا عون, عن ابن سيرين أنه قال في قوله فَطَلّقُوهُنّ لِعِدّتِهِنّ قال: يطلقها وهي طاهر من غير جماع, أو حَبل يستبين حملها.

حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء, جميعا عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد في قول الله عزّ وجلّ: فَطَلِّقُوهُنّ لِعِدّتِهِنّ قال: لطهرهنّ.

26475ـ حدثنا عليّ بن عبد الأعلى المحاربيّ, قال: حدثنا المحاربيّ, عن جويبر, عن الضحاك, في قول الله يا أيّها النّبِيّ إذَا طَلّقْتُمُ النّساءَ فَطَلّقُوهُنّ لِعِدتِهِنّ قال: العدة: القُرْء, والقُرء: الحيض. والطاهر: الطاهر من غير جماع, ثم تستقبل ثلاث حِيَض.

26476ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: يا أيّها النّبِيّ إذَا طَلّقْتُمُ النّساءَ فَطَلّقُوهُنّ لِعِدتِهِنّ والعدة: أن يطلقها طاهرا من غير جماع تطليقة واحدة.

26477ـ حدثنا ابن عبد الأعلى, قال: حدثنا ابن ثور, عن معمر, عن قتادة, في قوله فَطَلّقُوهُنّ لِعِدّتِهِنّ قال: إذا طهرت من الحيض في غير جماع, قلت: كيف؟ قال: إذا طهرت فطلقها من قبل أن تمسها, فإن بدا لك أن تطلقها أخرى تركتها حتى تحيض حيضة أخرى, ثم طلقها إذا طهرت الثانية, فإذا أردت طلاقها الثالثة أمهلتها حتى تحيض, فإذا طهرت الثالثة, ثم تعتدّ حيضة واحدة, ثم تنكح إن شاءت.

26478ـ قال: ثنا ابن ثور, عن معمر, قال: وقال ابن طاوس: إذا أردت الطلاق فطلقها حين تطهر, قبل أن تمسها تطليقة واحدة, لا ينبغي لك أن تزيد عليها, حتى تخلو ثلاثة قروء, فإن واحدة تبينها.

26479ـ حُدثت عن الحسين, قال: سمعت أبا معاذ يقول: حدثنا عبيد, قال: سمعت الضحاك يقول في قوله فَطَلّقُوهُنّ لِعِدّتِهِنّ يقول: طلّقها طاهرا من غير جماع.

26480ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله: فَطَلّقُوهُنّ لِعِدّتِهِنّ قال: إذا طلقتها للعدة كان مِلكُها بيدك. من طلّق للعدة جعل الله له في ذلك فسحة, وجعل له مِلْكا إن أراد أن يرتجع قبل أن تنقضي العدة ارتجع.

26481ـ حدثنا محمد بن الحسين, قال: حدثنا أحمد بن مفضل, قال: حدثنا أسباط, عن السديّ, في قوله: إذَا طَلّقْتُمُ النّساءَ فَطَلّقُوهُنّ لِعِدّتِهِنّ قال: طاهرا في غير جماع, فإن كانت لا تحيض, فعند غرّة كل هلال.

26482ـ حدثني أبو السائب, قال: حدثنا ابن إدريس, عن عبيد الله, عن نافع, عن ابن عمر, قال: طلّقت امرأتي وهي حائض قال: فأتى عمر رسول الله صلى الله عليه وسلم يخبره بذلك, فقال: «مُرْهُ فَلْيُرَاجِعها حتى تَطْهُرَ, ثُمّ تَحِيضَ, ثُمّ تَطْهُرَ, ثُمّ إنْ شاءَ طَلّقَها قَبْلَ أنْ يُجامِعَها, وَإنْ شاءَ أمْسَكَها, فإنّها العُدّةُ التي قال اللّهُ عَزّ وَجَلّ».

قال: ثنا ابن إدريس, عن يحيى بن سعيد, عن نافع, عن ابن عمر بنحوه, عن النبيّ صلى الله عليه وسلم.

حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا ابن مهدي, عن مالك, عن نافع, عن ابن عمر أنه طلق امرأته وهي حائض, فسأل عمرُ النبيّ صلى الله عليه وسلم فقال: «مُرْهُ فَلْيُرَاجِعْها, ثُمّ لِيُمْسِكْها حتى تَطْهُرَ, ثُمّ تَحِيضَ, ثُمّ تَطْهُرَ, ثُمّ إنْ شاءَ أمْسَكَها, فَتِلْكَ العِدّةُ التي أمَرَ اللّهُ أنْ تُطَلّقَ لَهَا النّساءُ».

حدثنا ابن عبد الأعلى, قال: حدثنا ابن ثور, عن معمر, عن قتادة, عن أيوب, عن نافع, عن ابن عمر أنه طلق امرأته حائضا, فأتى عمر النبيّ صلى

الله عليه وسلم, فذكر ذلك له, فأمره أن يراجعها, ثم يتركها حتى إذا طهرت ثم حاضت طلقها, قال النبيّ صلى الله عليه وسلم: «فَهِيَ العِدّةُ الـتي أَمَـرَ اللَّهُ أنْ يُطَلّقَ لَهَا النّساءُ» يقول: حين يطهرن.

26483ـ حدثني عليّ, قال: حدثنا أبو صالح, قال: ثني معاوية, عن علـيّ, عن ابن عباس في قوله فَطَلّقُوهُنّ لِعَدّتِهِنّ يقول: لا يطلقها وهي حائض, ولا في طهر قـد جامعهـا فيـه, ولكـن يتركهـا حـتى إذا حاضـت وطهـرت طلقهـا تطليقة, فإن كانت تحيـض فعـدتها ثلاث حيـض, وإن كـانت لا تحيـض فعـدتها ثلاثة أشهر, وإن كانت حاملاً, فعدتها أن تضع حملها.

26484ـ حدثنا ابن البرقيّ, قال: حدثنا عمرو بن أبي سلمة, عن سعيد بن عبد العزيز, سُئل عـن قـول اللـه فَطَلّقُـوهُنّ لِعَـدّتِهِنّ ق ال: طلاق السـنة أن يطلق الرجل امرأته وهي في قبل عدتها, وهي طاهر من غير جمـاع واحـدة, ثم يدعها, فإن شاء راجعها قبل أن تغتسل مـن الحيضـة الثالثـة, وإن أراد أن يطلقها ثلاثا طلقها واحدة في قبل عـدتها, وهـي طـاهر مـن غيـر جمـاع, ثـم يدعها حتى إذا حاضت وطهرت طلقهـا أخـرى, ثـم يـدعها, حـتى إذا حاضـت وطهرت طلقها أخرى, ثم لا تحلّ له حتى تنكح زوجا غيره.

وذُكر أن هذه الآية أنزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم في سبب طلاقه حَفْصة. ذكر من قال ذلك:

26485ـ حدثنا ابن بشار, قال: حدثنا ابن عبد الأعلى, قال: حدثنا سـعيد, عن قتادة, قال: طلق رسول الله صلى الله عليـه وسـلم حفصـة بنـت عمـر تطليقة, فأنزلت هذه الآية: يا أيّها النّبِيّ إذَا طَلّقْتُمُ النّساءَ فَطَلّقُوهُنّ لِعِـدّتِهِنّ فقيل: راجعها فإنها صّوامة قوّامة, وإنها من نسائك في الجنة.

وقوله: وأحْصُوا العِدّةَ يقول: وأحصُـوا هـذه العـدّة وأقراءَهـا فاحفظوهـا. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

26486ـ حدثنا محمد بن الحسين, قال: حدثنا أحمـد بـن المفضـل, ق ال: حدثنا أسباط, عن السديّ, قوله: وأحْصُوا العِدّةَ قال: احفظوا العدّة.

وقوله: وَاتّقُوا اللّهَ رَبّكُمْ لا تُخْرِجُوهُنّ مِنْ بُيُوتهِنّ يقول: وخـافوا اللـه أيهـا الناس ربكم فاحذروا معصـيته أن تتعـدّوا حـده, لا تخرجـوا مـن طلقتـم مـن نسائكم لعدتهنّ من بيوتهنّ الـتي كنتـم أسـكنتموهنّ فيهـا قبـل الطلاق حـتى تنقضي عدتهنّ. وبنحو الذي قلنا في ذلك قـال أهـل التأويـل. ذكـر مـن قـال ذلك:

26487ـ حدثنا محمد, قال: حدثنا أحمد, قال: حدثنا أسباط, عن السديّ, قوله: وَاتّقُوا اللّهَ رَبّكُمْ لا تُخْرِجُوهُنّ مِنْ بُيُوتِهِنّ حتى تنقضي عدتهنّ.

26488ـ حدثنا ابن بشار, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: أخبرنا ابـن جُرَيـج, قال: قال عطاء: إن أذن لها أن تعتدّ في غير بيته, فتعتدّ في بيت أهلها, فقـد شاركها إذن فـي الإثـم. ثـم تلا: لا تُخْرِجُـوهُنّ مِـنْ بُيُـوتهِنّ وَلا يَخْرُجْـنَ إلاّ أنْ يَأْتِينَ بفاحِشَةٍ مُبَيّنَة قال: قلت هذه الآية في هذه؟ قال: نعم.

26489ـ حدثني يونس, قال: أخبرنـا ابـن وهـب, قـال: أخبرنـا حيـوة بـن شريح, عن محمد بن عجلان, عن نافع, أن عبد الله بن عمر كـان يقـول فـي هذه الآية لا تُخْرِجُـوهُنّ مِـنْ بُيُـوتهِنّ وَلا يَخْرُجْـنَ إلاّ أنْ يَـأْتِينَ بفاحِشَـةٍ مُبَيّنَـةٍ قال: خروجها قبل انقضاء العدّة. قال ابن عجلان عن زيد بن أسـلم: إذا أتـت بفاحشة أخرجت.

26490ـ وحدثنا عليّ بن عبد الأعلى المحاربيّ, قال: حدثنا المحاربيّ, عبد الرحمن بن محمد, عن جويبر, عن الضحاك في قوله: لا تُخْرِجُوهُنّ مِنْ بُيُوتهِنّ وَلا يَخْرُجْنَ إلاّ أنْ يَأْتِينَ بفاحِشَةٍ مُبَيّنَةٍ قال: ليس لها أن تخرج إلا بإذنه, وليس للزوج أن يخرجها ما كانت في العدّة, فإن خرجت فلا سُكْنى لها ولا نفقة.

26491ـ حدثني محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس, قوله: وَاتّقُوا اللّهَ رَبّكُمْ لا تُخْرِجُوهُنّ مِنْ بُيُوتهِنّ وَلا يَخْرُجْنَ قال: هي المطلقة لا تخرج من بيتها, ما دام لزوجها عليها رجعة, وكانت في عدّة.

26492ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة لا تُخْرِجُوهُنّ مِنْ بُيُوتهِنّ وَلا يَخْرُجْنَ وذلك إذا طلقها واحدة أو ثنتين لها ما لم يطلقها ثلاثا.

وقوله: وَلا يَخْرُجْنَ إلاّ أنْ يَأْتِينَ بفاحِشَةٍ مُبَيّنَةٍ يقول جلّ ثناؤه: لا تخرجوهنّ إلا أن يأتين بفاحشة مبينة إنها فاحشة لمن عاينها أو علمها.

واختلف أهل التأويل في معنى الفاحشة التي ذكرت في هذا الموضع, والمعنى الذي من أجله أذن الله بإخراجهنّ في حال كونهنّ في العدّة من بيوتهنّ, فقال بعضهم: الفاحشة التي ذكرها الله في هذا الموضع هو الزنى, والإخراج الذي أباح الله هو الإخراج لإقامة الحدّ. ذكر من قال ذلك:

26493ـ حدثنا ابن بشار, قال: حدثنا عبد الأعلى, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, عن الحسن, في قوله: لا تُخْرِجُوهُنّ مِنْ بُيُوتهِنّ وَلا يَخْرُجْنَ إلاّ أنْ يَأْتِينَ بفاحِشَةٍ مُبَيّنَةٍ قال: الزنى, قال: فتُخْرَج ليُقام عليها الحدّ.

حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, عن الحسن, مثله.

26539حدثنا يعقوب بن إبراهيم, قال: حدثنا ابن عُلَية, عن صالح بن مسلم, قال: سألت عامرا قلت: رجل طلق امرأته تطليقة أيخرجها من بيتها؟ قال: إن كانت زانية.

26540حدثنا محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء, جميعا عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, قوله: لا تُخْرِجُوهُنّ مِنْ بُيُوتهِنّ وَلا يَخْرُجْنَ إلاّ أنْ يَأْتِينَ بفاحِشَةٍ مُبَيّنَةٍ قال: إلا أن يزنين.

26541حدثنا يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد: وسألته عن قول الله عزّ وجلّ: لا تُخْرِجُوهُنّ مِنْ بُيُوتهِنّ وَلا يَخْرُجْنَ إلاّ أنْ يَأْتِينَ بفاحِشَةٍ مُبَيّنَةٍ قال: قال الله جلّ ثناؤه: وَاللاّتِي يَأْتِينَ الفاحِشَةَ مِنْ نِسائِكُمْ قال: هؤلاء المحصنات, فاسْتَشهِدُوا عَلَيهنّ أربعةً مِنْكُمْ... الآية. قال: فجعل الله سبيلهنّ الرجم, فهي لا ينبغي لها أن تخرج من بيتها إلا أن تأتي بفاحشة مبينة, فإذا أتت بفاحشة مبينة أخرجت إلى الحدّ فرجمت, وكان قبل هذا للمحصنة الحبس تحبس في البيوت لا تترك تنكح, وكان للبكرين الأذى, قال الله جلّ ثناؤه: وَاللّذَانِ يَأْتِيانِها مِنْكُمْ فآذُوهُما يا زان, يا زانية, فإنْ تابا وأصْلَحا فأعْرِضُوا عَنْهُمَا إنّ اللّهَ كانَ تَوّابا رَحِيما قال: ثم نُسخ هذا كله, فجعل الرجم للمحصنة والمحصن, وجعل جلد مئة للبِكْرين, قال: ونسخ هذا.

وقال آخرون: الفاحشة التي عناها الله في هذا الموضع: البَذَاء على أحمائها. ذكر من قال ذلك:

26494ـ حدثنا أبو كريب, قال: حدثنا ابن إدريس, قال: حدثنا محمد بن عمرو, عن محمد بن إبراهيم, عن ابن عباس قال الله: لا تُخْرِجُوهُنّ مِنْ بُيُوتِهِنّ وَلا يَخْرُجْنَ إلاّ أنْ يَأْتِينَ بفاحِشَةٍ مُبَيّنَةٍ قال: الفاحشة المبينة أن تبذُوَ على أهلها.

وقال آخرون: بل هي كل معصية لله. ذكر من قال ذلك:

26495ـ حدثني محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس إلاّ أنْ يَأْتِينَ بفاحِشَةٍ مُبَيّنَةٍ والفاحشة: هي المعصية.

وقال آخرون: بل ذلك نشوزها على زوجها, فيطلقها على النشوز, فيكون لها التحوّل حينئذ من بيتها. ذكر من قال ذلك:

26496ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة إلا أنْ يَأْتِينَ بفاحِشَةٍ مُبَيّنَةٍ قال قتادة: إلا أن يطلقها على نشوز, فلها أن تحوّل من بيت زوجها.

وقال آخرون: الفاحشة المبينة التي ذكر الله عزّ وجلّ في هذا الموضع خروجها من بيتها. ذكر من قال ذلك:

26497ـ حدثنا محمد بن الحسين, قال: حدثنا أحمد بن مفضل, قال: حدثنا أسباط, عن السديّ, في قوله: وَلا يَخْرُجْنَ إلا أنْ يَأْتِينَ بفاحِشَةٍ مُبَيّنَةٍ قال: خروجها من بيتها فاحشة. قال بعضهم: خروجها إذا أتت بفاحشة أن تخرج فيُقام عليها الحدّ.

26498ـ حدثني ابن عبد الرحيم البرقي, قال: حدثنا سعيد بن الحكم ابن أبي مريم, قال: أخبرنا يحيى بن أيوب قال: ثني محمد بن عجلان, عن نافع, عن عبد الله بن عمر, في قوله: لا تُخْرِجُوهُن مِنْ بُيُوتِهِنّ وَلا يَخْرُجْنَ إلا أنْ يَأْتِينَ بفاحِشَةٍ مُبَيّنَةٍ قال: خروجها قبل انقضاء العدة فاحشة.

والصواب من القول في ذلك عندي قول من قال: عنى بالفاحشة في هذا الموضع: المعصية, وذلك أن الفاحشة هي كلّ أمر قبيح تعدّى فيه حدّه, فالزنى من ذلك, والسرق والبذاء على الأحماء, وخروجها متحوّلة عن منزلها الذي يلزمها أن تعتدّ فيه منه, فأيّ ذلك فعلت وهي في عدتها, فلزوجها إخراجها من بيتها ذلك, لإتيانها بالفاحشة التي ركبتها.

وقوله: وَتِلْكَ حُدُودُ اللّهِ يقول تعالى ذكره: وهذه الأمور التي بينتها لكم من الطلاق للعدّة, وإحصاء العدّة, والأمر باتقاء الله, وأن لا تخرج المطلقة من بيتها, إلا أن تأتي بفاحشة مبينة حدود الله التي حدّها لكم أيها الناس فلا تعتدوها وَمَنْ يَتَعَدّ حُدُودَ اللّهِ فقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ يقول تعالى ذكره: ومن يتجاوز حدود الله التي حدّها لخلقه فقد ظلم نفسه: يقول: فقد أكسب نفسه وزرا, فصار بذلك لها ظالما, وعليها متعدّيا. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

26499ـ حدثنا عليّ بن عبد الأعلى, قال: حدثنا عبد الرحمن بن محمد المحاربيّ, عن جويبر, عن الضحاك في قول الله وَتِلْكَ حُدُودُ اللّهِ يقول: تلك طاعة الله فلا تعتدوها, قال: يقول: من كان على غير هذه فقد ظلم نفسه.

وقوله: لا تَدْرِي لَعَلّ اللّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذلك أمْرا يقول جلّ ثناؤه: لا تـدري مـا الذي يحدث؟ لعل الله يحدث بعد طلاقكم إياهنّ رجعةٍ. وبنحو الذي قلنـا فـي ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

26500ـ حدثنا ابن عبد الأعلـى, قـال: حـدثنا ابـن ثـور, عـن معمـر, عـن الزهريّ, أن فاطمة بنت قيـس كـانت تحـت أبـي حفـص المخزومـي, وكـان النبيّ صلى الله عليه وسلم أمّر عليا على بعض اليمـن, فخـرج معـه, فبعـث إليها بتطليقة كانت لها, وأمر عياش بن أبي ربيعة المخزومي, والحـارث بـن هشام أن ينفقا عليها, فقالا: لا والله ما لهـا علينـا نفقـة, إلا أن تكـون حـاملاً, فأتت النبيّ صلى الله عليه وسلم فذكرت ذلك له, فلم يجعل لها نفقـة إلا أن تكون حاملاً, واستأذنته في الانتقال, فقالت: أين أنتقل يا رسول الله؟ قـال: «عِنْدَ ابْنِ أُمّ مَكْتُومٍ», وكان أعمى, تضع ثيابها عنـده, ولا يبصـرها فلـم تـزل هنالك حتى أنكحها النبيّ صلى الله عليه وسلم أُسـامة بـن زيـد حيـن مضـت عدتها, فأرسل إليها مروان بن الحكـم يسـألها عـن هـذا الحـديث, فـأخبرته, فقال مروان: لم نسمع هذا الحديث إلا مـن امـرأة, وسـنأخذ بالعصـمة الـتي وجدنا الناس عليها, فقالت فاطمة: بيني وبينكم الكتاب, قال الله جلّ ثنـاؤه: فَطَلّقُوهُن لِعِدّتِهِنّ حتى بلغ لَعَلّ اللّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذلـكَ أمْـرا قـالت: فـأيّ أمـر يحدث بعد الثلاث, وإنما هو في مراجعة الرجل امرأته, وكيف تحبـس امـرأة بغير نفقة؟

26501ـ حدثنا ابن عبد الأعلى, قال: حدثنا ابن ثور, عن معمر, عن قتادة, في قوله: لَعَلّ اللّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذلكَ أمْرا قال: هذا في مراجعة الرجل امرأته.

حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة لا تَدْرِي لَعَلّ اللّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذلكَ أمْرا: أي مراجعة.

26502ـ حدثنا ابن بشار, قال: حدثنا عبد الأعلى, قال: حدثنا سعيد, عـن قتادة لا تَدْرِي لَعَلّ اللّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذلكَ أمْرا قال: يراجعها في بيتهـا هـذا فـي الواحدة والثنتين, هو أبعد من الزنى.

26503ـ قال: سعيد, وقال الحسن: هذا في الواحدة والثنتين, وما يحدث الله بعد الثلاث.

26504ـ حدثنا يعقوب, قال: حدثنا ابن عليـة, قـال: أخبرنـا أيـوب, قـال: سمعت الحسن وعكرِمة يقولان: المطلقة ثلاثا, والمتوفى عنها لا سكنى لهـا ولا نفقة قال: فقال عكرمة لَعَلّ اللّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذلكَ أمْـرا فقـال: مـا يحـدث بعد الثلاث.

26505ـ حدثنا عليّ بن عبد الأعلى المحاربيّ, قال: حدثنا عبد الرحمن بن محمد المحاربي, عن جويبر, عن الضحاك في قـوله: لَعَـلّ اللّـهَ يُحْـدِثُ بَعْـدَ ذلكَ أمْرا يقول: لعلّ الرجل يراجعها في عدتها.

حُدثت عن الحسين, قال: سمعت أبا معاذ يقول: حدثنا عبيد, قال: سمعت الضحاك يقول في قوله لا تَدْرِي لَعَلّ اللّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذلكَ أمْرا هذا ما كان لـه عليها رجعة.

26506ـ حدثنا أحمد, قال: حدثنا أسباط, عن السـديّ لا تَـدْرِي لَعَـلّ اللّـهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذلكَ أمْرا قال: الرجعة.

26507ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قـال ابـن زيـد, فـي قوله لَعَلّ اللّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذلكَ أمْرا قال: لعـلّ اللـه يحـدث فـي قلبـك تراجـع

زوجتك قال: قال: ومن طلق للعدّة جعل الله له في ذلك فسحة, وجعل له ملكا إن أراد أن يرتجع قبل أن تنقضي العدة ارتجع.
26508ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا مهران, عن سفيان لَعَلّ اللّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذلكَ أمْرا قال: لعله يراجعها.
وقوله: فإذَا بَلَغْنَ أجَلَهُنّ يقول تعالى ذكره: فإذا بلغ المطلقات اللواتي هنّ في عدة أجلهنّ وذلك حين قرب انقضاء عددهنّ فأمْسِكُوهُنّ بِمَعْرُوفٍ يقول: فأمسكوهنّ برجعة تراجعوهن, إن أردتم ذلك بمعروف يقول: بما أمرك الله به من الإمساك وذلك باعطائها الحقوق التي أوجبها الله عليه لها من النفقة والكسوة والمسكن وحُسن الصحبة, أو فارقوهنّ بمعروف, أو اتركوهنّ حتى تنقضي عددهنّ, فتبين منكم بمعروف, يعني بإيفائها ما لها من حق قبله من الصداق والمتعة على ما أوجب عليها لها. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:
26509ـ حدثني عليّ بن عبد الأعلى, قال: ثني المحاربي عبد الرحمن بن محمد, عن جويبر, عن الضحاك, قوله: فإذَا بَلَغْنَ أجَلَهُنّ يقول: إذا انقضت عدتها قبل أن تغتسل من الحيضة الثالثة, أو ثلاثة أشهر إن لم تكن تحيض, يقول: فراجع إن كنت تريد المراجعة قبل أن تنقضي العدّة بإمساك بمعروف, والمعروف أن تحسن صحبتها أوْ تَسْرِيحٌ بإحْسانٍ والتسريح بإحسان: أن يدعها حتى تمضي عدتها, ويعطيها مهرا إن كان لَها عليه إذا طلقها, فذلك التسريح بإحسان, والمُتعة على قدر الميسرة.
26510ـ حدثنا محمد, قال: حدثنا أحمد, قال: حدثنا أسباط, عن السديّ, في قوله: فإذَا بَلَغْنَ أجَلَهُن قال: إذا طلقها واحدة أو ثنتين, يشاء أن يمسكها بمعروف, أو يسرّحها بإحسان.
وقوله: وأشْهِدُوا ذَوَيْ عَدْلٍ مِنْكُمْ وأشهدوا على الإمساك إن أمسكتموهنّ, وذلك هو الرجعة ذوي عدل منكم, وهما اللذان يرضى دينهما وأمانتهما.
وقد بيّنا فيما مضى قبل معنى العدل بما أغنى عن إعادته في هذا الموضع, وذكرنا ما قال أهل العلم فيه. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:
26511ـ حدثني عليّ, قال: حدثنا أبو صالح, قال: ثني معاوية, عن عليّ, عن ابن عباس, قال: إن أراد مراجعتها قبل أن تنقضي عدتها, أشهد رجلين كما قال الله: وأشْهِدُوا ذَوَيْ عَدْلٍ مِنْكُمْ عند الطلاق وعند المراجعة, فإن راجعها فهي عنده على تطليقتين, وإن لم يراجعها فإذا انقضت عدتها فقد بانت منه بواحدة, وهي أملك بنفسها, ثم تتزوّج من شاءت, هو أو غيره.
26512ـ حدثنا أحمد, قال: حدثنا أسباط, عن السديّ, في قوله: وأشْهِدُوا ذَوَيْ عَدْلٍ مِنْكُمْ قال: على الطلاق والرجعة.
وقوله: وأقِيمُوا الشّهادَةَ لِلّهِ يقول: وأشهدوا على الحقّ إذا استشهدتم, وأدّوها على صحة إذا أنتم دُعيتم إلى أدائها. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:
26513ـ حدثنا محمد, قال: حدثنا أحمد, قال: حدثنا أسباط, عن السديّ, في قوله: وأقِيمُوا الشّهادَةَ لِلّهِ قال: أشهدوا على الحقّ.
وقوله: ذَلِكُمْ يُوعَظُ بِهِ مَنْ كانَ يُؤْمِنُ باللّهِ واليَوْمِ الآخِرِ يقول تعالى ذكره: هذا الذي أمرتكم به, وعرّفتكم من أمر الطلاق, والواجب لبعضكم على

بعض عند الفراق والإمساك عظة منا لكم, نعظ به من كان يؤمن بالله واليوم الآخر, فيصدّق به.

وعُنِي بقوله: مَنْ كانَ يُؤْمِنُ باللّهِ من كانت صفته الإيمان بالله, كالذي:

26514ـ حدثنا محمد, قال: حدثنا أحمد, قال: حدثنا أسباط, عن السديّ مَنْ كانَ يُؤْمِنُ باللّهِ وَاليَوْم الآخِرِ قال: يؤمن به.

وقوله: وَمَنْ يَتّق اللّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجا يقول تعالى ذكره: من يخف الله فيعمل بما أمره به, ويجتنب ما نهاه عنه, يجعل له من أمره مخرجا بأن يعرّفه بأن ما قضى فلا بدّ من أن يكون, وذلك أن المطلق إذا طلّق, كما ندبه الله إليه للعدّة, ولم يراجعها في عدتها حتى انقضت ثم تتبعها نفسه, جعل الله له مخرجا فيما تتبعها نفسه, بأن جعل له السبيل إلى خطبتها ونكاحها, ولو طلقها ثلاثا لم يكن له إلى ذلك سبيل.

وقوله: وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لا يَحْتَسِبُ يقول: ويسبب له أسباب الرزق من حيث لا يشعر, ولا يعلم. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل, وذكر بعضهم أن هذه الآية نزلت بسبب عوف بن مالك الأشجعيّ. ذكر من قال ذلك:

26515ـ حدثنا أبو كُرَيب, قال: حدثنا ابن صَلْت, عن قيس, عن الأعمش, عن أبي الضحى, عن مسروق عن عبد الله, في قوله: وَمَنْ يَتّقِ اللّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجا قال: يعلم أنه من عند الله, وأن الله هو الذي يعطي ويمنع.

26516ـ حدثنا ابن بشار, قال: حدثنا عبد الرحمن, قال: حدثنا سفيان, عن الأعمش, عن أبي الضحى, عن مسروق وَمَنْ يَتّقِ اللّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجا قال: المخرج أن يعلم أن الله تبارك وتعالى لو شاء أعطاه وإن شاء منعه, وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لا يَحْتَسِبُ قال: من حيث لا يدري.

حدثني أبو السائب, قال: حدثنا أبو معاوية, عن الأعمش, عن أبي الضحى, عن مسروق, مثله.

26517ـ حدثني عليّ, قال: حدثنا أبو صالح, قال: ثني معاوية, عن عليّ, عن ابن عباس, قوله: وَمَنْ يَتّقِ اللّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجا يقول: نجاته من كلّ كرب في الدنيا والآخرة, وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لا يَحْتَسِبُ.

26518ـ حدثنا ابن بشار, قال: حدثنا عبد الرحمن, قال: حدثنا سفيان, عن الربيع بن المنذر, عن أبيه, عن الربيع بن خثيم وَمَنْ يَتّقِ اللّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجا قال: من كلّ شيء ضاق على الناس.

26519ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا يحيى بن واضح, قال: حدثنا الحسين, عن يزيد, عن عكرِمة وَمَنْ يَتّقِ اللّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجا قال: من طلق كما أمره الله يجعل له مخرجا.

26520ـ حدثني عليّ بن عبد الأعلى المحاربيّ, قال: حدثنا عبد الرحمن بن محمد المحاربيّ, عن جويبر, عن الضحاك في قوله وَمَنْ يَتّقِ اللّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجا ومن يتق الله يجعل له من أمره يُسرا, قال: يعني بالمخرج واليُسر إذا طلق واحدة ثم سكت عنها, فإن شاء راجعها بشهادة رجلين عدلين, فذلك اليُسر الذي قال الله, وإن مضت عدتها ولم يراجعها, كان خاطبا من الخطاب, وهذا الذي أمر الله به, وهكذا طلاق السنة فأما من طلق عند كلّ حيضة فقد أخطأ السنة, وعصى الربّ, وأخذ بالعسر.

26521ـ حدثنا محمد, قال: حدثنا أحمد, قال: حدثنا أسباط, عن السديّ, في قوله: وَمَنْ يَتّقِ اللّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجا قال: يطلق للسّنة, ويراجع للسّنة

زعم أن رجلاً من أصحاب النبيّ صلى الله عليه وسلم يقال له عوف الأشجعيّ, كان له ابن, وأن المشركين أسروه, فكان فيهم, فكان أبوه يأتي النبيّ صلى الله عليه وسلم, فيشكوا إليه مكان ابنه, وحالته التي هو بها وحاجته, فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمرْه بالصبر ويقول له: «إن الله سيجعل له مخرجا», فلم يلبث بعد ذلك إلا يسيرا إذا انفلت ابنه من أيدي العدوّ, فمرّ بغنم من أغنام العدوّ فاستاقها, فجاء بها إلى أبيه, وجاء معه بغنًى قد أصابه من الغنم, فنزلت هذه الآية: وَمَنْ يَتّقِ اللّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجا وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لا يَحْتَسِبُ.

26522ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا مهران, عن سفيان, عن عمار بن أبي معاوية الدهني, عن سالم بن أبي الجعد وَمَنْ يَتّقِ اللّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجا قال: نزلت في رجل من أشجع جاء إلى النبيّ صلى الله عليه وسلم وهو مجهود, فسأله فقال له النبيّ صلى الله عليه وسلم: «اتّقِ اللّهَ وَاصْبِرْ», قال: قد فعلت, فأتى قومه, فقالوا: ماذا قال لك؟ قال: قال: «اتق الله واصبر», فقلت: قد فعلت حتى قال ذلك ثلاثا, فرجع فإذا هو بابنه كان أسيرا في بني فلان مِن العرب, فجاء معه بأعنز, فرجع إلى النبي صلى الله عليه وسلم, فقال: إن ابني كان أسيرا في بني فلان, وإنه جاء بأعنز, فطابت لنا؟ قال: «نعم».

قال: ثنا حكام, قال: حدثنا عمرو, عن عمار الدهني, عن سالم بن أبي الجعد في قوله وَمَنْ يَتّقِ اللّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجا قال: نزلت في رجل من أشجع أصابه الجهد, فأتى النبيّ صلى الله عليه وسلم فقال له: «اتّقِ اللّهَ وَاصْبِرْ», فرجع فوجد ابنا له كان أسيرا, قد فكه الله من أيديهم, وأصاب أعنزا, فجاء, فذكر ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم, فقال: هل تطيبُ لي يا رسول الله؟ قال: «نَعَمْ».

26523ـ قال: ثنا مهران, عن سفيان, عن ابن المنذر الثوريّ, عن أبيه, عن الربيع بن خثيم يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجا قال: من كلّ شيء ضاق على الناس.

26524ـ قال: ثنا مهران, عن سفيان, عن الأعمش, عن أبي الضحى, عن مسروق يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجا قال: يعلم أن الله إن شاء منعه, وإن شاء أعطاه وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لا يَحْتَسِبُ يقول: من حيث لا يدري.

26525ـ قال: ثنا مهران, عن سعيد بن أبي عَروبة, عن قتادة يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجا قال: من شُبُهات الأمور, والكرب عند الموت وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لا يَحْتَسِبُ: من حيث لا يرجو ولا يؤمل.

حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لا يَحْتَسِبُ لا يأمل ولا يرجو.

وقوله: وَمَنْ يَتَوَكّلْ على اللّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ يقول تعالى ذكره: ومن يتق الله في أموره, ويفوّضها إليه فهو كافيه.

وقوله: إنّ اللّهَ بالِغُ أمْرِهِ منقطع عن قوله وَمَنْ يَتَوَكّلْ على اللّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ. ومعنى ذلك: إن الله بالغ أمره بكل حال توكل عليه العبد أو لم يتوكل عليه. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

26526ـ حدثنا ابن بشار, قال: حدثنا عبد الرحمن, قال: حدثنا سفيان, عن الأعمش, عن أبي الضحى, عن مسروق وَمَنْ يَتَوَكّلْ على اللّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إنّ اللّهَ بالِغُ أمْرِهِ توكل عليه أو لم يتوكل عليه, غير أن المتوكل يُكَفّرْ عنه سيئاته, ويُعْظِم له أجرا.

حدثنا أبو السائب, قال: حدثنا أبو معاوية, عن الأعمش, عن أبي الضحى, عن مسروق بنحوه.
حدثنا أبو كريب, قال: حدثنا ابن صلت عن قيس, عن الأعمش, عن أبي الضحى, عن مسروق, عن عبد الله وَمَنْ يَتَوَكّلْ على اللّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ قال: ليس بمتوكل الذي قد قُضِيت حاجته, وجعل فضل من توكل عليه على من لم يتوكل أن يكفرَ عنه سيئاته, ويُعْظمَ له أجرا.
26527ـ قال: ثنا جرير, عن منصور, عن الشعبيّ, قال: تجالس شُتير بن شكل ومسروق, فقال شُتير: إما أن تحدّث ما سمعت من ابن مسعود فأصدّقك, وإما أن أحدث فتصدّقني؟ قال مسروق: لا بل حدّث فأصدّقك, فقال: سمعت ابن مسعود يقول: إن أكبر آية في القرآن تفوّضا: وَمَنْ يَتَوَكّلْ على اللّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ قال مسروق: صدقت.
وقوله: قَدْ جَعَلَ اللّهُ لِكُلّ شَيْءٍ قَدْرا يقول تعالى ذكره: قد جعل الله لكلّ شيء من الطلاق والعدّة وغير ذلك حدّا وأجلاً وقدرا يُنتهى إليه. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:
26528ـ حدثني أبو السائب, قال: حدثنا أبو معاوية, عن الأعمش, عن أبي الضحى, عن مسروق قَدْ جَعَلَ اللّهُ لِكُلّ شَيْءٍ قَدْرا قال: أجلاً.
حدثنا ابن بشار, قال: حدثنا عبد الرحمن, قال: حدثنا سفيان, عن الأعمش, عن أبي الضحى, عن مسروق قَدْ جَعَلَ اللّهُ لِكُلّ شَيْءٍ قَدْرا قال: منتهى.
حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا مهران, عن سفيان, عن الأعمش, عن أبي الضحى, عن مسروق مثله.
26529ـ حدثنا محمد, قال: حدثنا أحمد, قال: حدثنا أسباط, عن السديّ, في قوله: قَدْ جَعَلَ اللّهُ لِكُلّ شَيْءٍ قَدْرا قال: الحيض في الأجل والعدّة.

الآية : 4

القول في تأويل قوله تعالى:{وَاللاّئِي يَئِسْنَ مِنَ الْمَحِيضِ مِن نّسَآئِكُمْ إِنِ ارْتَبْتُمْ فَعِدّتُهُنّ ثَلاَثَةُ أَشْهُرٍ وَاللاّئِي لَمْ يَحِضْنَ وَأُوْلاَتُ الأَحْمَالِ أَجَلُهُنّ أَن يَضَعْنَ حَمْلَهُنّ وَمَن يَتّقِ اللّهَ يَجْعَل لّهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْراً }.
يقول تعالى ذكره: والنساء اللاتي قد ارتفع طمعهنّ عن المحيض, فلا يرجون أن يحضن من نسائكم إنِ ارتبتم.
واختلف أهل التأويل في معنى قوله: إنِ ارْتَبْتُمْ فقال بعضهم: معنى ذلك: إن ارتبتم بالدم الذي يظهر منها لكبرها, أمن الحيض هو, أم من الاستحاضة, فعِدّتهنّ ثلاثة أشهر. ذكر من قال ذلك:
26530ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء, جميعا عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, قوله: إنِ ارْتَبْتُمْ إن لم تعلموا التي قعدت عن الحيضة, والتي لم تحض, فعدتهنّ ثلاثة أشهر.
26531ـ حدثنا ابن عبد الأعلى, قال: حدثنا ابن ثور, عن معمر, عن الزهريّ إنِ ارْتَبْتُمْ قال: في كبرها أن يكون ذلك من الكبر, فإنها تعتدّ حين ترتاب ثلاثة أشهر فأما إذا ارتفعت حيضة المرأة وهي شابة, فإنه يتأنى بها حتى ينظر حامل هي أم غير حامل؟ فإن استبان حملها, فأجلها أن تضع حملها, فإن لم يستبن حملها, فحتى يستبين بها, وأقصى ذلك سنة.

26532ـ حدثنا يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد في قوله: وَاللاّئِي يَئِسْنَ مِنَ المَحيضِ مِنْ نِسائِكُمْ إنِ ارْتَبْتُمْ فَعِدّتُهُنّ ثَلاثَـةُ أشْـهُرٍ قـال: إن ارتبت أنها لا تحيض وقد ارتفعت حيضتها, أو ارتاب الرجال, أو قالت هي: تركتني الحيضة, فعدتهنّ ثلاثة أشهر إن ارتاب, فلو كان الحمل انتَظر الحملَ حتى تنقضي تسعة أشهر, فخـاف وارتـاب هـو, وهـي أن تكـون الحيضـة قـد انقطعت, فلا ينبغي لمسلمة أن تحبَس, فاعتدت ثلاثة أشهر, وجعل الله جلّ ثناؤه أيضا للتي لم تحض الصغيرة ثلاثة أشهر.

26533ـ حدثنا ابن عبد الرحيم البَرْقيّ, قال: حدثنا عمرو بن أبي سـلمة, قال: أخبرنا أبو معبد, قال: سُئل سليمان عن المرتابـة, قـال: هـي المرتابـة التي قد قعدت من الولد تطلق, فتحيض حيضة, فيـأتي إبّـان حيضـتها الثانيـة فلا تحيض قال: تعتدّ حيـن ترتـاب ثلاثـة أشـهر مسـتقبلة قـال: فـإن حاضـت حيضتين ثـم جـاء إبـان الثالثـة فلـم تحـض اعتـدّت حيـن ترتـاب ثلاثـة أشـهر مستقبلة, ولم يعتدّ بما مضى.

وقال آخرون: بل معنى ذلك: إن ارتبتم بحكمهنّ فلم تدروا ما الحكـم فـي عدتهنّ, فإن عدتهنّ ثلاثة أشهر. ذكر من قال ذلك:

26534ـ حدثنا أبو كُرَيب وأبو السائب, قالا: حدثنا ابن إدريس, قال: أخبرنا مطرف, عن عمرو بن سالم, قال: قال أبيّ بن كعب: يا رسول الله إن عِددا من عِدد النساء لم تذكر في الكتاب الصغار والكبار, وأولات الأحمال, فـأنزل الله: وَاللاّئِي يَئِسْنَ مِنَ المَحيضِ مِنْ نِسائِكُمْ إنِ ارْتَبْتُمْ فَعِـدّتُهُنّ ثَلاثَـةُ أشْـهُرٍ واللاّئِي لَمْ يَحِضْنَ وأولاتُ الأحْمالِ أجَلُهُنّ أنْ يَضَعْنَ حَمْلَهُنّ.

وقال آخرون: معنى ذلك: إن ارتبتم مما يظهر منهنّ من الدم, فلم تـدروا أدم حيض, أم دم مستحاضة من كبر كان ذلك أو علة؟ ذكر من قال ذلك:

26535ـ حدثنا ابن بشار, قال: حدثنا عبد الأعلى, قال: حدثنا سعيد, عـن قتـادة, عـن عكرِمـة, قـال: إن مـن الريبـة: المـرأة المستحاضـة, والـتي لا يستقيم لها الحيض, تحيض في الشهر مرارا, وفي الأشهر مرّة, فعدتها ثلاثة أشهر, وهو قول قتادة.

وأولى الأقوال في ذلك بالصحة قول من قال: عُنِي بذلك: إن ارتبتـم فلـم تدروا ما الحكم فيهنّ, وذلك أن معنى ذلـك لـو كـان كمـا قـاله مـن قـال: إن ارتبتم بدمائهنّ فلم تدروا أدم حيض, أو استحاضة؟ لقيل: إن ارتبتنّ لأنهنّ إذا أشكل الدم عليهنّ فهنّ المرتابات بدماء أنفسهنّ لا غيرهنّ, وفـي قـوله: إن ارْتَبْتُمْ وخطابه الرجال بذلك دون النساء الدليل الواضح علـى صـحة مـا قلنـا من أن معناه: إن ارتبتم أيها الرجال بالحكم فيهنّ وأخرى وهو أنه جـلّ ثنـاؤه قـال: وَاللاّئِـي يَئِسْـنَ مِـنَ المَحيـضِ مِـنْ نِسـائِكُمْ إنِ ارْتَبْتُـمْ واليائسـة مـن المحيض هي التي لا ترجو محيضا للكبر, ومحال أن يقال: واللائي يئسن, ثـم يقال: ارتبتم بيأسهنّ, لأن اليأس: هو انقطاع الرجاء والمرتاب بيأسها مرجـوّ لها, وغير جائز ارتفاع الرجاء ووجوده في وقت واحد, فإذا كان الصواب مـن القول في ذلك ما قلنا, فبين أن تأويل الآية: واللائي يئسن من المحيض مـن نسائكم إن ارتبتم بالحكم فيهنّ, وفي عِددهنّ, فلم تدروا ما هنّ, فـإن حكـم عـددهنّ إذا طلقـن, وهـنّ ممـن دخـل بهـنّ أزواجهـنّ, فعـدتهنّ ثلاثـة أشـهر وَاللاّئِي لَمْ يَحِضْنَ يقول: وكذلك عدد اللائي لم يحضن من الجواري لصغر إذا طلقهنّ أزواجهنّ بعد الدخول. وبنحو الذي قلنا فـي ذلـك قـال أهـل التأويـل. ذكر من قال ذلك:

26536ـ حدثنا محمد, قال: حدثنا أسباط, عن السديّ في قوله: وَاللاّئِـي يَئِسْنَ مِنَ المَحِيضِ مِنْ نِسائِكُمْ يقول: التي قد ارتفـع حيضـها, فعـدتها ثلاثـة أشهر واللاّئِي لَمْ يَحِضْنَ قال: الجواري.
26537ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: وَاللاّئِي يَئِسْنَ مِنَ المَحيضِ مِنْ نِسائِكُمْ وهنّ اللواتي قعدن من المحيـض فلا يحضن, واللائي لم يحضن هنّ الأبكار التي لم يحضن, فعدتهنّ ثلاثة أشهر.
26538ـ حُدثت عن الحسين, قال: سمعت أبا معـاذ يقـول: حـدثنا عبيـد, قال: سمعت الضحاك يقول في قوله: وَاللاّئِي يَئِسْنَ مِـنَ المَحِيـضِ... الآيـة, قـال: القواعـد مـن النسـاء واللاّئِـي لَـمْ يَحِضْـنَ: لـم يبلغـن المحيـض, وقـد مُسِسْن, عدتهنّ ثلاثة.
وقوله: وأُولاتُ الأحْمالِ أجَلُهُنّ أنْ يَضَعْنَ حَمْلَهُـنّ فـي انقضـاء عـدتهنّ أن يضعن حملهنّ, وذلك إجماع من جميع أهل العلم في المطلقة الحامل, فأمـا في المتوفي عنها ففيها اختلاف بين أهل العلم.
وقد ذكرنا اختلافهم فيما مضى من كتابنا هذا, وسنذكر في هذا الموضع ما لم نذكره هنالك.
ذكر من قال: حكم قوله وأُولاتُ الأحْمالِ أجَلُهُنّ أنْ يَضَعْنَ حَمْلَهُنّ عام في المطلّقات والمتوفي عنهنّ.
26539ـ حدثنا زكريا بن يحيى بن أبان المصريّ, قال: حدثنا سعيد ابن أبي مريم, قال: حدثنا محمد بـن جعفـر, قـال: ثنـي ابـن شـبرمة الكـوفي, عـن إبراهيم,عن علقمة, عن قيس أن ابـن مسـعود قـال: مـن شـاء لاعنتـه, مـا نزلت: وأُولاتُ الأحْمالِ أجَلُهُنّ أنْ يَضَـعْنَ حَمْلَهُـنّ إلا بعـد آيـة المتـوفي عنهـا زوجها, وإذا وضعت المتوفي عنها فقد حلت يريد بآية المتوفي عنها: وَالّـذِينَ يُتَوَفّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أزْوَاجا يَتَرَبّصْنَ بأنْفُسِهِنّ أرْبَعَةَ أشْهرٍ وعَشْرا.
حدثنا أبو كُرَيب, قال: حدثنا مالك, يعني ابن إسماعيل, عن ابن عيينة, عن أيوب, عن ابن سيرين عن أبي عطية قال: سمعت ابن مسـعود يقـول: مـن شاء قاسمته نزلت سورة النسـاء القُصْـرَى بعـدها, يعنـي بعـد أربعـة أشـهر وعشرا.
26540ـ حدثني يعقوب بن إبراهيم, قال: حدثنا ابـن عُلَيـة, قـال: أخبرنـا أيوب, عن محمد, قال: لقيت أبا عطية مالك بـن عـامر, فسـألته عـن ذلـك, يعني عن المتوفي عنها زوجها إذا وضعت قبل الأربعة الأشهر والعشر, فأخـذ يحدثني بحديث سُبيعة, قلت: لا, هل سمعت من عبـد اللـه فـي ذلـك شـيئا؟ قال: نعم, ذكرت ذات يوم أو ذات ليلة عند عبد الله, فقال: أرأيت إن مضت الأربعة الأشهر والعشر ولم تضع أقد أحلّت؟ قالوا: لا, قال: أفتجعلون عليهـا التغليـظ, ولا تجعلـون لهـا الرخصـة, فـوالله لأنزلـت النسـاء القُصْـرَى بعـد الطّولى.
26541ـ حدثني يعقوب, قال: حدثنا ابن علية, عن ابن عـون, قـال: قـال الشعبيّ: من شاء حالفته لأنزلت النساء القُصْرَى بعد الأربعة الأشهر والعشر التي في سورة البقرة.
26542ـ حدثني أحمد بن منيع, قال: حدثنا محمد بـن عبيـد, قـال: حـدثنا إسماعيل بن أبي خالد, عن الشعبيّ, قال: ذكـر عبـد اللـه بـن مسـعود آخـر الأجلين, فقال: من شاء قاسمته بالله أن هذه الآية التي أنزلـت فـي النسـاء

القُصْرَى نزلت بعد الأربعة الأشهر, ثم قال: أجل الحامل أن تضع ما في بطنها.
/ 26543ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا جرير, عن مُغيرة, قال: قلت للشعبي: ما أصدّق أن عليا رضي الله عنه كان يقول: آخر الأجلين أن لا تتزوّج المتوفي عنها زوجها حتى يمضي آخر الأجلين قال الشعبيّ: بلى وصدق أشدّ ما صدّقت بشيء قط وقال عليّ رضي الله عنه: إنما قوله وأُولاتُ الأحْمالِ أجَلُهُنّ أنْ يَضَعْنَ حَمْلَهُنّ المطلقات, ثم قال: إن عليا رضي الله عنه وعبد الله كانا يقولان في الطلاق بحلول أجلها إذا وضعت حملها.
26544ـ حدثنا أبو كريب, قال: حدثنا موسى بن داود, عن ابن لهيعة, عن عمرو بن شعيب, عن سعيد بن المسيب, عن أبيّ بن كعب, قال: لما نزلت هذه الآية: وأُولاتُ الأحْمالِ أجَلُهُنّ أنْ يَضَعْنَ حَمْلَهُنّ قال: قلت: يا رسول الله, المتوفي عنها زوجها والمطلقة, قال: «نَعَمْ».
حدثنا أبو كُرَيب, قال: حدثنا مالك بن إسماعيل, عن ابن عيينة, عن عبد الكريم بن أبي المخارق, يحدّث عن أبيّ بن كعب, قال: سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن وأُولاتُ الأحْمالِ أجَلُهُنّ أنْ يَضَعْنَ حَمْلَهُنّ قال: «أجَلُ كُلّ حامِل أنْ تَضَعَ ما في بَطْنِها».
26545ـ حدثني محمد, قال: حدثنا أحمد, قال: حدثنا أسباط, قوله وأُولاتُ الأحْمالِ أجَلُهُنّ أنْ يَضَعْنَ حَمْلَهُنّ قال: للمرأة الحُبْلى التي يطلقها زوجها وهي حامل, فعدتها أن تضع حملها.
26546ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة وأُولاتُ الأحْمالِ أجَلُهُنّ أنْ يَضَعْنَ حَمْلَهُنّ فإذا وضعت ما في رحمها فقد انقضت عدتها, ليس المحيض من أمرها في شيء إذا كانت حاملاً.
وقال آخرون: ذلك خاصّ في المطلقات, وأما المتوفي عنها فإن عدتها آخر الأجلين, وذلك قول مرويّ عن عليّ وابن عباس رضي الله عنهما.
وقد ذكرنا الرواية بذلك عنهما فيما مضى قبل.
والصواب من القول في ذلك أنه عامّ في المطلقات والمتوفي عنهنّ, لأن الله جلّ وعزّ, عمّ بقوله بذلك فقال: وأُولاتُ الأحْمالِ أجَلُهُنّ أنْ يَضَعْنَ حَمْلَهُنّ ولم يخصص بذلك الخبر عن مطلقة دون متوفي عنها, بل عمّ الخبر به عن جميع أولات الأحمال. إن ظنّ ظانّ أن قوله وأُولاتُ الأحْمالِ أجَلُهُنّ أنْ يَضَعْنَ حَمْلَهُنّ في سياق الخبر عن أحكام المطلقات دون المتوفي عنهنّ, فهو بالخبر عن حكم المطلقة أولى بالخبر عنهنّ, وعن المتوفي عنهنّ, فإن الأمر بخلاف ما ظنّ, وذلك أن ذلك وإن كان في سياق الخبر عن أحكام المطلقات, فإنه منقطع عن الخبر عن أحكام المطلقات, بل هو خبر مبتدأ عن أحكام عدد جميع أولات الأحمال المطلقات منهنّ وغير المطلقات, ولا دلالة على أنه مراد به بعض الحوامل دون بعض من خبر ولا عقل, فهو على عمومه لما بيّنا.
وقوله: وَمَنْ يَتّقِ اللّهَ يَجْعَلْ لَه مِنْ أمْرِهِ يُسْرا يقول جلّ ثناؤه: ومن يخَفِ الله فرهِبَهُ, فاجتنب معاصيه, وأدّى فرائضه, ولم يخالف إذنه في طلاق امرأته, فإنه يجعل الله له من طلاقه ذلك يسرا, وهو أن يسهل عليه إن أراد الرخصة لاتباع نفسه إياها الرجعة ما دامت في عدتها وإن انقضت عدتها, ثم دعته نفسه إليها قدر على خطبتها.

الآية : 5

القول في تأويل قوله تعالى:{ذَلِكَ أَمْرُ اللّهِ أَنزَلَهُ إِلَيْكُمْ وَمَن يَتّقِ اللّهَ يُكَفّرْ عَنْهُ سَيّئَاتِهِ وَيُعْظِمْ لَهُ أَجْراً }.

يقول تعالى ذكره: هذا الذي بيّنت لكم من حكم الطلاق والرجعة والعدّة, أمر الله الذي أمركم به, أنزله إليكم أيها الناس, لتأتمروا له, وتعملوا به.

وقوله: وَمَنْ يَتّقِ اللّهَ يُكَفّرْ عَنْهُ سَيّئاتِهِ يقول: ومن يخف الله فيتقه باجتناب معاصيه, وأداء فرائضه, يمح الله عنه ذنوبه وسيئات أعماله وَيُعْظِمْ لَهُ أجْرا يقول: ويجزل له الثواب على عمله ذلك وتقواه, ومن إعظامه له الأجر عليه أن يُدخله جنته, فيخلده فيها.

الآية : 6-7

القول في تأويل قوله تعالى:{أَسْكِنُوهُنّ مِنْ حَيْثُ سَكَنتُم مّن وُجْدِكُمْ وَلاَ تُضَآرّوهُنّ لِتُضَيّقُواْ عَلَيْهِنّ وَإِن كُنّ أُوْلاَتِ حَمْلٍ فَأَنفِقُواْ عَلَيْهِنّ حَتّىَ يَضَعْنَ حَمْلَهُنّ فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ فَآتُوهُنّ أُجُورَهُنَّ وَأْتَمِرُواْ بَيْنَكُمْ بِمَعْرُوفٍ وَإِن تَعَاسَرْتُمْ فَسَتُرْضِعُ لَهُ أُخْرَىَ * لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مّن سَعَتِهِ وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنفِقْ مِمّآ آتَاهُ اللّهُ لاَ يُكَلّفُ اللّهُ نَفْساً إِلاّ مَآ آتَاهَا سَيَجْعَلُ اللّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْراً }.

يقول تعالى ذكره: أسكنوا مطلقات نسائكم من الموضع الذي سكنتم من وُجْدِكُم: يقول: من سعتكم التي تجدون وإنما أمر الرجال أن يعطوهنّ مسكنا يسكنه مما يجدونه, حتى يقضين عِدَدهنّ. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

26547ـ حدثني محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس, قوله: أَسْكِنُوهُنّ مِنْ حَيْثُ سَكَنْتُمْ مِنْ وُجْدِكُمْ يقول: من سعتكم.

26548ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء, جميعا عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, في قوله: مِنْ وُجْدِكُمْ قال: من سعتكم.

26549ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله أَسْكِنُوهُنّ مِنْ حَيْثُ سَكَنْتُمْ مِنْ وُجْدِكُمْ قال: من سعتكم.

26550ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, قوله: أَسْكِنُوهُنّ مِنْ حَيْثُ سَكَنْتُمْ مِنْ وُجْدِكُمْ وَلا تُضَارّوهُنّ لِتُضَيّقُوا عَلَيْهِنّ فإن لم تجد إلا ناحية بيتك فأسكنها فيه.

26551ـ حدثنا محمد, قال: حدثنا أحمد, قال: حدثنا أسباط, عن السديّ, في قوله: أَسْكِنُوهُنّ مِنْ حَيْثُ سَكَنْتُمْ مِنْ وُجْدِكُمْ قال: المرأة يطلقها, فعليه أن يسكنها, وينفق عليها.

26552ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد: وسألته عن قول الله عزّ وجلّ: أَسْكِنُوهُنّ مِنْ حَيْثُ سَكَنْتُمْ مِنْ وُجْدِكُمْ قال: من مقدرتك حيث تقدر, فإن كنت لا تجد شيئا, وكنت في مسكن ليس لك, فجاء أمر أخرجك من المسكن, وليس لك مسكن تسكن فيه, وليس تجد فذاك, وإذا كان به قوّة على الكراء فذاك وجده, لا يخرجها من منزلها, وإذا لم يجد وقال صاحب المسكن: لا أنزل هذه في بيتي فلا, وإذا كان يجد, كان ذلك عليه.

وقوله: وَلا تُضارّوهُنّ لِتُضَيّقُوا عَلَيْهِنّ يقول جلّ ثناؤه: ولا تضارّوهنّ في المسكن الذي تسكنونهنّ فيه, وأنتم تجدون سعة من المنازل أن تطلبوا

التضييق عليهنّ, فذلك قوله لِتُضَيّقُوا عَلَيْهِنّ يعني: لتضيقوا عليهنّ في المسكن مع وجودكم السعة. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

26553ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء, جميعا عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد وَلا تُضَارّوهُنّ لِتضَيّقوا عَلَيْهِنّ قال: في المسكن.

26554ـ حدثني محمد, قال: حدثنا أحمد, قال: حدثنا أسباط, عن السديّ, في قوله: مِنْ وُجْدِكُمْ قال: من ملككم, من مقدرتكم. وفي قوله وَلا تُضَارّوهُنّ لِتُضَيّقُوا عَلَيْهِنّ قال: لتضيقوا عليهنّ مساكنهنّ حتى يخرجن.

26555ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا مهران, عن سفيان وَلا تُضَارّوهُنّ لِتُضَيّقُوا عَلَيْهِنّ قال: ليس ينبغي له أن يضارّها ويضيق عليها مكانها حتى يضعن حملهنّ هذا لمن يملك الرجعة, ولمن لا يملك الرجعة.

وقوله: وَإنْ كُنّ أُولاتِ حَمْلٍ فأنْفِقُوا عَلَيْهِنّ حتى يَضَعْنَ حَمْلَهُنّ يقول تعالى ذكره: وإن كان نساؤكم المطلقات أولات حمل وكنّ بائنات منكم, فأنفقوا عليهنّ في عدتهنّ منكم حتى يضعن حملهنّ. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

26556ـ حدثني عليّ, قال: حدثنا أبو صالح, قال: ثني معاوية, عن عليّ, عن ابن عباس, في قوله: وَإنْ كُنّ أُولاتِ حَمْلٍ فأنْفِقُوا عَلَيْهِنّ حتى يَضَعْنَ حَمْلَهُنّ فهذه المرأة يطلقها زوجها, فيبتّ طلاقها وهي حامل, فيأمره الله أن يسكنها, وينفق عليها حتى تضع, وإن أرضعت فحتى تفطم, وإن أبان طلاقها, وليس بها حبل, فلها السكنى حتى تنقضي عدتها ولا نفقة, وكذلك المرأة يموت عنها زوجها, فإن كانت حاملاً أنفق عليها من نصيب ذي بطنها إذا كان ميراث, وإن لم يكن ميراث أنفق عليها الوارث حتى تضع وتفطم ولدها كما قال الله عزّ وجلّ: وَعلى الوَارِثِ مِثْلُ ذَلكَ فإن لم تكن حاملاً, فإن نفقتها كانت من مالها.

26557ـ حدثنا محمد, قال: حدثنا أحمد, قال: حدثنا أسباط, عن السديّ, في قوله: وَإنْ كُنّ أُولاتِ حَمْلٍ فأنْفِقُوا عَلَيْهِنّ حتى يَضَعْنَ حَمْلَهُنّ قال: ينفق على الحبلىَ إذا كانت حاملاً حتى تضع حملها.

وقال آخرون: عُنِي بقوله: وَإنْ كُنّ أُولاتِ حَمْلٍ فأنْفِقُوا عَلَيْهِنّ حتى يَضَعْنَ حَمْلَهُنّ كلّ مطلقة, ملك زوجُها رجْعَتَهَا أو لم يملك. وممن قال ذلك: عمر بن الخطاب وعبد الله بن مسعود رضي الله عنهما. ذكر الرواية عنهما بذلك:

26558ـ حدثني أبو السائب, قال: حدثنا أبو معاوية, عن الأعمش, عن إبراهيم, قال: كان عمرو وعبد الله يجعلان للمطلقة ثلاثا: السكنى, والنفقة, والمتعة. وكان عمر إذا ذكر عنده حديث فاطمة بنت قيس أن النبيّ صلى الله عليه وسلم أمرها أن تعتدّ في غير بيت زوجها, قال: ما كنا لنجيز في ديننا شهادة امرأة.

26559ـ حدثني نصر بن عبد الرحمن الأَوْدِيّ, قال: حدثنا يحيى بن إبراهيم, عن عيسى بن قرطاس, قال: سمعت عليّ بن الحسين يقول في المطلقة ثلاثا: لها السكنى, والنفقة والمتعة, فإن خرجت من بيتها فلا سكنى ولا نفقة ولا متعة.

26560ـ حدثنا يحيى بن طلحة اليربوعي, قال: حدثنا ابن فضيل, عن الأعمش, عن إبراهيم, قال: للمطلقة ثلاثا: السكنى والنفقة.

حدثنا ابن المثنى, قال: حدثنا محمد بن جعفر, قال: حدثنا شعبة, عن حماد, عن إبراهيم, قال: إذا طلق الرجل ثلاثا, فإن لها السكنى والنفقة.

والصواب من القول في ذلك عندنا أن لا نفقة للمبتوتة إلا أن تكون حاملاً, لأن الله جلّ ثناؤه جعل النفقة بقوله وَإِنْ كُنّ أُولاتِ حَمْلٍ فأَنْفِقُوا عَلَيْهِنّ للحوامل دون غيرهنّ من البائنات من أزواجهن ولو كان البوائن من الحوامل وغير الحوامل في الواجب لهنّ من النفقة على أزواجهنّ سواء, لم يكن لخصوص أولات الأحمال بالذكر في هذا الموضع وجه مفهوم, إذ هنّ وغيرهنّ في ذلك سواء, وفي خصوصهن بالذكر دون غيرهنّ أدلّ الدليل على أن لا نفقة لبائن إلا أن تكون حاملاً. وبالذي قلنا في ذلك صحّ الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم.

26561ـ حدثني محمد بن عبد الله بن عبد الحكم, قال: حدثنا بشر بن بكر, عن الأوزاعيّ, قال: حدثنا يحيى بن أبي كثير, قال: ثني أبو سلمة بن عبد الرحمن, قال: حدثتني فاطمة بنت قيس أخت الضحاك بن قيس أن أبا عمرو المخزوميّ, طلقها ثلاثا فأمر لها بنفقة فاستقلتها, وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعثه نحو اليمن, فانطلق خالد بن الوليد في نفر من بني مخزوم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو عند ميمونة, فقال: يا رسول الله إن أبا عمرو طلق فاطمة ثلاثا, فهل لها من نفقة؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لَيْسَ لَهَا نَفَقَةٌ», فأرسل إليها رسول الله صلى الله عليه وسلم أن «انتقلي إلى بيت أمّ شريك» وأرسل إليها «أن لا تسبقيني بنفسك», ثم أرسل إليها «أنّ أمّ شريك يأتيها المهاجرون الأوّلون, فانتقلي إلى ابن أمّ مكتوم, فإنك إذا وضعت خمارك لم يرك», فزوّجها رسول الله صلى الله عليه وسلم أسامة بن زيد.

وقوله: فإنْ أرْضَعْنَ لَكُمْ فآتُوهُنّ أُجُورَهُنّ يقول جلّ ثناؤه: فإن أرضع لكم نساؤكم البوائن منكم أولادهنّ الأطفال منكم بأجرة, فآتوهنّ أجورهنّ على رضاعهنّ إياهم. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

26562ـ حدثني يعقوب بن إبراهيم, قال: حدثنا هشيم, عن جويبر, عن الضحاك أنه قال في الرضاع: إذا قام على شيء فأمّ الصبيّ أحقّ به, فإن شاءت أرضعته, وإن شاءت تركته إلا أن لا يقبل من غيرها, فإذا كان كذلك أُجْبِرت على رضاعه.

26563ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: فإنْ أرْضَعْنَ لَكُمْ فآتُوهُنّ أُجُورَهُنّ هي أحقّ بولدها أن تأخذه بما كنتَ مسترضِعا به غيرَها.

26564ـ حدثنا محمد, قال: حدثنا أسباط, عن السديّ فإنْ أرْضَعْنَ لَكُمْ فآتُوهُنّ أُجُورَهُنّ قال: ما تراضوا عليه «على الموسع قدره, وعلى المقتر قدره».

26565ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا مهران, عن سفيان, عن منصور, عن إبراهيم في الصبيّ إذا قام على ثمن فأمه أحقّ أن ترضعه, فإن لم يجد له من يرضعه أجبرت الأم على الرضاع.

26566ـ قال: ثنا مهران, عن سفيان فآتُوهُنّ أُجُورَهُنّ قال: إن أرضعت لك بأجر فهي أحقّ من غيرها, وإن هي أبت أن ترضعه ولم تواتك فيما بينك وبينها عاسرتك في الأجر فاسترضع له أخرى.

وقوله: وأتَمِرُوا بَيْنَكُمْ بِمَعْرُوفٍ يقول تعالى ذكره: وليقبل بعضكم أيها الناس من بعض ما أمركم بعضكم به بعضا من معروف. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

26567ـ حدثنا محمد, قال: حدثنا أحمد, قال: حدثنا أسباط, عن السديّ, في وقوله: وأتَمِرُوا بَيْنَكُمْ بِمَعْرُوفٍ قال: اصنعوا المعروف فيما بينكم.

26568ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا مهران, عن سفيان وأتَمِرُوا بَيْنَكُمْ بِمَعْرُوفٍ حتّ بعضهم على بعض.

وقوله: وَإنْ تَعاسَرْتُمْ فَسَتُرْضِعُ لَهُ أُخْرَى يقول: وإن تعاسر الرجل والمرأة في رضاع ولدها منه, فامتنعت من رضاعه, فلا سبيل له عليها, وليس له إكراهها على إرضاعه, ولكنه يستأجر للصبيّ مرضعة غير أمه البائنة منه. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

26569ـ حدثنا محمد, قال: حدثنا أحمد, قال: حدثنا أسباط, عن السديّ, في قوله: وَإنْ تَعاسَرْتُمْ فَسَتُرْضِعُ لَهُ أُخْرَى قال: إن أبت الأم أن ترضع ولدها إذا طلقها أبوه التمس له مرضعة أخرى, الأمّ أحقّ إذا رضيت من أجر الرضاع بما يرضى به غيرها, فلا ينبغي له أن ينتزع منها.

26570ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا مهران, عن سفيان, قال: إن هي أبت أن ترضعه ولم تواتك فيما بينها وبينك عاسرتك في الأجر, فاسترضع له أخرى.

26571ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد في قول الله: وَإنْ تَعاسَرْتُمْ فَسَتُرْضِعُ لَهُ أُخْرَى لِيُنْفِقْ ذُو سَعَةٍ مِنْ سَعَتِهِ وَمَنْ قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنْفِقْ مِمّا آتاهُ اللّهُ قال: فرض لها من قدر ما يجد, فقالت: لا أرضى هذا قال: وهذا بعد الفراق, فأما وهي زوجته فإنها ترضع له طائعة ومكرهة إن شاءت وإن أبت, فقال لها: ليس لي زيادة على هذا إن أحببت أن ترضعي بهذا فأرضعي, وإن كرهت استرضعت ولدي, فهذا قوله: وَإنْ تَعاسَرْتُمْ فَسَتُرْضِعُ لَهُ أُخْرَى.

وقوله: لِيُنْفِقْ ذُو سَعَةٍ مِنْ سَعَتِهِ وَمَنْ قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنْفِقْ مِمّا آتاهُ اللّهُ: يقول تعالى ذكره: لينفق الذي بانت منه امرأته إذا كان ذا سعة من المال, وغني من سعة ماله وغناه على امرأته البائنة في أجر رضاع ولده منها, وعلى ولده الصغير وَمَنْ قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ يقول: ومن ضيق عليه رزقه فلم يوسع عليه, فلينفق مما أعطاه الله على قدر ماله, وما أعطى منه. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

26572ـ حدثنا محمد, قال: حدثنا أحمد, قال: حدثنا أسباط, عن السديّ لِيُنْفِقْ ذُو سَعَةٍ مِنْ سَعَتِهِ قال: من سعة موجده, قال: وَمَنْ قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ قال: من قتر عليه رزقه.

26573ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا مهران, عن سفيان لِيُنْفِقْ ذُو سَعَةٍ مِنْ سَعَتِهِ يقول: من طاقته.

26574ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله: لِيُنْفِقْ ذُو سَعَةٍ مِنْ سَعَتِهِ وَمَنْ قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنْفِقْ مِمّا آتاهُ اللّهُ قال: فرض لها من قدر ما يجد.

26575ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث, قال: حدثنا الحسن قال: ثني ورقاء, جميعا عن ابن أبي

نجيح, عن مجاهد لِيُنْفِقْ ذُو سَعَةٍ مِنْ سَعَتِهِ قال: على المطلقة إذا أرضعت له.
26576ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا حكام, عن أبي سنان, قال: سأل عمر بن الخطاب رضي الله عنه, عن أبي عُبيدة, فقيل له: إنه يلبس الغليظ من الثياب, ويأكل أخشن الطعام, فبعث إليه بألف دينار, وقال للرسول: انظر ما يصنع إذا هو أخذها, فما لبث أن لبس أليِن الثياب, وأكل أطيب الطعام, فجاء الرسول فأخبره, فقال رحمه الله: تأوّل هذه الآية لِيُنْفِقْ ذُو سَعَةٍ مِنْ سَعَتِهِ وَمَنْ قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنْفِقْ مِمّا آتاه اللّهُ.
وقوله: لا يُكَلّفُ اللّهُ نَفْسا إلاّ ما آتاها يقول: لا يكلف الله أحدا من النفقة على من تلزمه نفقته بالقرابة والرحم لا ما أعطاه, إن كان ذا سعة فمن سعته, وإن كان مقدورا عليه رزقه فمما رزقه الله على قدر طاقته, لا يُكلف الفقير نفقة الغنيّ, ولا أحدَ من خلقه إلا فرضه الذي أوجبه عليه. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:
26577ـ حدثنا محمد, قال: حدثنا أحمد, قال: حدثنا أسباط, عن السديّ, في قوله: لا يُكَلّفُ اللّهُ نَفْسا إلاّ ما آتاها قال: يقول: لا يكلف الفقير مثل ما يكلف الغنيّ.
26578ـ حدثنا عبد الله بن محمد الزهري, قال: حدثنا سفيان, عن هشيم لا يُكَلّفُ اللّهُ نَفْسا إلاّ ما آتاها قال: إلا ما افترض عليها.
26579ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا مهران, عن سفيان لا يُكَلّفُ اللّهُ نَفْسا إلاّ ما آتاها يقول: إلا ما أطاقت.
26580ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله: لا يُكَلّفُ اللّهُ نَفْسا إلاّ ما آتاها قال: لا يكلفه الله أن يتصدّق وليس عنده ما يتصدّق به, ولا يكلفه الله أن يزكي وليس عنده ما يزكي.
يقول تعالى ذكره: سَيَجْعَل اللّهُ للمقلّ من المال المقدور عليه رزقه بَعْدَ عُسْر يُسْرا يقول: من بعد شدّة رخاء, ومن بعد ضيق سعة, ومن بعد فقر غنى. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:
26581ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا مهران, عن سفيان سَيَجْعَلُ اللّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرا بعد الشدة الرخاء.

الآية : 8

وقوله: وكأيّنْ مِنْ قَرْيَةٍ عَتَتْ عَنْ أمْرِ رَبّها وَرُسُلِهِ يقول تعالى ذكره: وكأين من أهل قرية طغوا عن أمر ربهم وخالفوه, وعن أمر رسل ربهم, فتمادوا في طغيانهم وعتوّهم, ولجوا في كفرهم. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:
26582ـ حدثنا محمد بن الحسين, قال: حدثنا أحمد بن المفضل, قال: حدثنا أسباط عن السدي, في قوله وكأيّنْ مِنْ قَرْيَةٍ عَتَتْ عَنْ أمْرِ رَبّها وَرُسُلِهِ قال: غَيّرت وعَصَت.
26583ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله: وكأيّنْ مِنْ قَرْيَةٍ عَتَتْ عَنْ أمْرِ رَبّها وَرُسُلِهِ فَحاسَبْناها حِسابا شَدِيدا قال: العتوّ ههنا الكفر والمعصية, عُتوّا: كفرا, وعتت عن أمر ربها: تركته ولم تقبله.

وقيل: إنهم كانوا قوما خالفوا أمر ربهم في الطلاق, فتوعد الله بالخبر عنهم هذه الأمة أن يفعل بهم فعله بهم إن خالفوا أمره في ذلك. ذكر من قال ذلك:

26584ـ حدثني ابن عبد الرحيم البرقي, قال: حدثنا عمرو بن أبي سلمة, قال: سمعت عمر بن سليمان يقول في قوله: وكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ عَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبّها وَرُسُلِهِ قال: قرية عُذّبت في الطلاق.

وقوله: فَحاسَبْناها حِسابا شَدِيدا يقول: فحاسبناها على نعمتنا عندها وشكرها حسابا شديدا, يقول: حسابا استقصينا فيه عليهم, لم نعف لهم فيه عن شيء, ولم نتجاوز فيه عنهم, كما:

26585ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, قوله: فَحاسَبْناها حِسابا شَدِيدا قال: لم نعف عنها الحساب الشديد الذي ليس فيه من العفو شيء.

26586ـ حدثني عليّ قال: حدثنا أبو صالح, قال: ثني معاوية, عن عليّ, عن ابن عباس, قوله: فَحاسَبْناها حِسابا شَدِيدا يقول: لم نرحم.

وقوله: وَعَذّبْناها عَذَابا نُكْرا يقول: وعذّبناها عذابا عظيما منكرا, وذلك عذاب جهنم.

الآية : 9

القول في تأويل قوله تعالى:{فَذَاقَتْ وَبَالَ أَمْرِهَا وَكَانَ عَاقِبَةُ أَمْرِهَا خُسْراً }.

وقوله: فَذَاقَتْ وَبالَ أمْرِها يقول: فذاقت هذه القرية التي عتت عن أمر ربها ورسله, عاقبة ما عملت وأتت من معاصي الله والكفر به. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

26587ـ حدثنا محمد, قال: حدثنا أحمد, قال: حدثنا أسباط, عن السديّ, قوله: فَذَاقَتْ وَبالَ أمْرِها قال: عقوبة أمرها.

26588ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله: فَذَاقَتْ وَبالَ أمْرِها قال: ذاقت عاقبة ما عملت من الشرّ. الوبال: العاقبة.

26589ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: فَذَاقَتْ وَبالَ أمْرِها يقول: عاقبة أمرها.

26590ـ حدثنا محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء, جميعا عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, قوله: فَذَاقَتْ وَبالَ أمْرِها قال: جزاء أمرها.

26591ـ حدثني محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس, قوله: فَذَاقَتْ وَبالَ أمْرِها يعني بوبال أمرها: جزاء أمرها الذي قد حلّ.

وقوله: وكانَ عاقِبَةُ أمْرِها خُسْرا يقول تعالى ذكره: وكان الذي أعقب أمرهم, وذلك كفرهم بالله وعصيانهم إياه خسرا: يعني غَبْنا, لأنهم باعوا نعيم الآخرة بخسيس من الدنيا قليل, وآثروا اتباع أهوائهم على اتباع أمر الله.

الآية : 10-11

القول في تأويل قوله تعالى:{أَعَدّ اللّهُ لَهُمْ عَذَاباً شَدِيداً فَاتّقُواْ اللّهَ يَـأُوْلِي الأَلْبَابِ الّذِينَ آمَنُواْ قَدْ أَنزَلَ اللّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْراً * رّسُولاً يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَـاتِ اللّـهِ مُبَيّنَاتٍ لّيُخْرِجَ الّذِينَ آمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصّالِحَاتِ مِنَ الظّلُمَاتِ إِلَـى النّـورِ وَمَـن يُؤْمِن بِاللّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحاً يُدْخِلْهُ جَنّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَـا الأَنْهَـارُ خَالِـدِينَ فِيهَـآ أَبَداً قَدْ أَحْسَنَ اللّهُ لَهُ رِزْقاً }.

يقول تعالى ذكره: أعدّ الله لهؤلاء القوم الذين عَتَوا عن أمر ربهم ورسله عذابا شديدا, وذلك عذاب النار الذي أعده لهـم فـي القيامـة فـاتّقُوا اللّـهَ يـا أُولي الألباب يقول تعالى ذكره: فخافوا الله, واحذروا سخطه بأداء فرائضـه, واجتناب معاصيه يا أولي العقول, كما:

26592ـ حدثنا محمد, قال: حدثنا أحمد, قال: حدثنا أسباط, عن السديّ, في قوله: فاتّقُوا اللّهَ يا أُولي الألبابِ قال: يا أولي العقول.

وقوله: وَالّذِينَ آمَنُوا يقول: الذين صدّقوا الله ورسله.

وقوله: قَدْ أَنْزَلَ اللّهُ إلَيْكُمْ ذِكْرا رَسُولاً اختلف أهـل التأويـل فـي المعنـيّ بالـذكر والرسـول فـي هـذا الموضـع, فقـال بعضـهم: الـذكر هـو القـرآن, والرسول محمد صلى الله عليه وسلم. ذكر من قال ذلك:

26593ـ حدثنا محمد, قال: حدثنا أحمد, قال: حدثنا أسباط, عن السديّ, في قوله: قَدْ أَنْزَلَ اللّهُ إلَيْكُمْ ذِكْرا رَسُولاً قال: الـذكر: القـرآن, والرسـول: محمد صلى الله عليه وسلم.

26594ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قول الله عزّ وجلّ: قَدْ أَنْزَلَ اللّهُ إلَيْكُمْ ذِكْـرا قـال: القـرآن روح مـن اللـه, وقـرأ: وكَذَلكَ أَوْحَيْنا إلَيْكَ رُوحا مِنْ أمْرِنا إلى آخر الآية, وقرأ: قَدْ أنْـزَلَ اللّـهُ إلَيْكُـمْ ذِكْرا رَسُولاً قال: القرآن, وقرأ: إنّ الّـذِينَ كَفَـرُوا بالـذّكْرِ لمّـا جـاءَهُمْ قـال: بالقرآن, وقرأ: إنّا نَحْنُ نَزّلْنـا الـذّكْرَ قـال: القـرآن, قـال: وهـو الـذكر, وهـو الروح.

وقال آخرون: الذكر: هو الرسول.

والصواب من القول في ذلك أن الرسول ترجمة عن الذكر, وذلـك نصـب لأنه مردود عليه على البيان عنه والترجمة.

فتأويل الكلام إذن: قد أنزل الله إليكم يا أولي الألباب ذِكرا مـن اللـه لكـم يذكركم به, وينبهكم على حظكم من الإيمان بالله, والعمل بطـاعته, رسـولاً يتلو عليكم آيات الله التي أنزلها عليـه مُبَيّنـات يقـول: مبينـات لمـن سـمعها وتدبرها أنها من عند الله.

يقول تعالى ذكره: قد أنزل الله إليكم أيها الناس ذكرا رسولاً, يتلو عليكم آيات الله مبيّنات, كي يخرج الذين صدّقوا اللـه ورسـوله وعَمِلُـوا الصّـالِحاتِ يقول: وعملوا بما أمرهم الله به وأطاعوه مِنَ الظّلُماتِ إلى النّورِ يعنـي مـن الكفر وهي الظلمات, إلى النور: يعني إلى الإيمان.

وقوله: وَمَنْ يُؤْمِنْ باللّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحا يقـول: ومـن يصـدّق بـالله ويعمـل بطاعته يُدْخِلْهُ جَنّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِها الأنهارُ يقول: يُدخله بساتين تجـري مـن تحت أشجارها الأنهار خالِدِينَ فِيها أبَدا يقول: ماكثين مقيمـين فـي البسـاتين التي تجري من تحتها الأنهار أبدا, لا يموتون, ولا يخرجون منها أبدا.

وقوله: قَدْ أحْسَنَ اللّهُ لَهُ رِزْقا يقول: قد وسع الله لـه فـي الجنـات رزقـا, يعني بالرزق: ما رزقه فيها من المطاعم والمشارب, وسائر ما أعدّ لأوليـائه فيها, فطيبه لهم.

الآية : 12

القول في تأويل قوله تعالى:{اللّهُ الّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الأرْضِ مِثْلَهُنّ يَتَنَزّلُ الأمْرُ بَيْنَهُنّ لّتَعْلَمُوَاْ أَنّ اللّهَ عَلَىَ كُلّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنّ اللّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلّ شَيْءٍ عِلْمَا }.

يقول تعالى ذكره: اللّهُ الّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ لا ما يعبده المشركون من الآلهة والأوثان التي لا تقدر على خلق شيء.

وقوله: وَمِنَ الأرْضِ مِثْلَهُنّ يقول: وخلق من الأرض مثلهنّ لما في كلّ واحدة منهنّ مثل ما فِي السموات من الخلق. ذكر من قال ذلك:

26595ـ حدثني عمرو بن علي ومحمد بن المثنى, قالا: حدثنا محمد بن جعفر, قال: حدثنا شعبة, عن عمرو بن مرّة, عن أبي الضحى, عن ابن عباس, قال في هذه الآية: اللّهُ الّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَمِنَ الأرْضِ مِثْلَهُنّ قال عمرو: قال: في كل أرض مثل إبراهيم ونحو ما على الأرض من الخلق. وقال ابن المثنى: في كلّ سماء إبراهيم.

26596ـ حدثنا عمرو بن عليّ, قال: حدثنا وكيع, قال: حدثنا الأعمش, عن إبراهيم بن مهاجر, عن مجاهد, عن ابن عباس, في قوله سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَمِنَ الأرْضِ مِثْلَهُنّ قال: لو حدثتكم بتفسيرها لكفرتم وكفركم تكذيبكم بها.

26597ـ حدثنا أبو كُريب, قال: حدثنا أبو بكر, عن عاصم, عن زِرّ, عن عبد الله, قال: خلق الله سبع سموات غلظ كلّ واحدة مسيرة خمس مئة عام, وبين كلّ واحدة منهنّ خمس مئة عام, وفوق السبع السموات الماء, والله جلّ ثناؤه فوق الماء, لا يخفى عليه شيء من أعمال بني آدم. والأرض سبع, بين كل أرضين خمس مئة عام, وغلظ كلّ أرض خمس مئة عام.

حدثنا ابن حُمَيد, قال: حدثنا يعقوب بن عبد الله بن سعد القُمى الأشعري, عن جعفر بن أبي المُغيرة الخزاعي, عن سعيد بن جبير, قال: قال رجل لابن عباس اللّهُ الّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَمِنَ الأرْضِ مِثْلَهُنّ... الآية, فقال ابن عباس: ما يؤمنك أن أخبرك بها فتكفر.

26598ـ قال: ثنا عباس, عن عنبسة, عن ليث, عن مجاهد, قال: هذه الأرض إلى تلك مثل الفسطاط ضربته في فلاة, وهذه السماء إلى تلك السماء, مثل حلقة رميت بها في أرض فلاة.

26599ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا حكام, عن أبي جعفر, عن الربيع بن أنس, قال: السماء أوّلها موج مكفوف والثانية صخرة والثالثة حديد والرابعة نحاس والخامسة فضة والسادسة ذهب, والسابعة ياقوتة.

26600ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: حدثنا جرير بن حازم, قال: ثني محمد بن قيس, عن مجاهد, قال: هذا البيت الكعبة رابع أربعة عشر بيتا في كل سماء بيت, كل بيت منها حذو صاحبه, لو وقع وقع عليه, وإن هذا الحرم حرمي بناؤه من السموات السبع والأرضين السبع.

26601ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: اللّه الذّي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَمن الأرض مِثْلَهُنّ خلق سبع سموات وسبع أرضين في كلّ سماء من سمائه, وأرض من أرضه, خلق من خلقه وأمر من أمره, وقضاء من قضائه.

26602ـ حدثنا ابن عبد الأعلى, قال حدثنا ابن ثور, عن معمر, عن قتادة قال: بينا النبيصلى الله عليه وسلم جالس مرّة مع أصحابه, إذا مرّت سحابة, قال النبيصلى الله عليه وسلم أتَدْرُون ما هَذَا هَذِهِ العَنانُ, هَـذِهِ رَوَايا الأرْضِ

يَسُوقُها اللّهُ إلى قَوْم لا يَعْبُدُونَه قال: أتَدْرُونَ ما هَذِهِ السّماءُ؟» قالوا: الله ورسوله أعلم, قال: هذه السّماءُ مَوْجٌ مَكْفُوفٌ, وَسَقْفٌ مَحْفُوظٌ ثم قال: أتَدْرُون ما فَوْقَ ذلكَ؟ قالوا: الله ورسوله أعلم, قال: فَوْقَ ذلكَ سَماءٌ أُخْرَى, حتى عدّ سبع سموات وهو يقول: أتَدْرُونَ ما بَيْنَهُما خَمْس مئَة سَنَة ثُم قال: أتَدْرُونَ ما فَوْقَ ذلكَ؟ قالوا: الله ورسوله أعلم, قال: فَوْقَ ذلكَ العَرْشُ, قال: أتَدْرُونَ ما بَيْنَهُما؟ قالوا: الله ورسوله أعلم قال: بَيْنَهُما خَمْسُ مِئَةِ سَنَة ثم قال: أتدرون ما هَذِهِ الأرْضُ؟ قالوا: الله ورسوله أعلم, قال: تَحْتَ ذلكَ أرْضٌ, قال: أتَدْرُونَ كَمْ بَيْنَهُما؟ قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: بَيْنَهُما مَسِيرَةُ خَمْس مِئَةِ سَنَةٍ, حتى عدّ سبع أرضين, ثم قال: وَالّذِي نَفْسِي بيَدِهِ لَوْ دُلّيَ رَجُلٌ بِحَبْلٍ حتى يَبْلُغَ أسْفَلَ الأرضِينَ السّابِعَةِ لَهَبَطَ على اللّهِ ثم قال: هُوَ الأوّلُ والآخِرُ والظّاهِرُ والباطِنُ وَهُوَ بِكُلّ شَيْء عَلِيمٌ.

26603ـ حدثنا ابن عبد الأعلى, قال: حدثنا ابن ثور, عن معمر, عن قتادة, قال: التقى أربعة من الملائكة بين السماء والأرض, فقال بعضهم لبعض: من أين جئت؟ قال أحدهم: أرْسلني ربي من السماء السابعة, وتركته ثم قال الآخر: أرسلني ربي من الأرض السابعة وتركته ثم قال الآخر: أرسلني ربي من المشرق وتركته ثم قال الآخر: أرسلني ربي من المغرب وتركته ثمّ.

وقوله: يَتَنَزّلُ الأمْرُ بَيْنَهُنّ يقول تعالى ذكره: يتنزّل أمر الله بين السماء السابعة والأرض السابعة, كما:

26604ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث, قال: حدثنا الحسن قال: حدثنا ورقاء, جميعا عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, قوله: يَتَنَزّلُ الأمْرُ بَيْنَهُنّ قال: بين الأرض السابعة إلى السماء السابعة.

وقوله: لِتَعْلَمُوا أنّ اللّهَ على كُلّ شَيْء قَدِيرٌ يقول تعالى ذكره: ينزل قضاء الله وأمره بين ذلك كي تعلموا أيها الناس كنه قدرته وسلطانه, وأنه لا يتعذّر عليه شيء أراده, ولا يمتنع عليه أمر شاءه, ولكنه على ما يشاء قدير وأنّ اللّهَ قَدْ أحاطَ بِكُلّ شَيْء عِلْما يقول جلّ ثناؤه: ولتعلموا أيها الناس أن الله بكل شيء من خلقه محيط علما, لا يعزُب عنه مثقالُ ذرّة في الأرض ولا في السماء, ولا أصغر من ذلك ولا أكبر. يقول جلّ ثناؤه: فخافوا أيها الناس المخالفون أمر ربكم عقوبته, فإنه لا يمنعه من عقوبتكم مانع, وهو على ذلك قادر, ومحيط أيضا بأعمالكم, فلا يخفي عليه منها خاف, وهو محصيها عليكم, ليجازيكم بها. يوم تجزى كلّ نفس ما كسبت.

سورة التحريم

سورة التحريم مدنية
وآياتها اثنتا عشرة
بسم الله الرحمَن الرحيم

الآية : 1

القول في تأويل قوله تعالى:{يَأَيّهَا النّبِيّ لِمَ تُحَرّمُ مَآ أَحَلّ اللّهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاةَ أَزْوَاجِكَ وَاللّهُ غَفُورٌ رّحِيمٌ }.

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: يا أيها النبيّ المحرّم على نفسه ما أحلّ الله له, يبتغي بذلك مرضاه أزواجه, لم تحرّم على نفسك الحلال الذي أحله الله لك, تلتمس بتحريمك ذلك مرضاة أزواجك.

واختلف أهل العلم في الحلال الذي كان الله جلّ ثناؤه أحله لرسوله, فحرّمه على نفسه ابتغاء مرضاة أزواجه, فقال بعضهم: كان ذلك مارية مملوكته القبطية, حرّمها على نفسه بيمين أنه لا يقربها طالبا بذلك رضا حفصة بنت عمر زوجته, لأنها كانت غارت بأن خلا بها رسول الله صلى الله عليه وسلم في يومها وفي حجرتها. ذكر من قال ذلك:

26605ـ حدثني محمد بن عبد الرحيم البرقي, قال: ثني ابن أبي مريم, قال: حدثنا أبو غسان, قال: ثني زيد بن أسلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أصاب أمّ إبراهيم في بيت بعض نسائه قال: فقالت: أي رسول الله في بيتي وعلى فراشي؟, فجعلها عليه حراما فقالت: يا رسول الله كيف تحرّم عليك الحلال؟, فحلف لها بالله لا يصيبها, فأنزل الله عزّ وجلّ: يا أيّها النّبِيّ لِمَ تُحَرّمُ ما أحَلّ اللّهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاةَ أزْوَاجِكَ قال: زيد: فقوله أنت عليّ حرام لغو.

26606ـ حدثني يعقوب, قال: ثني ابن علية, قال: حدثنا داود ابن أبي هند, عن الشعبيّ, قال: قال مسروق إن النبيّ صلى الله عليه وسلم حرّم جاريته, وآلى منها, فجعل الحلال حراما, وقال في اليمين: قَدْ فَرَضَ اللّهُ لَكُمْ تَحِلّةَ أيمانِكُمْ.

حدثنا يونس بن عبد الأعلى, قال: حدثنا سفيان, عن داود, عن الشعبيّ, عن مسروق, قال: آلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وحرّم, فعوتب في التحريم, وأمر بالكفارة في اليمين.

حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, عن مالك, عن زيد بن أسلم, قال لها: أنت عليّ حرام, ووالله لا أطؤك.

26607ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله يا أيّها النّبِيّ لِمَ تُحَرّمُ ما أحَلّ اللّهَ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاةَ أزْوَاجِكَ قال: كان الشعبي يقول: حرّمها عليه, وحلف لا يقربها, فعوتب في التحريم, وجاءت الكفارة في اليمين.

حدثنا ابن عبد الأعلى, قال: حدثنا ابن ثور, عن معمر, عن قتادة وعامر الشعبيّ, أن النبي صلى الله عليه وسلم حرّم جاريته. قال الشعبيّ: حلف بيمين مع التحريم, فعاتبه الله في التحريم, وجعل له كفارة اليمين.

26608ـ حدثنا يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد في قوله يا أيّها النّبِيّ لِمَ تحَرّمُ ما أحَلّ اللّهُ لَكَ قال: إنه وَجَدَتِ امرأة من نساء رسول الله صلى الله عليه وسلم رسول الله صلى الله عليه وسلم مع جاريته في بيتها, فقالت: يا رسول الله أنى كان هذا الأمر, وكنتُ أهونهنّ عليك؟ فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم: «اسْكُتي لا تَذْكُرِي هَذَا لأَحَدٍ, هِيَ عَليّ حَرَامٌ إنْ قَرُبْتُها بَعْدَ هَذَا أبَدا», فقالت: يا رسول الله وكيف تحرم عليك ما أحلّ الله لك حين تقول: هي عليّ حرام أبدا؟ فقال: وَاللّهِ لا آتيها أبَدا, فقال الله: يا أيّها النّبِيّ لِمَ تُحَرّمُ ماأحَلّ اللّهُ لَكَ... الآية, قد غفرت هذا لك, وقولك والله قَدْ فَرَضَ اللّهُ لَكُمْ تَحِلّةَ أيمانِكُمْ وَاللّهُ مَوْلاكُمْ وَهُوَ العَلِيمُ الحَكِيمُ.

26609ـ حُدثت عن الحسين, قال: سمعت أبا معاذ يقول: حدثنا عبيد, قال: سمعت الضحاك يقول في قوله: يا أيّها النّبِيّ لِمَ تُحَرّمُ ماأحَلّ اللّهُ لَكَ

كانت لرسول الله صلى الله عليه وسلم فتاة, فغشيها, فبصُرت بـه حفصـة, وكان اليوم يومَ عائشة, وكانتا متظاهرتين, فقال رسول الله صلى الله عليـه وسلم: «اكْتُمي عَليّ وَلا تَذْكُرِي لِعائِشَةَ ما رأيْتِ», فذكرت حفصـة لعائشـة, فغضبت عائشة. فلم تزل بنبيّ الله صلى الله عليـه وسـلم حـتى حلـف أن لا يقربها أبدا, فأنزل الله هذه الآية, وأمره أن يكفر يمينه, ويأتي جاريته.

26610ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا جرير, عن عامر, في قول الله يا أيّها النّبِيّ لِمَ تُحَرّمُ ماأحَلّ اللّهُ لَكَ في جارية أتاها, فأطلعت عليه حفصة, فقـال: هي عليّ حرام, فاكتمي ذلك, ولا تخبري به أحدا فذكرت ذلك.

وقال آخرون: بل حرم رسول الله صلى الله عليه وسـلم جـاريته, فجعـل الله عزّ وجلّ تحريمه إياها بمنزلة اليمين, فأوجب فيها من الكفـارة مثـل مـا أوجب في اليمين إذا حنث فيها صاحبها. ذكر من قال ذلك:

26611ـ حدثني عليّ, قال: حدثنا أبو صالح, قال: ثني معاوية, عن علـيّ, عن ابن عباس, في قوله قَدْ فَرَضَ اللّهُ لَكُـمْ تَحِلّـةَ أيمَـانِكُمْ أمـر اللـه النـبيّ صلى الله عليـه وسـلم والمـؤمنين إذا حرمـوا شـيئا ممـا أحـلّ اللـه لهـم أن يكفروا أيمانهم بإطعام عشر مسـاكين أو كسـوتهم, أو تحريـر رقبـة, وليـس يدخل ذلك في طلاق.

26612ـ حدثني محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس, قوله: يا أيّها النّبِيّ لِمَ تُحَرّمُ ماأحَلّ اللّهُ لَـكَ... إلى قوله وَهُوَ العَلِيمُ الحَكِيـمُ قـال: كـانت حفصـة وعائشـة متحـابتين وكانتـا زوجتي النبيّ صلى اللـه عليـه وسـلم, فـذهبت حفصـة إلـى أبيهـا, فتحـدثت عنده, فأرسل النبيّ صلى الله عليه وسلم إلى جاريته, فظلت معه في بيـت حفصة, وكان اليوم الذي يأتي فيه عائشة, فرجعـت حفصـة, فوجـدتهما فـي بيتها, فجعلت تنتظر خروجها, وغارت غيره شديدة, فأخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم جاريته, ودخلت حفصة فقالت: قـد رأيـت مـن كـان عنـدك, والله لقد سُؤْتَنِي, فقال النبيّ صلى الله عليه وسلم: «واللّـهِ لأُرْضِـيَنّكِ فـإنّي مُسِرّ إلَيْكِ سِرا فاحْفَظِيهِ» قالت: ما هـو؟ قـال: «إنّـي أُشْـهِدُكِ أنّ سُـرّيّتِي هَذِهِ عَليّ حَرَامٌ رِضا لكِ», وكانت حفصة وعائشة تظاهران عَلى نساء النـبيّ صلى اللـه عليـه وسـلم, فـانطلقت حفصـة إلـى عائشـة, فأسـرّت إليهـا أن أبشري إن النبيّ صلى الله عليه وسلم قد حرّم عليه فتاته, فلما أخبرت بسرّ النبيّ صلى الله عليه وسلم أظهر الله عزّ وجلّ النبيّ صلى الله عليه وسـلم, فأنزل الله على رسوله لما تظاهرتا عليه يا أيّها النّبِيّ لِـمَ تُحَـرّمُ ماأحَـلّ اللّـهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاةَ أزْوَاجِكَ... إلى قوله وَهُوَ العَلِيمُ الحَكِيمُ.

26613ـ حدثني يعقوب بن إبراهيم, قال: حـدثنا ابـن علية, قـال: حـدثنا هشام الدستوائي, قال: كتب إليّ يحيـى يحـدّث عـن يعلـى بـن حكيـم, عـن سعيد بن جُبير, أن ابن عباس كان يقول: في الحرام يمين تكفرها. وقال ابن عباس: لَقَدْ كانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ يعني أن النـبيّ صـلى اللـه عليه وسلم حرّم جاريته, فقال الله وجلّ ثناؤه: يا أيّها النّبِيّ لِمَ تُحَرّمُ ماأحَـلّ اللّهُ لَكَ... إلى قوله قَدْ فَرَضَ اللّـهُ لَكُـمْ تَحِلّـةَ أيمَـانِكُمْ فكفـر يمينـه, فصـير الحرام يمينا.

26614ـ حدثنا ابن عبد الأعلى, قال: حدثنا معتمر, عن أبيه, قال: أنبأنا أبو عثمان أن النبيّ صلى الله عليه وسلم دخل بيت حفصة, فإذا هي ليست ثَـمّ, فجاءته فتاته, وألقى عليها سترا, فجاءت حفصـة فقعـدت عل ى البـاب حـتى

قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم حاجته, فقالت: والله لقد سئتني, جامعتها في بيتي, أو كما قالت قال: وحرّمها النبيّ صلى الله عليه وسلم, أو كما قال.

26615ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادةيا أيّها النّبِيّ لِمَ تُحَرّمُ ماأحَلّ اللّهُ لَكَ... الآية, قال: كان حرم فتاته القبطية أمّ ولده إبراهيم يقال لها مارية في يوم حفصة, وأسرّ ذلك إليها, فأطلعت عليه عائشة, وكانتا تظاهران على نساء النبيّ صلى الله عليه وسلم, فأحلّ الله له ما حرّم على نفسه, فأمر أن يكفر عن يمينه, وعوتب في ذلك, فقال: قَدْ فَرَضَ اللّهُ لَكُمْ تَحِلّةَ أيمَانِكُمْ وَاللّهُ مَوْلاكُمْ وَهُوَ العَلِيمُ الْحَكِيمُ قال قتادة: وكان الحسن يقول حرّمها عليه, فجعل الله فيها كفارة يمين.

حدثنا ابن عبد الأعلى, قال: حدثنا ابن ثور, عن معمر, عن قتادة, أن النبيّ صلى الله عليه وسلم حرّمها يعني جاريته, فكانت يمينا.

26616ـ حدثنا سعيد بن يحيى, قال: حدثنا أبي, قال: حدثنا محمد بن إسحاق, عن الزهري, عن عبيد الله بن عبد الله, عن ابن عباس, قال: قلت لعمر بن الخطاب رضي الله عنه: من المرأتان؟ قال: عائشة, وحفصة. وكان بدء الحديث في شأن أمّ إبراهيم القبطية, أصابها النبيّ صلى الله عليه وسلم في بيت حفصة في يومها, فوجدته حفصة, فقالت: يا نبيّ الله لقد جئت إليّ شيئا ما جئتَ إلى أحد من أزواجك بمثله في يومي وفي دوري, وعلى فراشي قال: «ألا تَرْضَيْنَ أنْ أُحَرّمَها فَلا أقْرَبَهَا؟» قالت: بلى, فحرّمها, وقال: «لا تَذْكُرِي ذلكَ لأَحَدٍ», فذكرته لعائشة, فأظهره الله عزّ وجلّ عليه, فأنزل الله: يا أيّها النّبِيّ لِمَ تُحَرّمُ ما أحَلّ اللّهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاةَ أزْوَجكَ... الآيات كلها, فبلغنا أن نبيّ الله صلى الله عليه وسلم كفر يمينه, وأصاب جاريته.

وقال آخرون: كان ذلك شرابا يشربه, كان يعجبه ذلك. ذكر من قال ذلك:

26617ـ حدثنا ابن المثنى, قال: حدثنا أبو داود, قال: حدثنا شعبة, عن قيس بن مسلم, عن عبد الله بن شدّاد بن الهاد, قال: نزلت هذه الآية في شراب يا أيّها النّبِيّ لِمَ تُحَرّمُ ما أحَلّ اللّهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاةَ أزْوَجكَ.

حدثنا ابن المثنى, قال: حدثنا أبو قَطن البغدادي عمرو بن الهيثم, قال: حدثنا شعبة, عن قيس بن مسلم, عن عبد الله بن شدّاد مثله.

26618ـ قال: ثنا أبو قطن, قال: حدثنا يزيد بن إبراهيم, عن ابن أبي مليكة, قال: نزلت في شراب.

والصواب من القول في ذلك أن يقال: كان الذي حرّمه النبيّ صلى الله عليه وسلم على نفسه شيئا كان الله قد أحله له, وجائز أن يكون ذلك كان جاريته, وجائز أن يكون كان شرابا من الأشربة, وجائز أن يكون كان غير ذلك, غير أنه أيّ ذلك كان, فإنه كان تحريم شيء كان له حلالاً, فعاتبه الله على تحريمه على نفسه ما كان له قد أحله, وبين له تحلّة يمينه كان حلف بها مع تحريمه ما حرّم على نفسه.

فإن قائل قائل: وما برهانك على أنه صلى الله عليه وسلم كان حلف مع تحريمه ما حرم, فقد علمت قول من قال: لم يكن من النبيّ صلى الله عليه وسلم في ذلك غير التحريم, وأن التحريم هو اليمين؟ قيل: البرهان على ذلك واضح, وهو أنه لا يعقل في لغة عربية ولا عجمية أن قول القائل لجاريته, أو لطعام أو شراب, هذا عليّ حرام يمين, فإذا كان ذلك غير

معقول, فمعلوم أن اليمين غير قول القائل للشيء الحلال له: هو عليّ حرام. وإذا كان ذلك كذلك صحّ ما قلنا, وفسد ما خالفه, وبعد, فجائز أن يكون تحريم النبيّ صلى الله عليه وسلم ما حرّم على نفسه من الحلال الذي كان الله تعالى ذكره, أحله له بيمين, فيكون قوله لِمَ تُحَرّمُ ما أحَلّ اللّهُ معنا: لم تحلف على الشيء الذي قد أحله الله أن لا تقربه, فتحرّمه على نفسك باليمين.

وإنما قلنا: إن النبيّ صلى الله عليه وسلم حرّم ذلك, وحلف مع تحريمه, كما:

26619ـ حدثني الحسن بن قزعة, قال: حدثنا مسلمة بن علقمة, عن داود ابن أبي هند, عن الشعبيّ, عن مسروق, عن عائشة قالت: آلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وحرم, فأُمِرَ في الإيلاء بكفارة, وقيل له في التحريم لِمَ تُحَرّمُ ما أحَلّ اللّهُ لَكَ.

وقوله: وَاللّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ يقول تعالى ذكره: والله غفور يا محمد لذنوب التائبين من عباده من ذنوبهم, وقد غفر لك تحريمك على نفسك ما أحله الله لك, رحيم بعباده أن يعاقبهم على ما قد تابوا منه من الذنوب بعد التوبة.

الآية : 2

القول في تأويل قوله تعالى:{قَدْ فَرَضَ اللّهُ لَكُمْ تَحِلّةَ أَيْمَانِكُمْ وَاللّهُ مَوْلاَكُمْ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ }.

يقول تعالى ذكره: قد بين الله عزّ وجلّ لكم تحلة أيمانكم, وحدّها لكم أيها الناس وَاللّهُ مَوْلاكُمْ يتولاكم بنصره أيها المؤمنون وَهُوَ العَلِيمُ بمصالحكم الْحَكِيمُ في تدبيره إياكم, وصرفكم فيما هو أعلم به.

الآية : 3

القول في تأويل قوله تعالى:{وَإِذَ أَسَرّ النّبِيّ إِلَىَ بَعْضِ أَزْوَاجِهِ حَدِيثاً فَلَمّا نَبّأَتْ بِهِ وَأَظْهَرَهُ اللّهُ عَلَيْهِ عَرّفَ بَعْضَهُ وَأَعْرَضَ عَن بَعْضٍ فَلَمّآ نَبّأَهَا بِهِ قَالَتْ مَنْ أَنبَأَكَ هَـَذَا قَالَ نَبّأَنِيَ الْعَلِيمُ الْخَبِيرُ }.

يقول تعالى ذكره: وَإِذْ أسَرّ النّبِيّ محمد صلى الله عليه وسلم إلى بَعْض أزْوَاجِهِ, وهو في قول ابن عباس وقتادة وزيد بن أسلم وابنه عبد الرحمن بن زيد والشعبي والضحاك بن مزاحم: حَفْصَةُ. وقد ذكرنا الرواية في ذلك قبل.

وقوله: حَديثا والحديث الذي أسرّ إليها في قول هؤلاء هو قوله لمن أسرّ إليه ذلك من أزواجه تحريمُ فتاته, أو ما حرّم على نفسه مما كان الله جلّ ثناؤه قد أحله له, وحلفه على ذلك وقوله: «لا تَذْكُرِي ذَلِكَ لأَحَدٍ».

وقوله: فَلَمّا نَبّأَتْ بِهِ يقول تعالى ذكره: فلما أخبرت بالحديث الذي أسرّ إليها رسول الله صلى الله عليه وسلم صاحبتها وأظْهَرَهُ عَلَيْهِ يقول: وأظهر الله نبيه محمد صلى الله عليه وسلم على أنها قد أنبأت بذلك صاحبتها.

وقوله: عَرّفَ بَعْضَهُ وأعْرَضَ عَنْ بَعْض اختلفت القرّاء في قراءة ذلك, فقرأته عامة قرّاء الأمصار غير الكسائي: عَرّفَ بتشديد الراء, بمعنى: عرّف النبيّ صلى الله عليه وسلم حفصة بعض ذلك الحديث وأخبرها به, وكان الكسائي يذكر عن الحسن البصريّ وأبي عبد الرحمن السلمي وقتادة, أنهم قرأوا ذلك: «عَرَفَ» بتخفيف الراء, بمعنى: عرف لحفصة بعض ذلك الفعل الذي فعلته من إفشائها سرّه, وقد استكتمها إياه: أي غضب من ذلك عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم, وجازاها عليه من قول القائل لمن أساء

إليه: لأعرفنّ لك يا فلان ما فعلت, بمعنى: لإجازينك عليه ق الوا: وجازاها رسول الله صلى الله عليه وسلم على ذلك من فعلها بأن طلقها.
وأولى القراءتين في ذلك عندي بالصواب قراءة من قرأه عَرّفَ بَعْضَهُ بتشديد الراء, بمعنى: عرّف النبيّ صلى الله عليه وسلم حفصة, يعني ما أظهره الله عليه من حديثها صاحبتها لإجماع الحجة من القرّاء عليه.
وقوله: وأعْرَضَ عَنْ بَعْض يقول: وترك أن يخبرها ببعض. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:
26620ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله: وَإذْ أسَرّ النّبِيّ إلى بَعْضِ أزْوَاجِهِ حَدِيثا قوله لها: لا تذكريه فَلَمّا نَبّأتْ بِهِ وأظْهَرَهُ اللّهُ عَلَيْهِ عَرّفَ بَعْضهُ وأعْرَضَ عَنْ بَعْضٍ وكان كريما صلى الله عليه وسلم.

وقوله: فَلَمّا نَبّأَها بِهِ يقول: فلما خبر حفصة نبيّ الله صلى الله عليه وسلم بما أظهره الله عليه من إفشائها سرّ رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى عائشة قالت منْ أنْبأكَ هَذَا يقول: قالت حفصةُ لرسول الله: من أنبأك هذا الخبر وأخبرك به قالَ نَبّأنَي العَلِيمُ الخَبِيرُ يقول تعالى ذكره: قال محمد نبيّ الله لحفصة: خبرني به العليم بسرائر عباده, وضمائر قلوبهم, الخبير بأمورهم, الذي لا يخفى عنه شيء. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:
26621ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله: فَلَمّا نَبّأَها بِهِ قالَتْ مَنْ أنْبَأكَ هَذَا ولم تشكّ أن صاحبتها أخبرت عنها قالَ نَبّأنِي الْعَلِيمُ الخَبِيرُ.

الآية : 4

القول في تأويل قوله تعالى: {إِن تَتُوبَآ إِلَى اللّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا وَإِن تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنّ اللّهَ هُوَ مَوْلاَهُ وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلاَئِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ }.
يقول تعالى ذكره: إن تتوبا إلى الله أيتها المرأتان فقد مالت قلوبكما إلى محبة ما كرهه رسول الله صلى الله عليه وسلم من اجتنابه جاريته, وتحريمها على نفسه, أو تحريم ما كان له حلالاً مما حرّمه على نفسه بسبب حفصة. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:
26622ـ حدثني محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس, قوله: إنْ تَتُوبا إلى اللّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبَكُما يقول: زاغت قلوبكما, يقول: قد أثمت قلوبكما.
26623ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا يحيى بن واضح, قال: حدثنا محمد بن طلحة, عن زبيد, عن مجاهد قال: كنا نرى أن قوله: فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبَكُما شيء هين, حتى سمعت قراءة ابن مسعود: «إن تَتُوبا إلى اللّهُ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبَكُما».
26624ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبَكُما: أي مالت قلوبكما.
حدثنا ابن عبد الأعلى, قال: حدثنا ابن ثور, عن قتادة فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبَكُما مالت قلوبكما.

26625ـ حُدثت عن الحسين, قال: سمعت أبا معاذ يقول: حدثنا عبيد, قال: سمعت الضحاك يقول في قوله: فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبَكُما يقول: زاغت.

26626ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا مهران, عن سفيان صِغَتْ قُلُوبَكُما قال: زاغت قلوبكما.

حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: ابن زيد, قال الله عزّ وجلّ: إنْ تَتُوبا إلى اللّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبَكُما قال: سرهما أن يجتنب رسول الله صلى الله عليه وسلم جاريته, وذلك لهما موافق صَغَتْ قُلُوبَكُما إلى أن سرّهما ما كره رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وقوله: وَإنْ تَظَاهَرَا عَلَيْهِ يقول تعالى ذكره للتي أسّر إليها رسول الله صلى الله عليه وسلم حديثه, والتي أفشت إليها حديثه, وهما عائشة وحفصة رضي الله عنهما. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

26627ـ حدثنا ابن عبد الأعلى, قال: حدثنا ابن ثور, عن معمر, عن الزهري, عن عبيد الله بن أبي ثور, عن ابن عباس قال: لم أزل حريصا على أن أسأل عمر عن المرأتين من أزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم, اللتين قال الله جلّ ثناؤه: إنْ تَتُوبا إلى اللّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبَكُما قال: فحجّ عمر, وحججت معه, فلما كان ببعض الطريق عدل عمر, وعدلت معه بإداوة, ثم أتاني فسكبت على يده وتوضأ فقلت: يا أمير المؤمنين, من المرأتان من أزواج النبيّ صلى الله عليه وسلم اللتان قال الله لهما: إنْ تَتُوبا إلى اللّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبَكُما قال عمر: واعجبا لك يا بن عباس قال الزهري: وكره والله ما سأله ولم يكتم, قال: هي حفصة وعائشة قال: ثم أخذ يسوق الحديث, فقال: كنا معشر قريش نغلب النساء, فلما قدمنا المدينة, ثم ذكر الحديث بطوله.

حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن أشهب, عن مالك, عن أبي النضر, عن عليّ بن حسين, عن ابن عباس, أنه سأل عمر بن الخطاب رضي الله عنه عن المتطاهرتين على رسول الله صلى الله عليه وسلم, فقال: عائشة وحفصة.

26628ـ حدثنا يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: أخبرنا سفيان, عن يحيى بن سعيد, عن عبيد بن حنين أنه سمع ابن عباس يقول: مكثت سنة وأنا أريد أن أسأل عمر بن الخطاب عن المتظاهرتين, فما أجد له موضعا أسأله فيه حتى خرج حاجا, وصحبته حتى إذا كان بمرّ الظّهران ذهب لحاجته, وقال: أدركني بإداوة من ماء فلما قضى حاجته ورجع, أتيته بالإداوة أصبها عليه, فرأيت موضعا, فقلت: يا أمير المؤمنين, من المرأتان المتظاهرتان على رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ فما قضيت كلامي حتى قال: عائشة وحفصة رضي الله عنهما.

26629ـ حدثنا ابن بشار وابن المثنى, قالا: حدثنا عمر بن يونس, قال: حدثنا عكرمة بن عمار, قال: حدثنا سماك أبو زميل, قال: ثني عبد الله بن عباس, قال: ثني عمر بن الخطاب, قال: لما اعتزل نبيّ الله صلى الله عليه وسلم نساءه, دخلت عليه وأنا أرى في وجهه الغضب, فقلت: يا رسول الله ما شقّ عليك من شأن النساء, فلئن كنت طلقتهن فإن الله معك وملائكته, وجبرائيل وميكائيل, وأنا وأبو بكر معك, وقلما تكلمت وأحمد الله بكلام, إلا رجوت أن يكون الله مصدّق قولي, فنزلت هذه الآية, آية التخيير: عَسَى رَبّهُ

إنْ طَلّقَكُنّ أنْ يُبْدِلَهُ أزْوَاجا خَيْرا مِنْكُنّ, وَإنْ تَظاهَرَا عَلَيْهِ فإنّ اللّهَ هُوَ مُـوْلاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ المُـوءْمِنِينَ... الآيـة, وكـانت عائشـة ابنـة أبـي بكـر وحفصـة تتظاهران على سائر نساء النبيّ صلى الله عليه وسلم.

26630ـ حُدثت عن الحسين, قال: سمعت أبا معـاذ يقـول: حـدثنا عبيـد, قال: سمعت الضحاك يقول في قوله: وَإنْ تَظَاهَرَ عَلَيْهِ يقول: علـى معصـية النبيّ صلى الله عليه وسلم وأذاه.

حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, قال ابن عباس لعمر: يا أمير المؤمنين إني أريد أن أسألك عـن أمـر وإنـي لأهابـك, قـال: لا تهبني, فقال: من اللتان تظاهرتا على رسول اللـه صـلى اللـه عليـه وسـلم؟ قال: عائشة وحفصة.

وقوله: فإنّ اللّهَ هُوَ مَوْلاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ المُوءْمِنِينَ يقول: فإن اللـه هـو وليه وناصره, وصالح المؤمنين, وخيار المؤمنين أيضا مولاه وناصره.

وقيل: عني بصالح المؤمنين في هذا الموضع: أبو بكر, وعمـر رضـي اللـه عنهما. ذكر من قال ذلك:

26631ـ حدثني عليّ بن الحسن الأزدي, قال: حدثنا يحيى بن يمان, عـن عبد الوهاب, عن مجاهد, في قوله وَصَالِحُ المُوءْمِنِينَ قال: أبو بكر وعمر.

26632ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا يحيى بن واضح, قال: حدثنا عبيد بن سليمان, عن الضحاك, في قوله: وَصَالِحُ المُوءْمِنِينَ قال: خيار المؤمنين أبو بكر الصدّيق وعمر.

حدثنا إسحاق بن إسرائيل, قال: حدثنا الفضل بن موسى السـيناني مـن قرية بمرو يقال لها سينان عن عبيد بن سليمان, قال: سـمعت الضـحاك بـن مزاحم يقول في قوله: وَصَالِحُ المُوءْمِنِينَ قال: أبو بكر وعمر.

حُدثت عن الحسين, قال: سمعت أبا معاذ يقول: حدثنا عبيد, قال: سمعت الضحاك يقول في قوله وَصَالِحُ المُوءْمِنِينَ يقول: خيار المؤمنين.

وقال آخرون: عُنِي بصالح المؤمنين: الأنبياء صلوات الله عليهم. ذكر مـن قال ذلك:

26633ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: وَصَالِحُ المُوءْمِنِينَ قال: هم الأنبياء.

حدثنا ابن عبد الأعلى, قال: حدثنا ابن ثور, عن معمر, عن قتـادة, قـوله وَصَالِحُ المُوءْمِنِينَ قال: هم الأنبياء.

26634ـ حـدثنا ابـن حميـد, قـال: حـدثنا مهـران, عـن سـفيان وَصَـالِحُ المُوءْمِنِينَ قال الأنبياء.

والصواب من القول في ذلك عندي: أن قوله: وَصَالِحُ المُوءْمِنِينَ وإن كان في لفظ واحد, فإنه بمعنى الجميع, وهو بمعنى قوله إنّ الإنْسانَ لَفِـي خَسْـر فالإنسان وإن كان فـي لفـظ واحـد, فـإنه بمعنـى الجميـع, وهـو نظيـر قـول الرجل: لا تَقرِيَـنّ إلا قـارىء القـرآن, يقـال: قـارىء القـرآن, وإن كـان فـي اللفظ واحدا, فمعنـاه الجمـع, لأنـه قـد أذن لكـلّ قـارىء القـرآن أن يقريـه, واحدا كان أو جماعة.

وقوله: وَالمَلائِكَـةُ بَعْـدَ ذلـكَ ظَهِيـرٌ يقـول: والملائكـة مـع جبريـل وصـالح المؤمنين لرسول الله صـلى اللـه عليـه وسـلم أعـوان علـى م ن آذاه, وأراد مساءته. والظهير في هذا الموضع بلفظ واحد فـي معنـى جمـع. ولـو أخـرج

بلفظ الجميع لقيل: والملائكة بعد ذلك ظهراء. وكان ابن زيد يقول في ذلك ما:

26635ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد في قوله: وَإنْ تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فإن اللّهَ هُوَ مَوْلاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ المُؤْمِنِينَ قال: وبدأ بصالح المؤمنين ها هنا قبل الملائكة, قال: والمَلاَئِكَةُ بَعْدَ ذَلكَ ظَهِيرٌ.

الآية : 5

القول في تأويل قوله تعالى:{عَسَىَ رَبّهُ إن طَلّقَكُنّ أَن يُبْدِلَهُ أَزْوَاجاً خَيْراً مّنكُنّ مُسْلِمَاتٍ مّؤْمِنَاتٍ قَانِتَاتٍ تَائِبَاتٍ عَابِدَاتٍ سَائِحَاتٍ ثَيّبَاتٍ وَأَبْكَاراً }.

يقول تعالى ذكره: عسى ربّ محمد إن طلقكنّ يا معشر أزواج محمد صلى الله عليه وسلم أن يبدله منكنّ أزواجا خيرا منكن.

وقيل: إن هذه الآية نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم تحذيرا من الله نساءه لما اجتمعن عليه في الغيرة. ذكر من قال ذلك:

26636ـ حدثنا أبو كريب ويعقوب بن إبراهيم, قالا: حدثنا هشيم, قال: أخبرنا حميد الطويل, عن أنس بن مالك, قال: قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: اجتمع على رسول الله صلى الله عليه وسلم نساؤه في الغيرة فقلت لهنّ: عسى ربه إن طلقهن أن يبدله أزواجا خيرا منكنّ, قال: فنزل كذلك.

26637ـ حدثنا يعقوب, قال: حدثنا ابن علية, عن حميد, عن أنس, عن عمر, قال: يلغني عن بعض أمهاتنا, أمهات المؤمنين شدّة على رسول الله صلى الله عليه وسلم وأذاهنّ إياه, فاستقريتهنّ امرأة امرأة, أعظها وأنهاها عن أذى رسول الله صلى الله عليه وسلم, وأقول: إن أبيتنّ أبدله الله خيرا منكن, حتى أتيت, حسبت أنه قال على زينب, فقالت: يا بن الخطاب, أما في رسول الله صلى الله عليه وسلم ما يعظ نساءه حتى تعظهنّ أنت؟ فأمسكت, فأنزل الله عَسَى رَبّهُ إنْ طَلّقَكُنّ أنْ يُبْدِلَهُ أزْوَاجا خَيْرا مِنْكُنّ.

حدثنا ابن بشار, قال: حدثنا ابن أبي عدي, عن حميد, عن أنس, قال: قال عمر بن الخطاب: يلغني عن أمهات المؤمنين شيء, فاستقريتهنّ أقول: لتكففن عن رسول الله صلى الله عليه وسلم, أو ليبدلنه الله أزواجا خيرا منكنّ, حتى أتيت على إحدى أمهات المؤمنين, فقالت: يا عمر أما في رسول الله صلى الله عليه وسلم ما يعظ نساءه حتى تعظهنّ أنت؟ فكففت, فأنزل الله عَسَى رَبّهُ إنْ طَلّقَكُنّ أنْ يُبْدِلَهُ أزْوَجا خَيْرا مِنْكُنّ مُسْلِماتٍ مُؤْمِناتٍ... الآية.

واختلفت القرّاء في قراءة قوله: أنْ يُبْدِلَهُ فقرأ ذلك بعض قرّاء مكة والمدينة والبصرة بتشديد الدال: «يبدّله أزواجا» من التبديل وقرأه عامة قرّاء الكوفة: يُبْدِ له بتخفيف الدال من الإبدال.

والصواب من القول أنهما قراءتان معروفتان صحيحتا المعنى, فبأيتهما قرأ القارىء فمصيب.

وقوله: مُسْلِماتٍ يقول: خاضعات لله بالطاعة مُؤْمِناتٍ يعني مصدّقات بالله ورسوله.

وقوله قَانِتات يقول: مطيعات لله, كما:

26638ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قول الله قانتاتٍ قال: مطيعات.

26639ـ حدثني ابن عبد الأعلى, قال: حـدثنا ابـن ثـور, عـن معمـر, عـن قتادة, في قوله قانِتاتٍ قال مطيعات.
وقوله: تائِباتٍ يقول: راجعات إلى ما يحبه الله منهنّ من طاعته عما يكرهه منهنّ عابِدَاتٍ يقول: متذللات لله بطاعته. وقوله سائحاتٍ يقول: صائمات.
واختلف أهل التأويل في معنى قوله: سائحات فقال بعضهم: معنى ذلـك: صائمات. ذكر من قال ذلك:
26640ـ حدثني محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس, قوله سائحات قال: صائمات.
26641ـ حدثنا بشر, قال: حـدثنا يزيـد, حـدثنا سـعيد, عـن قتـادة, قـوله سَائحاتٍ قال: صائمات.
حدثنا ابن عبد الأعلى, قال: حدثنا ابن ثور, عن معمر, عـن قتـادة, قـال السّائحات: الصائمات.
26642ـ حُدثت عن الحسين, قال: سمعت أبا معـاذ يقـول: حـدثنا عبيـد, قال: سمعت الضحاك يقول في قوله: سائحاتٍ يعني: صائمات.
وقال آخرون: السائحات: المهاجرات. ذكر من قال ذلك:
26643ـ حدثنا إسحق بن إسـرائيل, قـال: حـدثنا عبـد العزيـز بـن محمـد الدراورديّ, عن زيد بن أسلم, قال: السائحات: المهاجرات.
26644ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قـال ابـن زيـد, فـي قوله سائحات قال: مهاجرات ليس في القرآن, ولا في أمة محمد سياحة إلا الهجرة, وهي التي قال الله السّائحُونَ.
وقد بيّنا الصواب من القول في معنى السائحين فيما مضى قبل بشواهده مع ذكرنا أقوال المختلفين فيه, وكرهنا إعادته.
وكان بعض أهل العربية يقـول: نـرى أن الصـائم إنما سـمي سـائحا, لأن السائح لا زاد معه, وإنما يأكل حيث يجد الطعام, فكأنه أخذ من ذلك.
وقوله: ثَيّباتٍ وهنّ اللواتي قد افترعن وذهبت عذرتهنّ وأبْكارا وهنّ اللواتي لم يجامعن, ولم يفترعن.

الآية : 6

القول فـي تأويـل قوله تعالى:{يَأَيّهَا الّذِينَ آمَنُواْ قُوَاْ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُـمْ نَـاراً وَقُودُهَا النّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلاَئِكَةٌ غِلاَظٌ شِدَادٌ لاّ يَعْصُونَ اللّـهَ مَـآ أَمَرَهُـمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ }.
يقول تعالى ذكره: يا أيها الذين صدّقوا الله ورسوله قُوا أنْفُسَكُمْ يقـول: علموا بعضكم بعضا ما تقون به من تعلمونه النار, وتدفعونها عنه إذا عمل بـه من طاعة الله, واعملوا بطاعة الله.
وقوله: وأهْلِيكُمْ نارا يقول: وعلموا أهليكم من العمل بطاعة الله ما يقون به أنفسهم من النار. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:
26645ـ حدثنا ابن بشار, قال: حدثنا عبد الرحمن, قال: حدثنا سفيان, عن منصور, عن رجل, عن عليّ بن أبي طالب رضـي اللـه عنـه فـي قـوله: قُـوا أنْفُسَكُمْ وأهْلِيكُمْ نارا وَقُودَها النّاسُ والْحِجارَةُ قال: علّموهم, أدّبوهم.
حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا مهران, عن سفيان, عن منصور, عن رجل, عن علي قُوا أنْفُسَكُمْ وأهْلِيكُمْ نارا يقول: أدّبوهم, علّموهم.

حدثني الحسين بن يزيد الطحان, قال: حدثنا سعيد بن خثيم, عن محمد بن خالد الضبيّ, عن الحكم, عن عليّ بمثله.
26646ـ حدثني عليّ, قال: حدثنا أبو صالح, قال: ثني معاوية, عن عليّ, عن ابن عباس, قوله قُوا أنْفُسَكُمْ وأهْلِيكُمْ نارا يقول: أعملوا بطاعة الله, واتقوا معاصي الله, ومروا أهليكم بالذكر ينْجيكم الله من النار.
26647ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحرث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء, جميعا عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, في قول الله: قُوا أنْفُسَكُمْ وأهْلِيكُمْ نارا قال: اتقوا الله, وأوصوا أهليكم بتقوى الله.
26648ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة قُوا أنْفُسَكُمْ وأهْلِيكُمْ نارا وَقودُها النّاسُ والْحِجارَةُ قال: قال يقيهم أن يأمرهم بطاعة الله, وينهاهم عن معصيته, وأن يقوم عليهم بأمر الله يأمرهم به ويساعدهم عليه, فإذا رأيت لله معصية ردعتهم عنها, وزجرتهم عنها.
حدثنا ابن عبد الأعلى, قال: حدثنا ابن ثور, عن معمر, عن قتادة, في قوله قُوا أنْفُسَكُمْ وأهْلِيكُمْ نارا قال: مروهم بطاعة الله, وانهوهم عن معصيته.
وقوله: وَقُودَها النّاسُ يقول: حطبها الذي يوقد على هذه النار بنو آدم وحجارة الكبريت.
وقوله: عَلَيْها مَلائِكَةٌ غِلاظٌ شِدَادٌ يقول: على هذه النار ملائكة من ملائكة الله, غلاظ على أهل النار, شداد عليهم لا يَعْصُونَ اللّهَ ما أمَرَهُمْ يقول: لا يخالفون الله في أمره الذي يأمرهم به وَيَفْعَلُونَ ما يُوءْمَرُونَ يقول: وينتهون إلى ما يأمرهم به ربهم.

الآية : 7

القول في تأويل قوله تعالى:{يَأَيّهَا الّذِينَ كَفَرُواْ لاَ تَعْتَذِرُواْ الْيَوْمَ إِنّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ }.
يقول تعالى ذكره مخبرا عن قيله يوم القيامة للذين جحدوا وحدانيته في الدنيا يا أيّها الّذِينَ كَفَرُوا باللّهِ لا تَعْتَذِرُوا اليَوْمَ إنّما تُجْزَوْنَ ما كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ يقول: يقال لهم: إنما تثابون اليوم, وذلك يوم القيامة, وتعطون جزاء أعمالكم التي كنتم في الدنيا تعملون, فلا تطلبوا المعاذير منها.

الآية : 8

القول في تأويل قوله تعالى:{يَأَيّهَا الّذِينَ آمَنُواْ تُوبُوَاْ إِلَى اللّهِ تَوْبَةً نّصُوحاً عَسَىَ رَبّكُمْ أن يُكَفّرَ عَنكُمْ سَيّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأنْهَارُ يَوْمَ لاَ يُخْزِي اللّهُ النّبِيّ وَالّذِينَ آمَنُواْ مَعَهُ نُورُهُمْ يَسْعَىَ بَيْنَ أيْدِيهِمْ وَبِأيْمَانِهِمْ يَقُولُونَ رَبّنَآ أتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَاغْفِرْ لَنَآ إِنّكَ عَلَىَ كُلّ شَيْءٍ قَدِيرٌ }.
يقول تعالى ذكره: يا أيها الذين صدّقوا الله تُوبُوا إلى اللّهِ يقول: ارجعوا من ذنوبكم إلى طاعة الله, وإلى ما يرضيه عنكم تَوْبَةً نَصُوحا يقول: رجوعا لا تعودون فيها أبدا. وبنحو الذي قلنا في تأويل قوله نَصُوحا قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:
26649ـ حدثنا هناد بن السّريّ, قال: حدثنا أبو الأحوص, عن سماك, عن النعمان بن بشير, قال: سُئل عمر عن التوبة النصوح, قال: التوبة النصوح: أن يتوب الرجل من العمل السيء, ثم لا يعود إليه أبدا.

حدثنا ابن بشار, قال: حدثنا عبد الرحمن, قال: حدثنا سفيان, عن سماك بن حرب, عن النعمان بن بشير, عن عمر, قال: التوبة النصوح: أن تتوب من الذنب ثم لا تعود فيه, أو لا تريد أن تعود.

حدثنا ابن المثنى, قال: حدثنا محمد بن جعفر, قال: حدثنا شعبة, عن سماك بن حرب, قال: سمعت النعمان بن بشير يخطب, قال: سمعت عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول: يا أيّها الّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إلى اللّهِ تَوْبَةً نَصُوحا قال: يذنب الذنب ثم لا يرجع فيه.

حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا مهران, عن سفيان, عن سماك بن حرب, عن النعمان بن بشير, قال: سألت عمر عن قوله تُوبُوا إلى اللّهِ تَوْبَةً نَصُوحا قال: هو العبد يتوب من الذنب ثم لا يعود فيه أبدا.

حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا مهران, عن سفيان, عن سماك بن حرب, عن النعمان بن بشير, قال: سمعت عمر بن الخطاب يقول: التوبة النصوح, أن يتوب من الذنب فلا يعود.

حدثنا به ابن حميد مرّة أخرى, قال: أخبرني عن عمر بهذا الإسناد, فقال: التوبة النصوح: الذي يذنب ثم لا يريد أن يعود.

26650ـ حدثني أبو السائب, قال: حدثنا أبو معاوية, عن الأعمش, عن أبي إسحاق, عن أبي الأحوص, عن عبد الله تَوْبَةً نَصُوحا قال: يتوب ثم لا يعود.

حدثنا ابن بشار, قال: حدثنا عبد الرحمن, قال: حدثنا سفيان, عن أبي إسحق, عن أبي الأحوص, عن عبد الله قال: التوبة النصوح: الرجل يذنب الذنب ثم لا يعود فيه.

26651ـ حدثني محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس, قوله: يا أيّها الّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إلى اللّهِ تَوْبَةً نَصُوحا أن لا يعود صاحبها لذلك الذنب الذي يتوب منه, ويقال: توبته أن لا يرجع إلى ذنب تركه.

26652ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث, قال: ثني الحسن, قال: حدثنا ورقاء, جميعا عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, قوله: تَوْبَةً نَصُوحا قال: يستغفرون ثم لا يعودون.

26653ـ حدثني نصر بن عبد الرحمن الأوديّ, قال: حدثنا المحاربي, عن جويبر, عن الضحاك, في قوله: تَوْبَةً نَصُوحا قال: النصوح: أن تحول عن الذنب ثم لا تعود له أبدا.

26654ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة يا أيّها الّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إلى اللّهِ تَوْبَةً نَصُوحا قال: هي الصادقة الناصحة.

26655ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: ابن زيد, في قول الله: تُوبُوا إلى اللّهِ تَوْبَةً نَصُوحا قال: التوبة النصوح الصادقة, يعلم أنها صدق ندامة على خطيئته, وحبّ الرجوع إلى طاعته, فهذا النصوح.

واختلفت القرّاء في قراءة ذلك, فقرأته عامّة الأمصار خلا عاصم: نَصُوحا بفتح النون على أنه من نعت التوبة وصفتها, وذُكر عن عاصم أنه قرأه: «نُصُوحا» بضمّ النون, بمعنى المصدر من قولهم: نصح فلان لفلان نصوحا.

وأولى القراءتين بالصواب في ذلك قراءة من قرأ بفتح النون على الصفة للتوبة لإجماع الحجة على ذلك.

وقوله: عَسَى رَبّكُمْ أن يُكَفّرَ عَنْكُمْ سَيّآتِكُمْ يقول: عسى ربكم أيها المؤمنون أن يمحو سيئات أعمالكم التي سلفت منكم وَيُدْخِلَكُمْ جَنّاتٍ تجري

مِنْ تَحْتِها الأنْهارُ يقول: وأن يدخلكم بساتين تجري من تحت أشجارها الأنهـار يَوْمَ لا يَخْزِي اللّهُ النّبِيّ محمدا صلى الله عليه وسلم وَالّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ نُورُهُمْ يَسْعَى بَينَ أيْدِيهِمْ يقول: يسعى نورهم أمـامهم وبأيمَـانِهِمْ يقـول: وبأيمـانهم كتابهم, كما:

26656ـ حدثني محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس قوله: يَـوْمَ لا يَخْـزِي اللّـهُ النّبِـيّ وَالّـذِينَ آمَنُـوا مَعَهُ... إلى قوله: وبأيمَانِهِمْ يأخذون كتابهم فيه البشرى.

يَقُولُونَ رَبّنا أتْمِمْ لَنـا نُورَنـا وَاغْفِـر لَنـا يقـول جـلّ ثنـاؤه مخـبرا عـن قيـل المؤمنين يوم القيامة: يقولون ربنا أتمم لنا نورنا, يسألون ربهم أن يبقي لهم نـورهم, فلا يطفئـه حـتى يجـوزوا الصـراط, وذلـك حيـن يقـول المنـافقون والمنافقات للذين آمنوا انْظُرُونا نَقْتَبِسْ مِنْ نُورِكُمْ. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

26657ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء, جميعا, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, قوله: رَبّنا أتْمِمْ لَنا نُورَنا قال: قول المـؤمنين حيـن يُطْفـأ نور المنافقين.

26658ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا مهران, عن سفيان, عن عاصم, عن الحسـن, قـال: ليـس أحـد إلا يعطـى نـورا يـوم القيامـة, يعطـى المـؤمن والمنافق, فيطفأ نور المنافق, فيخشى المؤمن أن يطفأ نوره, فذلك قـوله: رَبّنا أتْمِمْ لَنا نُورَنا.

26659ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا جرير, عن منصور, عن مجاهد, عن يزيد بن شجرة, قال: كان يذكرنا ويبكي, ويصدّق قوله فعله, يقـول: يـا أيهـا الناس إنكم مكتوبون عند الله عـزّ وجـلّ بأسـمائكم وسـيماكم, ومجالسـكم ونجواكم وخلائكم, فإذا كان يومُ القيامة قيل: يـا فلانُ بْـنَ فلان هـاكَ نـورَك, ويا فلانُ بْنَ فلان, لا نور لك.

وقوله: وَاغْفِرْ لَنا يقول: واستر علينا ذنوبنا, ولا تفضحنا بهـا بعقوبتـك إيانـا عليهاإنّكَ على كُلّ شَـيْءٍ قَـدِيرٌ يقـول: إنـك علـى إتمـام نورنـا لنـا, وغفـران ذنوبنا, وغير ذلك من الأشياء ذو قدرة.

الآية : 9

القول فـي تأويـل قوله تعالى:{يَأَيّهَا النّبِيّ جَاهِدِ الْكُفّـارَ وَالْمُنَـافِقِينَ وَاغْلُـظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ }.

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم يـا أيّهـا النّبِـيّ جاهِـد الكُفّارَ بالسيف وَالمُنافِقِينَ بالوعيد واللسان. وكان قتادة يقول في ذلك ما:

26660ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: يا أيّها النّبِيّ جاهِدِ الكُفّارَ والمُنافِقِينَ قال: أمر الله نبيه عليه الصلاة والسـلام أن يجاهد الكفار بالسيف, ويغلظ على المنافقين بالحدود.

وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ يقول: واشدد عليهم فـي ذات اللـه ومَـأْوَاهُمْ جَهَنّـمُ يقـول: ومكثهم جهنم, ومصيرهم الذي يصيرون إليه نار جهنم وَبِئْـسَ المَصِـيرُ قـال: وبئس الموضع الذي يصيرن إليه جهنم.

الآية : 10

القول في تأويل قوله تعالى:{ضَرَبَ اللّهُ مَثَلاً لّلّذِينَ كَفَرُواْ امْرَأَةَ نُوحٍ وَامْرَأَةَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللّهِ شَيْئاً وَقِيلَ ادْخُلاَ النّارَ مَعَ الدّاخِلِينَ }.

يقول تعالى ذكره: مَثّل الله مثلاً للذين كفروا من الناس وسائر الخلق امرأة نوح وامرأة لوط, كانتا تحت عبدين من عبادنا, وهما نوح ولوط فخانتاهما.

ذُكر أن خيانة امرأة نوح زوجها أنها كانت كافرة, وكانت تقول للناس: إنه مجنون. وأن خيانة إمرأة لوط, أن لوطا كان يُسِرّ الضيف, وتَدُلّ عليه. ذكر من قال ذلك:

26661ـ حدثنا ابن بشار, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا سفيان, عن موسى بن أبي عائشة, عن سلمان بن قيس, عن ابن عباس, قوله: فَخانَتاهُما قال: كانت امرأة نوح تقول للناس: إنه مجنون. وكانت امرأة لوط تَدُلّ على الضيف.

حدثنا محمد بن منصور الطوسي, قال: حدثنا إسماعيل بن عمر, قال: حدثنا سفيان, عن موسى بن أبي عائشة عن سليمان بن قيس, قال: سمعت ابن عباس قال في هذه الآية: أما امرأة نوح, فكانت تخبر أنه مجنون وأما خيانة امرأة لوط, فكانت تَدُلّ على لوط.

26662ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا مهران, عن سفيان, عن أبي عامر الهمداني, عن الضحاك كانَتا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبادِنا صَالِحَيْنِ قال: ما بغت امرأة نبيّ قط فَخانَتاهُما قال: في الدين خانتاهما.

26663ـ حدثني محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس, قوله ضَرَبَ اللّهُ مَثَلاً لّلّذِينَ كَفَرُوا امْرأَةَ نُوحٍ وَامْرأَةَ لُوطٍ كانَتا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبادِنا صَالِحَيْنِ فَخانَتاهُما قال: كانت خيانتهما أنهما كانتا على غير دينهما, فكانت امرأة نوح تطلع على سر نوح, فإذا آمن مع نوح أحد أخبرت الجبابرة من قوم نوح به, فكان ذلك من أمرها وأما امرأة لوط فكانت إذا ضاف لوطا أحد خبرت به أهل المدينة ممن يعمل السوء فَلَمْ يُغْنِيا عَنْهُما مِنَ اللّهِ شَيْئا.

26664ـ حدثنا ابن المثنى, قال: حدثنا محمد بن جعفر, قال: حدثنا شعبة, عن عمرو بن أبي سعيد, أنه سمع عكرمة يقول في هذه الآية فَخانَتاهُما قال: في الدين.

حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا يحيى بن واضح, قال: حدثنا الحسين, عن يزيد, عن عكرمة, في قوله كانَتا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبادِنا صَالِحَيْنِ فَخانَتاهُما قال: وكانت خيانتهما أنهما كانتا مشركتين.

حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا يحيى بن واضح, قال: عبيد بن سليمان, عن الضحاك فَخانَتاهُما قال: كانتا مخالفتين دين النبيّ صلى الله عليه وسلم كافرتين بالله.

26665ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: أخبرني أبو صخر, عن أبي معاوية البجلي, قال: سألت سعيد بن جبير: ما كانت خيانة امرأة لوط وامرأة نوح؟ فقال: أما امرأة لوط, فإنها كانت تدلّ على الأضياف وأما امرأة نوح فلا علم لي بها.

وقوله: فَلَمْ يُغْنِيا عَنْهُما مِنَ اللّهِ شَيْئا يقول: فلم يغن نوح ولوط عن امرأتيهما من الله لما عاقبهما على خيانتهما أزواجهما شيئا, ولم ينفعهما أن

كانت أزواجهما أنبياء. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

26666ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً لِلّذِينَ كَفَرُوا امْرأةَ نُوحٍ وامْرأةَ لُوط... الآية, هاتان زوجتا نَبِيّي الله لما عصتا ربهما, لم يغن أزواجهما عنهما من الله شيئا.

26667ـ حدثنا ابن عبد الأعلى, قال: حدثنا ابن ثور, عن معمر, عن قتادة ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً لِلّذِينَ كَفَرُوا امْرأةَ نُوحٍ وامْرأةَ لُوطٍ... الآية, قال: يقول الله: لم يغن صلاح هذين عن هاتين شيئا, وامرأة فرعون لم يضرّها كفر فرعون.

وقوله: وَقِيلَ ادْخُلا النّارَ مَعَ الدّاخِلِينَ قال الله لهما يوم القيامة: ادخلا أيتها المرأتان نار جهنم مع الداخلين فيها.

الآية : 11

القول في تأويل قوله تعالى:{وَضَرَبَ اللّهُ مَثَلاً لّلّذِينَ آمَنُواْ امْرَأَةَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبّ ابْنِ لِي عِندَكَ بَيْتاً فِي الْجَنّةِ وَنَجّنِي مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظّالِمِينَ }. يقول تعالى ذكره: وضرب الله مثلاً للذين صدّقوا الله ووحدوه, امرأة فرعون التي آمنت بالله ووحدته, وصدّقت رسوله موسى, وهي تحت عدوّ من أعداء الله كافر, فلم يضرّها كفر زوجها, إذ كانت مؤمنة بالله, وكان من قضاء الله في خلقه أن لا تزر وازرة وزر أخرى, وأن لكلّ نفس ما كسبت, إذ قالت: رَبّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتا في الْجَنّةِ, فاستجاب الله لها فبنى لها بيتا في الجنة, كما:

26668ـ حدثني إسماعيل بن حفص الأُبُلّي, قال: حدثنا محمد بن جعفر, عن سليمان التيميّ, عن أبي عثمان, عن سلمان, قال: كانت امرأة فرعون تعذّب بالشمس. فإذا انصرف عنها أظلتها الملائكة بأجنحتها, وكانت ترى بيتها في الجنة.

حدثنا محمد بن عبيد المحاربيّ, قال: حدثنا أسباط بن محمد, عن سليمان التيميّ, عن أبي عثمان, قال: قال سليمان: كانت امرأة فرعون, فذكر نحوه.

26669ـ حدثني يعقوب بن إبراهيم, قال: حدثنا ابن علية, عن هشام الدستوائي, قال: حدثنا القاسم بن أبي بَزّة, قال: كانت امرأة فرعون تسأل من غلب؟ فيقال: غلب موسى وهارون. فتقول: آمنت بربّ موسى وهارون فأرسل إليها فرعون, فقال: انظروا أعظم صخرة تجدونها, فإن مضت على قولها فألقوها عليها, وإن رجعت عن قولها فهي امرأته فلما أتوها رفعت بصرها إلى السماء, فأبصرت بيتها في السماء, فمضت على قولها, فانتزع الله روحها, وألقيت الصخرة على جسد ليس فيه روح.

26670ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً لِلّذِينَ آمَنُوا امْرأةَ فِرْعَوْنَ وكان أعتى أهل الأرض على الله, وأبعده من الله, فوالله ما ضرّ امرأته كفر زوجها حين أطاعت ربها, لتعلموا أن الله حكم عدل, لا يؤاخذ عبده إلا بذنبه.

وقوله: ونجّنِي مِنْ فِرْعَوْنَ وَعمَلِه وتقول: وأنقذني من عذاب فرعون, ومن أن أعمل عمله, وذلك كفره بالله.

وقوله: وَنجّنِي مِنَ القَوْمِ الظّالِمِينَ تقول: وأخلصني وأنقذني من عمل القوم الكافرين بك, ومن عذابهم.

الآية : 12

القول في تأويل قوله تعالى:{وَمَرْيَمَ ابْنَةَ عِمْرَانَ الّتِيَ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رّوحِنَا وَصَدّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبّهَا وَكُتُبِهِ وَكَانَتْ مِنَ الْقَانِتِينَ }.

يقول تعالى ذكره: وَضَرَبَ اللّهُ مَثَلاً لِلّذِينَ آمَنُوا مَرْيَمَ ابْنَةَ عِمْرَانَ الّتِي أحْصَنَتْ فَرْجَها يقول: التي منعت جيب درعها جبريل عليه السلام, وكلّ ما كان في الدرع من خرق أو فتق, فإنه يسمى فَرْجا, وكذلك كلّ صدع وشقّ في حائط, أو فرج سقف فهو فرج.

وقوله: فَنَفَخْنا فِيهِ منْ رُوحِنا يقول: فنفخنا فيه في جيب درعها, وذلك فرجها, من روحنا من جبرئيل, وهو الروح. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

26671ـ حدثنا ابن عبد الأعلى, قال: حدثنا ابن ثور, عن معمر, عن قتادة فَنَفَخْنا فِيهِ مِنْ رُوحِنا فنفخنا في جيبها من روحنا.

وَصَدّقَتْ بِكَلِماتِ رَبّها يقول: آمنت بعيسى, وهو كلمة الله وكُتُبِهِ يعني التوراة والإنجيل وكانَتْ مِنَ القانِتِينَ يقول: وكانت من القوم المطيعين. كما:

26672ـ حدثنا ابن عبد الأعلى, قال: حدثنا ابن ثور, عن معمر, عن قتادة منَ القانِتِينَ من المطيعين.